جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

مُنَاقَدَةُ الْحَاتِمِيِّ ت (٣٨٨هـ)
فِي امْتِزَاجِ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيهَا فِي كِتَابِهِ
(حِلْيَةُ الْمُحَاضَرَةِ) دِرَاسَةٌ بَلَاغِيَّةٌ فِي نَقْدِ النَّقْدِ

Criticism of Al-Hatimi (d. 388AH) on the mixing and purification of hearts in his book) Hilyat Al-Muhadhara (A rhetorical study in criticism of criticism

إعداد

د/ أماني السيد عبد الفتاح إسماعيل

مدرسُ البلاغةِ والنقدِ بكليةِ الدراساتِ الإسلاميةِ والعربيةِ للبناتِ بسوهاج.

(العدد الثالث والأربعون)
(الإصدار الرابع-نوفمبر)
(الجزء الرابع (١٤٤٦هـ/٢٠٢٤م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) 2536- 9083
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٢٤/٦٢٧١م

مُنَاقَدَةُ الْحَاتِمِيِّ ت (٣٨٨هـ) فِي امْتِزَاجِ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيهَا فِي كِتَابِهِ (حِلْيَةُ الْمُحَاضَرَةِ) دِرَاسَةٌ بَلَاغِيَّةٌ فِي نَقْدِ النَّقْدِ

أماني السيد عبد الفتاح إسماعيل

قسم البلاغةِ والنقدِ، كليةِ الدراساتِ الإسلاميةِ والعربيةِ للبناتِ، جامعة الأزهر، سوهاج، مصر.

البريد الالكتروني: amanyelsied00@gmail.com

مُلَخَّصُ

تَقُومُ فِكْرَةُ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ الْبَلَاغِيَّةِ النَّقْدِيَّةِ عَلَى الْوُقُوفِ عِنْدَ الْأَحْكَامِ النَّقْدِيَّةِ فِي الشَّوَاهِدِ الَّتِي سَاقَهَا الْحَاتِمِيُّ فِي مَعْنًى مِنْ الْمَعَانِي الْعَالِيَةِ الَّتِي جَمَعَهَا فِي كِتَابِهِ حِلْيَةُ الْمُحَاضَرَةِ هو: (امْتِزَاجُ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيهَا)، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ تَهْدِفُ إِلَى الوُصُولِ إِلَى نَتِيجَةٍ تَحْكُمُ إِمَّا بِإِصَابَةِ هَذِهِ الْأَحْكَامِ النَّقْدِيَّةِ فِي هَذَا الْمَعْنَى الرَّائِقِ أَوْ بِعَدَمِهَا، وَالتَّأَمُّلِ مَلِيًّا فِي تِلْكَ الْمُخْتَارَاتِ الرَّائِعَةِ الَّتِي أَبْدَعَ الْحَاتِمِيُّ فِي جَمْعِهَا وَاسْتِقْصَائِهَا وَنَقْدِهَا. وَقَدْ خَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ بِنَتَائِجَ عِدَّةٍ أَبْرَزُهَا مَا يَلِي : •أَنَّ الْحَاتِمِيَّ أَصَابَ فِي جَمْعِ هَذِهِ الشَّوَاهِدِ تَحْتَ هَذَا الْمَعْنَى إِصَابَةً حَسَنَةً تَدُلُّ عَلَى عَقْلِهِ الْوَاعِي، وَنَقْدِهِ الْعَالِي، وَنَظْرَتِهِ الْبَصِيرَةِ. •أَنَّ فِكْرَ الْحَاتِمِيِّ النَّقْدِيِّ جَمَعَ بَيْنَ النَّقْدِ الْكُلِّيِّ وَالْجُزْئِيِّ فِي هَذَا الْمَعْنَى فِي كِتَابِهِ. •رَوَى الْحَاتِمِيُّ بَعْضَ الْأَحْكَامِ النَّقْدِيَّةِ عَنْ ابْنِ أَبِي فِنْنٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فاتَّسَمَ نَقْدُ الأَوَّلِ مِنْهُمَا بِكَوْنِهِ كُلِّيًّا، بَيْنَمَا اتَّسَمَ نَقْدُ الآخرِ بِكَوْنِهِ نَقْدًا جُزْئِيًّا دَقِيقًا.

الْكَلِمَاتُ الْمِفْتَاحِيَّةُ : مُنَاقَدَةٌ ، الْحَاتِمِي ، امْتِزَاجٌ ، قُلُوبٌ ، تَصَافٍ ، حُكْمٌ ، نَقْدٌ .

Al-Hatimi's Criticism (D. *388*AH) On The Mixing And Purification Of Hearts In His Book (Hilyat Al-Muhadhara) A Rhetorical Study In The Criticism Of Criticism

Amani Al-Sayed Abdel Fattah Ismail
Lecturer of Rhetoric and Criticism at the College of Islamic and Arabic Studies for Girls in Sohag.
Email: *amanyelsied00@gmail.com*

Abstract:
Criticism of Al-Hatimi (d. 388AH) on the mixing and purification of hearts in his book) Hilyat Al-Muأمhadhara (A rhetorical study in criticism of criticism Prepared by/Amani Al-Sayed Abdel Fattah Ismail Teacher of rhetoric and criticism at the College of Islamic and Arabic Studies for Girls in Sohag .The idea of this critical rhetorical study is based on stopping at the critical rulings in the evidence that Al-Hatimi presented in one of the lofty meanings that he collected in his book Hilyat Al-Muhadhara، which is: (the mixing and purification of hearts)، and therefore this study aims to reach a result that rules Either by hitting these critical judgments in this beautiful meaning or by not hitting them، and contemplating carefully those wonderful selections that Al-Hatimi excelled in collecting and examining and then in criticizing them .I came out of this study with several results، the most prominent of which are the following • :Al-Hatimi hit the mark in collecting these evidences under this meaning with a good hit that indicates his conscious mind، his high criticism، and his insightful vision • .Al-Hatimi's critical thought combined general and partial criticism in this meaning in his book • .Al-Hatimi narrated some critical rulings from Ibn Abi Fanan and Abdullah Ibn Abdul Malik. The criticism of the first of them was characterized by being comprehensive، while the criticism of the other was characterized by being partial and precise

Keywords: *Critic ، Al-Hatimi، Mixing ، Hearts ، Purity ، Criticism.*

مُقَدِّمَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْمَحَبَّةَ عَلَى نَقَاءِ الْقُلُوبِ دَلِيلًا، وَأَسْكَنَهَا فِي الْأَرْوَاحِ وَالنُّفُوسِ حَتَّى انْصَهَرَتْ وَامْتَزَجَتْ امْتِزَاجًا عَجِيبًا وَجَمِيلًا، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي تَمَكَّنَ حُبُّهُ فِي جَوَارِحِنَا جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا، وَعَلَيَّ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

وَبَعْدُ،،،

فَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الشِّعْرَ الْعَرَبِيَّ تُرَاثُ الْأُمَّةِ، وَمَجْدُهَا التَّلِيدُ لِمَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنْ تَفَاصِيلَ كَثِيرَةٍ لِخَفَايَا النَّفْسِ، وَمَا يَجِيشُ بِهَا مِنْ مَشَاعِرَ أَجَادَ الشُّعَرَاءُ فِي رَسْمِهَا وَتَصْوِيرِهَا إِجَادَةً عَالِيَةً؛ وَلِهَذَا كَانَ مَحِلَّ اهْتِمَامِ أَهْلِ الْعِلْمِ لِدِرَاسَتِهِ وَقِرَاءَتِهِ قِرَاءَةً مُتَأَنِّيَةً وَاعِيَةً تَقِفُ عَلَى أَسْرَارِهِ وَجَوَاهِرِهِ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ ابْنُ الْمُظَفَّرِ الْحَاتِمِيُّ ت(٣٨٨هـ) صَاحِبُ كِتَابِ (حِلْيَةُ الْمُحَاضَرَةِ فِي صِنَاعَةِ الشِّعْرِ)؛ وَلِهَذَا كَانَ تَوَجُّهِي بِهَذِهِ الدِّرَاسَةِ الَّتِي جَاءَ عُنْوَانُهَا :[مُنَاقَدَةُ(١) الْحَاتِمِي تُ(٣٨٨هـ) فِي امْتِزَاجِ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيهَا فِي كِتَابِهِ (حِلْيَةِ الْمُحَاضَرَةِ) دِرَاسَةٌ بَلَاغِيَّةٌ فِي نَقْدِ النَّقْدِ] حَتَّى أُسْهِمَ بِوَضْعِ لَبِنَةٍ فِي دِرَاسَةِ مَعَانِي هَذَا الْكِتَابِ وَمَا فِيهِ مَنْ صَرْحٍ شِعْرِيٍّ عَالٍ فِي جَمْعِهِ وَنَقْدِهِ.

---

(١) لَفْظٌ (مُنَاقَدَةُ) من " ناقدَ يناقد، مُناقدةً، فهو مُناقِد، والمفعول مُناقَد، ناقد أستاذَه: ناقَشه في الأمر" معجم اللغة العربية المعاصرة المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤ هـ) الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

وَالْمُفَاعَلَةُ فِيه عَلَى وَجْهَيْنِ:

إِمَّا عَلَى وَجْهِهَا إِذْ تَنَوَّعَتْ وَتَعَدَّدَتْ الْآرَاءُ بَيْنَ النُّقَّادِ وَمِنْ ثَمَّ كَانَ هُنَاكَ تَفَاعُلٌ وَمُفَاعَلَةٌ.

وَإِمَّا أَنَّهَا عَلَى التَّجَوُّزِ فِي أَنَّهُ نَقْدٌ يُحَفِّزُ الْهِمَّةَ لَدَى الْقَارِئِ وَيُسَبِّبُ التَّعْلِيقَ عَلَيْهِ.

وَالْوَجْهَانِ كِلَاهُمَا فِي الْبَحْثِ.

وَالْحَاتِمِيُّ قَدْ جَمَعَ فِي كِتَابِهِ كَثِيرًا مِنَ الْمَعَانِي الْعَالِيَةِ الَّتِي نَظَمَهَا الشُّعَرَاءُ فِي قَصَائِدِهِمْ، وَلَمْ يَكْتَفِ بِذَلِكَ بَلْ جَمَعَ فِي كُلِّ مَعْنَى أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِيهِ مِنْ أَقْوَالِهِمْ، ثُمَّ حَكَمَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْهَا بِأَحْكَامٍ نَقْدِيَّةٍ جَدِيرَةٍ بِالْبَحْثِ وَالدَّرْسِ وَالْوُقُوفِ عِنْدَهَا لِلْوُصُولِ إِلَى أَوْجُهِهَا، ثم مُوَافَقَتِهَا أَوْ رَدِّهَا، كَمَا رَوَى أَحْكَامًا نَقْدِيَّةً لِغَيْرِهِ عَلَى هَذِهِ الْأَبْيَاتِ، وَمِنْ هُنَا تَتَجَلَّى أَهَمِّيَّةُ هَذَا الْمَوْضُوعِ وَدِرَاسَتُهُ فِي الْكَشْفِ عَنْ مَدَى صِحَّةِ تِلْكَ الْأَحْكَامِ النَّقْدِيَّةِ مِنْ عَدَمِهَا.

فَهَذِهِ الدِّرَاسَةُ تَهْدِفُ إِلَى الوُصُولِ إِلَى نَتِيجَةٍ تَحْكُمُ إِمَّا بِإِصَابَةِ الْأَحْكَامِ النَّقْدِيَّةِ فِي الشَّوَاهِدِ الَّتِي سَاقَهَا الْحَاتِمِيُّ فِي هَذَا الْمَعْنَى الرَّائِقِ أَوْ بِعَدَمِهَا.

هَذَا، وَقَدْ كَانَتْ هُنَاكَ **أَسْبَابٌ وَدَوَافِعُ لِلْكِتَابَةِ** فِي هَذَا الْكِتابِ خَاصَّةً وَذَاكَ النَّمَطُ مِنَ الْبُحُوثِ دُونَ غَيْرِهِ هِيَ:

عَدَمُ وُجُودِ دِرَاسَاتٍ بِلَاغِيَّةٍ نَقْدِيَّةٍ فِي هَذَا الْكِتَابِ الْعَالِي الَّذِي جَمَعَ أَعْلَى مَعَانٍ نُظِمَتْ فِي أَحْسَنِ أَبْيَاتٍ كَمَا يَرَى الْحَاتِمِيُّ.

الْوُقُوفُ عَلَى هذه النَمَاذِجِ الشِّعْرِيَّةِ العَالِيَةِ، وَالتَّأَمُّلُ مَلِيًّا فِي تِلْكَ الْمُخْتَارَاتِ الرَّائِعَةِ الَّتِي أَحْسَنَ وَأَبْدَعَ الْحَاتِمِيُّ فِي جَمْعِهَا وَاسْتِقْصَائِهَا وَمِنْ ثَمَّ فِي نَقْدِهَا.

كَثْرَةُ الْأَحْكَامِ النَّقْدِيَّةِ الْوَارِدَةِ فِي هَذَا الْكِتَابِ وَالَّتِي تَسْتَحِقُّ الْوُقُوفَ عِنْدَهَا؛ لِبَيَانِ أَوْجُهِهَا الْمُرَادَةِ، وَالنَّظَرِ فِي صِحَّتِهَا مِنْ عَدَمِهَا سواء أَكَانَتْ صَادِرَةً من الْحَاتِمِيِّ أَمْ غَيْرِهِ مِمَّنْ رَوَى عَنْهُمْ اسْتِحْسَانَهُمْ، أَوْ تَفْضِيلَهُمْ لِبَيْتٍ عَلَى آخَرَ، وَالَّتِي صَدَرَتْ عَنْهُمْ مِنْ قَبِيلِ النَّقْدِ، وَسَتَكُونُ مِنِّي مِنْ قَبِيلِ نَقْدِ النَّقْدِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَهُوَ بَابٌ عَظِيمٌ فِي الْبَلَاغَةِ، وَعِرُ الْمَسْلَكِ، دَقِيقُ الْمَأْخَذِ أَسْأَلُ اللَّهَ – تعالى– أَنْ يُوَفِّقَنِي فِيهِ إِلَى الصَّوَابِ.

أَسْبَابُ اخْتِيَارِ هَذَا الْمَعْنَى خَاصَّةً دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي أَوْرَدَهَا الْحَاتِمِيُّ فِي كِتَابِهِ:

وَقَدْ آثَرْتُ أَنْ أَكْتُبَ فِي هَذَا الْمَعْنَى خَاصَّةً، وَأَنْ أَبْدَأَ بِهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي أَوْرَدَهَا لِسَبَبَيْنِ هُمَا:

طَرَافَةُ هَذَا الْمَعْنَى وَجِدَّتُهُ.

أَنَّنِي رَأَيْتُ تَنَوُّعًا فِي الْأَحْكَامِ النَّقْدِيَّةِ فِي هَذَا الْجُزْءِ مِنْ كِتَابِهِ .

مَنْهَجُ الْبَحْثِ

وَالْمَنْهَجُ الْمُتَّبَعُ فِي هَذِهِ الدِّرَاسَةِ هُوَ الْمَنْهَجُ الْوَصْفِيُّ الْقَائِمُ عَلَى الِاسْتِقْرَاءِ وَالتَّحْلِيلِ؛" وَالَّذِي يَعْتَمِدُ عَلَى دِرَاسَةِ الشَّوَاهِدِ، وَتَحْلِيلِهَا تَحْلِيلًا دَقِيقًا"(١).

إِجْرَاءَاتُ الْمَنْهَجِ: وَتَشْتَمِلُ عَلَى مَا يَلِي:

إِجْرَاءَاتُ التَّقْسِيمِ وَتَتَضَمَّنُ مَا يَلِي:

تَقْسِيمُ الْبَحْثِ إِلَى ثَلَاثَةِ مَبَاحِثَ بِحَسْبِ طَبِيعَةِ الْأَحْكَامِ النَّقْدِيَّةِ الْوَارِدَةِ فِي شَوَاهِدِ هَذَا الْمَعْنَى.

رَاعَيْتُ فِي صِيَاغَةِ عَنَاوِينِ الْمَبَاحِثِ أَنْ تَكُونَ نَابِعَةً مِنْ عُنْوَانِ الْبَحْثِ وَمِنْسَلَةً مِنْهُ.

تَرْتِيبُ الْمَبَاحِثِ وَالشَّوَاهِدِ تَبَعًا لِلتَّرْتِيبِ الْوَارِدِ فِي الْأَحْكَامِ النَّقْدِيَّةِ، وَتَبَعًا لِتَدَرُّجِ الْحُكْمِ النَّقْدِيِّ فِيهَا كَمَا أَوْرَدَهَا الْحَاتِمِيُّ؛ حَيْثُ بَدَأَ بِالْمُفَاضَلَةِ بَيْنَ قَوْلِ الْعَبَّاسِ وَالْمُهَلَّبِيِّ وَالَّتِي كَانَ الْحُكْمُ النَّقْدِيُّ فِيهِمَا صَادِرًا مِنْ ابْنِ أَبِي فَنَنٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ.

إِجْرَاءَاتُ التَّحْلِيلِ وَتَتَضَمَّنُ مَا يَلِي:

التَّمْهِيدُ لِكُلِّ مَبْحَثٍ مِنْ الْمَبَاحِثِ بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ طَبِيعَةُ كُلٍّ مِنْهَا.

ذِكْرُ الشَّوَاهِدِ الشِّعْرِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى عُنْوَانِ الْمَبْحَثِ.

---

(١) مناهج البحث العلمي للدكتور: محمد سرحان علي المحمدي ص:٤٦ وما بعدها، الناشر: دار الكتب اليمنية ط/ ثالثة ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م.

نَقْدُ الشَّوَاهِدِ النَّقْدِيَّةِ وَالشِّعْرِيَّةِ نَقْدًا مَبْنِيًّا عَلَى ذَوْقَيْ الْبَلَاغِيِّ وَالنَّقْدِيِّ الْخَاصِّ وَمُعَايَشَةِ الْأَحْوَالِ النَّفْسِيَّةِ لَهَا.

التَّأَمُّلُ فِي جَمِيعِ الشَّوَاهِدِ وَتَدَبُّرِهَا حَتَّى تَتَسَنَّى لِي الْمُوَازَنَةُ بَيْنَهَا، وَالْحُكْمُ عَلَيْهَا، وَوَضْعُهَا فِي الْمَرْتَبَةِ الَّتِي هِيَ لَهَا.

الْحُكْمُ بِالْإِصَابَةِ أَوْ بِعَدَمِهَا عَلَى الشَّاهِدِ النَّقْدِيِّ الْوَارِدِ، وَهَذَا هُوَ نَقْدُ النَّقْدِ مَعَ ذِكْرِ مَا يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ رَأْيِي وَيَدْعَمُهُ.

إِجْرَاءَاتُ التَّوْثِيقِ وَتَتَضَمَّنُ مَا يَلِي:

الرُّجُوعُ قَدْرَ الْمُسْتَطَاعِ إِلَى كُلِّ بَيْتٍ فِي دِيوَانِ قَائِلِهِ إِنْ وُجِدَ.

التَّرْجَمَةُ لِبَعْضِ الْأَعْلَامِ غَيْرِ الْمَشْهُورِينَ.

إِطَالَةُ النَّظَرِ فِي الشَّاهِدِ الشِّعْرِيِّ بِأَكْمَلِهِ، وَالرُّجُوعِ إِلَى سِيَاقِهِ الْقَبْلِيِّ والبَعْدِيِّ، بَلْ إِلَى الْقَصِيدَةِ بِأَكْمَلِهَا حَتَّى أُدْرِكَ مُرَادَهُ، وَأَحْكُمَ عَلَى نَقْدِ النَّاقِدِ حُكْمًا صَحِيحًا.

خَطَّةُ الْبَحْثِ

اقْتَضَتْ طَبِيعَةُ الْبَحْثِ تَقْسِيمَهُ إِلَى ثَلَاثَةِ مَبَاحِثَ تَسْبِقُهَا مُقَدِّمَةٌ وَتَمْهِيدٌ، وَتَعَقُّبُهَا خَاتِمَةٌ وَفَهَارِسُ فَنِّيَّةٌ.

أَمَّا **الْمُقَدِّمَةُ**: فَقَدْ تَحَدَّثْتُ فِيهَا عَنْ أَهَمِّيَّةِ الْمَوْضُوعِ وَأَسْبَابِ اخْتِيَارِهِ وَمَنْهَجِ الْبَحْثِ وَخُطَّتِهِ.

وَأَمَّا **التَّمْهِيدُ** فَيَضُمُّ ثَلَاثَةَ مَحَاوِرَ:

الْأَوَّلُ- التَّعْرِيفُ بِالْحَاتِمِيِّ وَكِتَابِهِ (حِلْيَةُ الْمُحَاضَرَةِ) .

الثَّانِي - نبْذَةٌ عَنْ مَعْنَى امْتِزَاجِ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيهَا .

الثَّالِثُ- نَقْدُ النَّقْدِ أَنْمَاطُهُ وَوَظِيفَتُهُ.

وَأَمَّا الْمَبَاحِثُ فَقَدْ جَاءَ تَرْتِيبُهَا عَلَى النَّحْوِ التَّالِي :

الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ: مُنَاقَدَةُ الْحَاتِمِيِّ فِي مَرَاتِبِ حُسْنِ امْتِزَاجِ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيهَا.

الْمَبْحَثُ الثَّانِي: مُنَاقَدَةُ الْحَاتِمِيِّ فِي تَلَاقِي الشُّعَرَاءِ فِي امْتِزَاجِ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيهَا.

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ: مُنَاقَدَةُ النُّقَّادِ الثَّلَاثَةُ(الْحَاتِمِيُّ، ابْنُ أَبِي فَنَنٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ) فِي أَحْكَامِهِم النَّقْدِيَّةِ.

الْخَاتِمَةُ: وَفِيهَا أَهَمُّ نَتَائِجَ وَالتَّوْصِيَاتِ.

وَبَعْدُ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ مِنْ تَوْفِيقٍ فَمِنْ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ مِنْ خَلَلٍ أَوْ زَلَلٍ فَهَذِهِ طَبِيعَةُ الْبَشَرِ وَالْكَمَالُ لِلَّهِ وَحْدَهُ.

وَصَلَّى اللَّهُمَّ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

إعداد

أماني السيد عبد الفتاح إسماعيل

مُدَرِّسُ الْبَلَاغَةِ وَالنَّقْدِ بِكُلِّيَّةِ

الدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ لِلْبَنَاتِ بِسُوهَاجِ

تَمْهِيدٌ

الْعُنْصُرُ الْأَوَّلُ

التَّعْرِيفُ بِالْحَاتِمِيِّ وَكِتَابِهِ (حِلْيَةُ الْمُحَاضَرَةِ)

أَمَّا عَنْ الْحَاتِمِي فَهُوَ " مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْمُظَفَّرِ الْحَاتِمِيُّ، أَبُو عَلِيٍّ: أَدِيبُ نَقَّادٌ، مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ، نِسْبَتُهُ إِلَى جَدٍّ لَهُ اسْمُهُ (حَاتِمٌ) .

لَهُ (الرِّسَالَةُ الْحَاتِمِيَّةُ) مطبوع مُقْتَطَفَاتٌ مِنْهَا، وَاسْمُهَا (الْمُوضِحَةُ) فِي نَقْدِ شِعْرِ الْمُتَنَبِّي، أَوْ كَمَا يَقُولُ الذَّهَبِيُّ: (فِيمَا جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُتَنَبِّي مِنْ إِظْهَارِ سَرِقَاتِهِ وَعُيُوبِ شِعْرِهِ وَحُمْقِهِ وَتِيهِهِ!) وَ(حِلْيَةُ الْمُحَاضَرَةِ) فِي الْأَدَبِ وَالْأَخْبَارِ، مُجَلَّدَانِ، مِنْهُ نُسْخَةٌ فِي الْقَرَوِيِّينَ بِفَاسَ (الرَّقْمُ ٥٩٠) وَ (سِرُّ الصِّنَاعَةِ) فِي الشِّعْرِ، وَ(الْحَالِيُّ وَالْعَاطِلُ) أَدَبٌ، وَ (مُخْتَصَرُ الْعَرَبِيَّةِ) وَغَيْرُ ذَلِكَ "[١].

وَهُوَ "أَحَدُ الْأَعْلَامِ الْمَشَاهِيرِ الْمُكْثِرِينَ؛ قَالَ الْخَطِيبُ: رَوَى عَنْ أَبِي عُمَرَ الزَّاهِدِ أَخْبَارًا فِي مَجَالِسِ الْأَدَبِ . قَالَ يَاقُوتُ : [قُلْتُ أَنَا: وَأَدْرَكَ ابْنَ دُرَيْدٍ وَأَخَذَ عَنْهُ]، وَكَانَ مِنْ حُذَّاقِ أَهْلِ اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ، شَدِيدَ الْعَارِضَةِ، مُبْغَضًا إِلَى أَهْلِ الْعِلْمِ، هَجَاهُ ابْنُ حَجَّاجٍ وَغَيْرُهُ [بِأَهَاجِ مُرَّةٍ] . قَالَ الثَّعَالِبِيُّ فِي الْيَتِيمَةِ: "حَسَنُ التَّصَرُّفِ فِي الشِّعْرِ، يَجْمَعُ بَيْنَ الْبَلَاغَةِ فِي النَّثْرِ، وَالْبَرَاعَةِ فِي النَّظْمِ، وَلَهُ مَعَ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي مُخَاطَبَةٌ أَقْذَعَهُ فِيهَا"[٢] .

---

(١) الأعلام للزركلي ٦/ ٨٣، الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

(٢) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر للثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) تحقيق: د. مفيد محمد قميحة ٣/ ١٢٠، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت/لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م

وَلَـهُ مِـنْ التَّصَـانِيفِ: حِلْيَـةُ الْمُحَاضَـرَةِ فِـي صِـنَاعَةِ الشِّـعْرِ، الْمُوضِـحَةُ فِـي مَسَـاوِئِ الْمُتَنَبِّي، تَقْرِيعُ الْهِلْبَاجَةِ فِي صَنْعَةِ الشِّعْرِ "(١).

وَ (تَقْرِيعُ الْهِلْبَاجَةِ) رِسَالَةٌ سَمَّاهَا بِذَلِكَ وَهِيَ " فِي مَعْرِفَةِ الشِّعْرِ وَالشُّعَرَاءِ أَتَى فِيهَا بِعِلْمٍ جَمٍّ فِي الْأَدَبِ وَمَعْرِفَةِ الشِّعْرِ وَالنَّقْدِ "(٢).

(الهِلْبَاجَةُ) بِالْكَسْرِ (والهِلْبَاجُ) :الأَحمقُ الَّذِي لَا أَحْمَق مِنْهُ. وَقيل: هُوَ الوَخِمُ (الأَحمقُ (المائقُ القليلُ النَّفْعِ. زَّد الأَزهريُّ: الثَّقيلُ من النّاس. وَقَالَ خلَفٌ الأَحمرُ: سأَلْت أَعرابيًّا عَن الهِلْبَاجةِ فَقَالَ: هُوَ الأَحمقُ (الضَّخْمُ الفَدْمُ الأَكولُ) ..... وفَسَّره المَيْدانيّ بأَنه النَّؤُوم الكَسلانُ العُطْلُ الجافي"(٣).

وَأَمَّا عَنْ كِتَابِهِ (حِلْيَةُ الْمُحَاضَرَةِ فِي صِنَاعَةِ الشِّعْرِ) فَيُعَدُّ مَوْسُوعَةً وَحَدِيقَةً غَنَاءَ يَتَنَقَّلُ الْقَارِئُ بَيْنَ رِيَاضِهَا مِنْ اللُّغَةِ وَقَوَاعِدِهَا، إِلَى الْبَلَاغَةِ وَفُنُونِهَا، إِلَى النَّقْدِ وَأُصُولِهِ، إِلَى رِوَايَاتِ الشِّعْرِ الْمُخْتَلِفَةِ، تَدُلُّ عَلَى تَبَحُّرٍ فِي الِاطِّلَاعِ وَتَضَلُّعٍ فِي فَهْمِ أَسْرَارِ الْعَرَبِيَّةِ، وَبِذَلِكَ يُعَدُّ مِنْ أَوَائِلِ النُّقَّادِ الْقُدَامَى الَّذِينَ أَسَّسُوا لِفَنِّ النَّقْدِ مُظْهِرًا ذَلِكَ فِي مُصْطَلَحَاتٍ نَقْدِيَّةٍ عَالِيَةٍ.

وَقَدْ جَعَلَ الْكِتَابَ فِي تِسْعَةِ فُصُولٍ ضَمَّنَ الْأَوَّلُ مِنْهَا مَحَاسِنَ الشِّعْرِ؛ أَمَّا الْفَصْلُ الْأَوَّلُ فَذَكَرَ فِيهِ أَحْسَنَ وَأَبْدَعَ مَا قِيلَ فِي أَبْرَزِ الْأَسَالِيبِ الْبَلَاغِيَّةِ مِنْ (الِاسْتِعَارَاتِ

---

(١)بغيـة الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ١/ ٨٧ وما بعدها، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: المكتبة العصرية – لبنان / صيدا.

(٢) الوافي بالوفيات للصفدي (ت ٧٦٤هـ)،تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى٢/٢٥٤، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر:١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م.

(٣) تـاج العروس من جواهر القـاموس للزَّبيـدي، تحقيق: جماعـة من المختصين مـادة (هلـبج) ٦/٢٨٢،من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت عام النشر: (١٣٨٥ – ١٤٢٢ هـ) = ١٩٦٥ – ٢٠٠١ م

وَالْإِشَارَةِ وَالْمُطَابَقَةِ وَالْمُجَانَسَةِ وَالْمُقَابَلَةِ وَالتَّسْهِيمِ وَالتَّتْمِيمِ وَالتَّرْدِيدِ وَالتَّبْلِيغِ وَالتَّشْبِيهِ وَالْاسْتِطْرَادِ) وَغَيْرِ ذَلِكَ .

وَأَمَّا الْفَصْلُ الثَّانِي فَقَدْ ضَمَّنَهُ أَبْدَعَ مَا قِيلَ فِي الْحَشْوِ وَالْإِغْرَاقِ وَالْقَوَافِي وَالْهِجَاءِ .

وَأَمَّا الْفَصْلُ الثَّالِثُ وَالرَّابِعُ فَقَدْ ضَمَّنَهُمَا أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي مَعَانٍ عَالِيَةٍ وَجَدِيدَةٍ تَنُمُّ عَلَى عَبْقَرِيَّتِهِ وَوَعْيِهِ فِي فَهْمِ الشِّعْرِ، ثم وَقَفَ عِنْدَهَا وَجَمَعَهَا وَنَقَدَهَا، وَمِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي (حُسْنُ الْجِوَارِ، وَمُكَافَأَةُ الْبِرِّ، وَتَقَارُبُ الْخَطْوِ، وَالْبَسَالَةُ، وَوَصْفُ الْقَفْزِ) كَمَا ذَكَرَ أَوْجَزَ وَأَغْزَلَ أَبْيَاتٍ قِيلَتْ.

ثُمَّ جَاءَ الْفَصْلُ الْخَامِسُ مِنْ أَعْظَمِ أَبْوَابِ هَذَا الْكِتَابِ وَأَدَقِّهَا؛ حَيْثُ ضَمَّنَهُ السَّرِقَاتِ وَالْمُحَاذَاةَ ، وَقَدْ فَرَّقَ فِيهِ بَيْنَ أَنْوَاعِ الِانْتِحَالِ وَالِاخْتِزَالِ، وَالْإِحْسَانِ فِي السَّرْقِ وَالْإِسَاءَةِ وَذَكَرَ فُرُوقًا لَمْ يُسْبَقْ إِلَيْهَا فِي التَّفْرِيقِ بَيْنَ مَعَانِيهَا وَفِي جَمْعِهَا فِي هَذَا الْكِتَابِ .

وَأَمَّا الْفَصْلُ السَّادِسُ فَقَدْ جَعَلَهُ لِلْأَحَاجِي .

وَأَمَّا الْفَصْلُ السَّابِعُ فَقَدْ جَعَلَهُ لِلْأَبْيَاتِ الَّتِي اتَّفَقَتْ أَلْفَاظُ أَوَائِلِهَا وَاخْتَلَفَتْ مَعَانِيهَا، وَهَذَا أَيْضًا مِنْ أَعْلَى الْفُصُولِ فِي كِتَابِهِ .

ثُمَّ جَاءَ الْفَصْلُ الثَّامِنُ فَأَكْمَلَ فِيهِ مَا بَدَأَهُ فِي الْفَصْلَيْنِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ ذِكْرِ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي مَعَانٍ مُعَيَّنَةٍ ، وَقَدْ أَحْسَنَ النَّظَرَ وَالْفَهْمَ وَالْجَمْعَ فِي هَذَا جِدًّا، وَمِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي فِي هَذَا الْفَصْلِ (امْتِزَاجُ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيهَا) الَّذِي وَقَعَ عَلَيْهِ اخْتِيَارِي لِدِرَاسَةِ الْأَحْكَامِ النَّقْدِيَّةِ فِيهِ وَمِنْ ثَمَّ نَقْدِهَا.

ثُمَّ خَتَمَ الْكِتَابَ بِفَصْلٍ عَالٍ جِدًّا وَهُوَ الْفَصْلُ التَّاسِعُ حَيْثُ جَعَلَهُ لِلسَّابِقِ وَالْمُصَلَّى[1]

---

(١) المُصَلَّى منْ خيْل السِّباقِ: "الذي يتْلُو السَّابِقَ" الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (ت ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مادة (صلو) ٢٤٠٢/٦، الناشر: دار العلم للملايين –

←←←

أَيْ الْمَعَانِي الَّتِي كَانَ لِبَعْضِ الشُّعَرَاءِ فَضْلُ السَّبْقِ فِيهَا، وَأُخِذَتْ عَنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، وَاسْتَطْرَدَ فِيهِ إِلَى الْحَدِيثِ عَنْ السَّرِقَاتِ وَالتَّنَاصِّ الَّذِي بَدَأَهُ فِي الْفَصْلِ الْخَامِسِ كَمَا بَيَّنْتُ .

وَفِي كُلِّ مَعْنًى مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي فِي كُلِّ فَصْلٍ كَانَ يَأْتِي بِعَدَدٍ مِنْ الشَّوَاهِدِ الشِّعْرِيَةِ حَتَّى وَقَعَتْ شَوَاهِدُ الْكِتَابِ مُجْمَلَةً فِي أَلْفٍ وَسِتِّمِائَةٍ (١٦٠٠) شَاهِدًا، وَلِكَثْرَةِ هَذِهِ الشَّوَاهِدِ جَاءَ الْكِتَابُ فِي مُجَلَّدَيْنِ : الْأَوَّلُ يَبْدَأُ مِنْ الْفَصْلِ الْأَوَّلِ حَتَّى الْفَصْلِ الثَّالِثِ، وَقَدْ اسْتَغْرَقَ ذَلِكَ فِي (٤٥٠) صَحِيفَةً .

وَأَمَّا الْمُجَلَّدُ الثَّانِي فَقَدْ بَدَأَ مِنْ الْفَصْلِ الرَّابِعِ حَتَّى الْفَصْلِ التَّاسِعِ، وَقَدْ جَاءَ فِي ٢٥٨ صَحِيفَةً[1].

وَبِهَذَا كَانَ كِتَابُهُ مَوْسُوعَةً شِعْرِيَّةً أَبْدَعَ فِي جَمْعِهَا وَاخْتِيَارِهَا وَنَقْدِهَا وَاسْتِقْصَائِهَا، وَدَالًّا عَلَى سِعَةِ اطِّلَاعِهِ وَتَمَكُّنِهِ مِنْ عُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ جَدِيرًا بِالدَّرْسِ، وَكُلُّ مَعْنًى مِنْ الْمَعَانِي الَّتِي أَوْرَدَهَا تَسْتَحِقُّ بَحْثًا مُسْتَقِلًّا، وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى بَاحِثِينَ مُحِبِّينَ لِلْعِلْمِ يَبْذُلُونَ وَقْتَهُمْ حَتَّى يَرْصُدُونَ عُقُولَ أَهْلِ الْحَقِّ فِي كُلِّ زَمَنٍ.

وَإِذَا كَانَ عَقْلُ الْحَاتِمِيِّ بِهَذِهِ الدَّرَجَةِ الْعَالِيَةِ مِنْ الذَّكَاءِ وَحُسْنِ التَّبَصُّرِ وَالْجَمْعِ وَالِاسْتِقْصَاءِ، وَكَانَتْ مَوْهِبَتُهُ النَّقْدِيَّةُ فِي أَعْلَى دَرَجَاتِهَا فَإِنِّي أَسْتَطِيعُ الْقَوْلَ بِأَنَّهُ مِنْ الأَوَائِلِ الَّذِينَ أَسَّسُوا لِفَنِّ النَّقْدِ فِي زَمَانِهِ؛ إِذْ أَنَّهُ مِنْ عُلَمَاءِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهِجْرِيِّ.

←←←

بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م. ويستعارُ للإنسانِ إذا كانَ تالياً للأَوَّل في أي عملٍ كان.

(١) ينظر: حلية المحاضرة في صناعة الشعر لابن المظفر الحاتمي ، تحقيق: د. جعفر الكتابي دار الرشيد للنشر – العراق ١٩٧٩م .

الْعُنْصُرُ الثَّانِي

نَبْذَةٌ عَنْ مَعْنَى امْتِزَاجِ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيهَا .

امْتِزَاجُ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيهَا هُوَ أَسَاسُ امْتِزَاجِ الْأَرْوَاحِ وَلِذَا تَذُوبُ الْأَنَا بَيْنَ الْمُحِبّينَ، فَيَنْسَى كُلُّ طَرَفٍ مِنْهُمَا أَنَّهُمَا اثْنَانِ حَتَّى إِنَّهُ حِينَ يَتَحَدَّثُ مَعَ مَحْبُوبِهِ يَشْعُرُ أَنَّهُ يَتَحَدَّثُ مَعَ نَفْسِهِ، فَيُحَادِثُهُ مُحَادَثَةَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ، وَقَدْ عَرَّفَ ابْنُ الْقَيّمِ الْعِشْقَ فَقَالَ: " وَقَالَ بَعْضُ الْأَطِبَّاءِ الْعِشْقُ امْتِزَاجُ الرُّوحِ بِالرُّوحِ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنْ التَّنَاسُبِ وَالتَّشَاكُلِ فَإِذَا امْتَزَجَ الْمَاءُ بِالْمَاءِ امْتَنَعَ تَخْلِيصُ بَعْضِهِ مِنْ بَعْضٍ وَلِذَلِكَ تَبْلُغُ الْمَحَبَّةُ بَيْنَ الشَّخْصَيْنِ حَتَّى يَتَأَلَّمَ أَحَدُهُمَا بِتَأَلُّمِ الْآخَرِ، وَيَسْقَمَ بِسَقَمِهِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ .

وَيُذْكَرُ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُحِبُّ شَخْصًا فَمَرِضَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ يَعُودُونَهُ فَوَجَدُوا بِهِ خِفَّةً فَانْبَسَطَ مَعَهُمْ وَقَالَ مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ قَالُوا مِنْ عِنْدِ فُلَانٍ عَدْنَاهُ فَقَالَ: أَوَ كَانَ عَلِيلًا ؟ قَالُوا: نَعَمْ وَقَدْ عُوفِيَ . فَقَالَ وَاللَّهِ لَقَدْ أَنْكَرْتُ عِلَّتِي هَذِهِ وَلَمْ أَعْرِفْ لَهَا سَبَبًا غَيْرَ أَنِّي تَوَهَّمْتُ أَنَّ ذَلِكَ لِعِلَّةٍ نَالَتْ بَعْضَ مَنْ أَحَبَّ، وَلَقَدْ وَجَدْتُ فِي يَوْمِي هَذَا رَاحَةً فَفَرِحْتُ طَمَعًا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ شَفَاهُ، ثُمَّ دَعَا بِدَوَاةٍ فَكَتَبَ إِلَى مَحْبُوبِهِ:

إِنِّي حُمِمتُ وَلَم أَشعُر بِحُمّاكا ... حَتّى تَحَدَّثَ عُوّادي بِشَكْوَاكَا

فَقُلتُ ما كانَتِ الحُمّى لِتَعهَدَني ... مِن غَيرِ ما عِلَّةٍ إِلّا لِحُمّاكا

وَخَصلَةٍ هِيَ أَيضاً يُستَدَلُّ بِها ... عافانِيَ اللَهُ مِنها حينَ عافاكا

حتى اِتَّفَقَتْ نَفْسِي وَنَفسُكَ في ... هَذا وَذاكَ وَفي هَذا وَفي ذاكا

وَيُحْكَى أَنَّ رَجُلًا مَرِضَ مَنْ يُحِبُّهُ فَعَادَهُ الْمُحِبُّ فَمَرِضَ مِنْ وَقْتِهِ فَعُوفِيَ مَحْبُوبُهُ فَجَاءَ يَعُودُهُ فَلَمَّا رَآهُ عُوفِيَ مِنْ وَقْتِهِ وَأَنْشَدَ :

مرِضَ الحبيبُ فعُدْتُهُ ... فمرِضْتُ مِن خوفي عليهِ

فـــــأتى الحبيـــــبُ يعـــــودني فبَرِئْـــتُ مِـــن نَظـــرِي إليـــهِ(١)

وَأَنْتُ إِذَا تَأَمَّلْتَ الْوُجُودَ لَا تَكَادُ تَجِدُ اثْنَيْنِ يَتَحَابَانِ إِلَّا وَبَيْنَهُمَا مُشَاكَلَةٌ أَوْ اتِّفَاقٌ فِي فِعْلٍ أَوْ حَالٍ أَوْ مَقْصِدٍ، فَإِذَا تَبَايَنَت الْمَقَاصِدُ وَالْأَوْصَافُ وَالْأَفْعَالُ وَالطَّرَائِقُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ إِلَّا النَّفْرَةُ وَالْبُعْدُ بَيْنَ الْقُلُوبِ، وَيَكْفِي فِي هَذَا الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- :" مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ" (٢).

١() هذان البيتان قد بحثت عن قائلهما فوجدت من ينسبهما للإمام الشافعي – رحمه الله – فرجعت إلى ديوانه فلم أجدهما، فممن نسبهما له:

مناقب الشافعي للبيهقي (٣٨٤ – ٤٥٨ هـ)المحقق: السيد أحمد صقر،٢/٩٣، الناشر: مكتبة دار التراث – القاهرة الطبعة: الأولى، ١٣٩٠ هـ – ١٩٧٠ م.

الآداب الشرعية والمنح المرعية لمحمد بن مفلح (ت ٧٦٣هـ) ٢/٢٠٠الناشر: عالم الكتب.

الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي لجمال الدين المعروف بـ«ابن المبرد» (ت ٩٠٩ هـ)٢/١٢٢، تحقيق: د. رضوان مختار بن غربية، الناشر: دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة – السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م.

الأخلاق الزكية في آداب الطالب المرضية لأحمد الأهدل ١/ ٢٣٧، الناشر: بدون ناشر (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض) الطبعة: الثالثة، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م.

كما وجدت من يذكرهما من غير أن ينسبهما لأحد مثل: العقد الفريد٢/٢٨٥.

(أحسنُ ما سمعتُ) لأبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) وضع حواشيه: خليل عمران المنصور، ص:٩٦، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م. وهذا كتاب عال يحتاج إلى دراسات بلاغية نقدية من وجوه متنوعة، وسأكتب بمشيئة الله – تعالى– في وجه منها حتى أتابع فيه ما بدأته هنا في نقد النقد، والله أسأل أن يكتب التوفيق والفتح من عنده . حماسة الظرفاء، من أشعار المحدثين والقدماء للزوزني (ت ٤٣١هـ) ص:١٦.

(٢) الحديث في صحيح مسلم (٢٠٦ – ٢٦١ هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،٤/ ١٩٩٩، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة ، ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها (عام النشر: ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م.

←←←

ثُـمَّ إِنَّ مُـتَمِّمَ الِامْتِـزَاجِ الرُّوحِـيِّ، وَمُكَمِّـلَ الِاسْـتِينَاسِ الْقَلْبِـيِّ، وَمُصَـفِّيَ الِاخْـتِلَاطِ الصُّورِيِّ كَوْنُ الْقَلْبِ مَبْرَأَةً وَمَطْهَرَةً مِنْ الْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ وَالْعَوَارِضِ الْمُنْفِّرَةِ .(١).

وَأَمَّا " مَحَبَّةُ الْمُشَاكَلَةِ وَالْمُنَاسَبَةِ الَّتِي بَيْنَ الْمُحِبِّ وَالْمَحْبُوبِ . فَمَحَبَّـةٌ لَازِمَـةٌ لَا تَزُولُ إِلَّا لِعَارِضٍ يُزِيلُهَا، وَمَحَبَّـةُ الْعِشْقِ مِنْ هَذَا النَّوْعِ، فَإِنَّهَا اسْتِحْسَانٌ رُوحَانِيٌّ ، وَامْتِزَاجٌ نَفْسَـانِيٌّ، وَلَا يَعْرِضُ فِـي شَـيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَحَبَّـةِ مِنْ الْوَسْوَاسِ وَالنُّحُـولِ، وَشَغْلِ الْبَالِ ، وَالتَّلَفِ مَا يَعْرِضُ مِنْ الْعِشْقِ " (٢).

←←←

وكلام ابن القيم في: روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم ص: ٧٣، ٧٤ ،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الطبعة: ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣ م.

(١) إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز لبديع الزمان سعيد النورسي (ت ١٣٧٩هـ) بتصرف يسير، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي ص: ١٩٥، الناشر: شركة سوزلر للنشر – القاهرة. الطبعة: الثالثة ٢٠٠٢م.

(٢) الطب النبوي لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ص: ٢٠٣.، الناشر: دار الهلال – بيروت .

اَلْعُنْصُرُ الثَّالِثُ

نَقْدُ النَّقْدِ أَنْمَاطُهُ وَوَظِيفَتُهُ .

"نَقْدُ النَّقْدِ مُصْطَلَحٌ نَقْدِيٌّ كَثُرَتْ الدِّرَاسَاتُ حَوْلَ بَيَانِ مَفْهُومِهِ وَآلِيَّاتِهِ، وَمَعَ كَثْرَةِ هَذِهِ الدِّرَاسَاتِ فَإِنَّنَا لَا نَجِدُ تَعْرِيفًا لَهُ يُحِيطُ بِهِ إِحَاطَةً كَامِلَةً حَتَّى فِي تَارِيخِ نَشْأَتِهِ، وَلَعَلَّ مِنْ أَبْرَزِ مَا قِيلَ فِيهِ هُوَ قَوْلُ جَابِرِ عُصْفُورٍ الَّذِي سَمَّاهُ بِالنَّقْدِ الشَّارِحِ حَيْثُ قَالَ: " وَإِذَا كَانَ النَّقْدُ الْأَدَبِيُّ، فِي أَبْسَطِ مَفَاهِيمِهِ بِوَصْفِهِ خِطَابًا لُغَوِيًّا، هُوَ كُلُّ الْعِبَارَاتِ الْمَوْجُودَةِ عَنْ الْأَعْمَالِ الْأَدَبِيَّةِ، فِي إِشَارَاتِهَا الْمُبَاشِرَةِ أَوْ غَيْرِ الْمُبَاشِرَةِ إِلَى هَذِهِ الْأَعْمَالِ، فَإِنَّ النَّقْدَ الشَّارِحَ هُوَ الْخِطَابُ الَّذِي يُنَزِّلُ هَذِهِ الْعِبَارَاتِ مَنْزِلَةَ الْمَوْضُوعِ وَيَضَعُهَا مَوْضِعَ الْمُسَاءَلَةِ، مُخْتَبِرًا سَلَامَتَهَا الْمَنْطِقِيَّةَ وَاتِّسَاقَهَا الْفِكْرِيَّ، وَيَصْعَدُ مِنْهَا إِلَى الْأَنْسَاقِ الَّتِي تَحْتَوِيهَا، مُحَلِّلًا أَبْعَادَهَا الْوَظِيفِيَّةَ وَدَلَالَاتِهَا التَّأْوِيلِيَّةَ ، مُتَرْجِمًا الْأَنْسَاقَ إِلَى مَقُولَاتٍ أَوْ مَبَادِئَ تَصَوُّرِيَّةٍ تُؤَسِّسُ حُضُورَ النَّظَرِيَّةِ. هَكَذَا يَغْدُو النَّقْدُ الشَّارِحُ الْمَجَالَ الْمَعْرِفِيَّ الَّذِي يَصِلُ بَيْنَ حُدُودِ النَّقْدِ التَّطْبِيقِيِّ حُدُودَ النَّظَرِيَّةِ، فِي مُتَّصِلٍ يَبْدَأُ مِنْ تَصْنِيفِ عِبَارَاتِ النَّقْدِ التَّطْبِيقِيِّ وَيَنْتَهِي بِتَحْلِيلِ الْمَفَاهِيمِ الْكُلِّيَّةِ . وَالْمَسَافَةُ بَيْنَ طَرَفَيْ الْمُتَّصِلِ الْمُتَدَرِّجِ هِيَ الْمَسَافَةُ بَيْنَ مُسْتَوَيَاتِ النَّقْدِ الشَّارِحِ فِي الْآلِيَّاتِ الْمُتَرَتِّبَةِ لِإِشَارَاتِهِ إِلَى لُغَةِ الْمَوْضُوعِ – النَّقْدِ الْأَدَبِيِّ – فِي تَعَدُّدِ أَبْعَادِهَا وَوَظَائِفِهَا".(١)

أَيْ " إِنَّ هذَا الْخِطَابَ لَا يَخْرُجُ عَنْ الْآلِيَّاتِ الَّتِي يُشْغَلُ بِهَا الْخِطَابُ النَّقْدِيُّ لَكِنْ مِمَّا يَتَمَيَّزُ بِهِ نَقْدُ النَّقْدِ عَنْ الْخِطَابِ النَّقْدِيِّ هُوَ تَقْيِيمُ الْمُدَوَّنَةِ النَّقْدِيَّةِ فِي إِطَارٍ يَقُومُ عَلَى إِعَادَةِ قِرَاءَتِهَا مِنْ جَدِيدٍ أَوْ بِمُصْطَلَحِ عَلِي حَرْبٍ قِرَاءَةِ الْقِرَاءَةِ "(٢).

---

(١) نظريات معاصرة لجابر عصفور ص : ٢٨٧، ٢٨٨. الناشر: مكتبة :الأسرة – ١٩٩٨م.

(٢) نقد النقد وآليات اشتغاله في الثقافة العربية من التنظير إلى التطبيق للدكتور نورالدين جويني ص: ١٨٣، بحث منشور في مجلة جامعة أبو القاسم سعد الله – الجزائر العدد ٣ سنة ٢٠١٩م .

وَلِنَقَدَ النَّقْدِ مُسْتَوَيَاتٌ ثَلَاثَةٌ بَيَّنَهَا جَابِرُ عُصْفُورٍ هِيَ :

١ . مُسْتَوَى النَّسَاوُلِ

٢ . الْمُسْتَوَى التَّفْسِيرِيُّ .

٣ . مُسْتَوَى الْمُرَاجَعَةِ الْكُلِّيَّةِ .

فَأَمَّا الْمُسْتَوَى الْأَوَّلُ فَهُوَ" الْمُسْتَوَى الْأَلْصَقُ بِالنَّقْدِ التَّطْبِيقِيّ، وَيَبْدَأُ هَذَا النَّوْعُ فِي تَحْوِيلِ الْخِطَابِ النَّقْدِيّ إِلَى مَوْضُوعٍ لِمُسَاءَلَتِهِ، طَارِحًا أَسْئِلَةً مِنْ قَبِيلِ: كَيْفَ انْتَهَى النَّاقِدُ إِلَى تَفْسِيرِهِ ذَلِكَ ؟ وَمَا عَلَاقَتُهُ بِالْحُكْمِ عَلَى قِيمَتِهَا التَّفْسِيرِيَّةِ الْجَمَالِيَّةِ وَمَكَانَتِهِ الْأَدَبِيَّةِ ؟ وَأَيُّ نَوْعٍ مِنْ الدَّلَائِلِ يَدْعَمُ التَّفْسِيرَ وَالْكَمْنَ ، وَهَلْ صِيغَ مَفْهُومُ النَّمُوذَجِ الْأَعْلَى فِي الْعَمَلِ الْأَدَبِيّ سَبَبًا لِلْحُكْمِ عَلَيْهِ بِالْقِيمَةِ ؟ وَكَيْفَ تَرْتَدُّ قِيمَةُ تَجْسِيدِ النَّمُوذَجِ إِلَى عَلَاقَةِ الْخَاصّ وَالْعَامّ ؟ وَمَا نَوْعُ هَذِهِ الْعَلَاقَةِ الَّتِي يَرَاهَا النَّقْدُ فِي النَّصّ أَسَاسًا لِبِنَاءِ النَّمُوذَجِ الْأَعْلَى ؟ وَمَا دَلَالَةُ الْإِلْحَاحِ عَلَى هَذَا النَّمُوذَجِ دُونَ غَيْرِهِ فِي فَهْمِ الْأَعْمَالِ الْأَدَبِيَّةِ ؟ وَهَلْ لِهَذَا الْإِلْحَاحِ صِلَةٌ بِعَالَمِ النَّقْدِ وَسِيَاقِهِ الثَّقَافِيّ ؟ وَهَلْ يُنْبِئُ عَنْ رُؤْيَةٍ خَاصَّةٍ بِالنَّاقِدِ أَوْ عَنْ رُؤْيَةٍ نَقْدِيَّةٍ سَائِدَةٍ ؟ وَمَا عَلَاقَةُ هَذِهِ الرُّؤْيَةِ بِعَلَاقَاتِ إِنْتَاجِ الْمَعْرِفَةِ النَّقْدِيَّةِ الْمُتَاحَةِ ؟ وَعِنْدَمَا تَتَحَوَّلُ أَسْئِلَةُ النَّاقِدِ التَّطْبِيقِيّ إِلَى إِجَابَاتٍ كَاشِفَةٍ يَصُوغُهَا الْخِطَابُ النَّقْدِيُّ فِي إِشَارَاتِهِ الْمُبَاشِرَةِ إِلَى نَصّ أَدَبِيّ بِعَيْنِهِ أَوْ مَجْمُوعَةِ نُصُوصٍ يَنْتَهِي عَمَلُ النَّقْدِ التَّطْبِيقِيّ.

أَمَّا الْمُسْتَوَى الثَّانِي فَهُوَ مُسْتَوَى تَفْسِيرِيٌّ، لِأَنَّ فِعْلَ الِاسْتِنْطَاقِ الَّذِي يَقُومُ بِهِ هَذَا النَّقْدُ هُوَ فِعْلٌ تَأْوِيلِيٌّ فِي جَانِبٍ مِنْهُ ؛ فَهُوَ قِرَاءَةٌ تَبْحَثُ عَنْ دَلَالَةٍ فِي قِرَاءَةٍ وَجَدَتْ دَلَالَةً ، وَهُوَ مُحَاوَلَةُ اكْتِشَافِ عَنَاصِرٍ تَكَوُّنِيَّةٍ لِخِطَابِ نَقْدٍ تَطْبِيقِيّ بِوَاسِطَةِ تَفْكِيكِ هَذَا الْخِطَابِ إِلَى عَنَاصِرَ بِنَائِيَةٍ عَلَى نَحْوٍ يُعِيدُ وَصْلَ هَذِهِ الْعَنَاصِرِ فِي عَلَاقَاتٍ تُنْطِقُ مَعْنَى الْخِطَابِ وَدَلَالَتَهُ عَلَى الْعَامِ التَّارِيخِيّ لِلنَّاقِدِ الْقَارِئِ فِي عَلَاقَتِهِ بِالْعَالَمِ التَّارِيخِيّ لِلنَّصّ الْمَقْرُوءِ.....

الْمُسْتَوَى الثَّالِثُ وَالْأَخِيرُ مِنْ مُسْتَوَيَاتِ نَقْدِ النَّقْدِ هُوَ مُسْتَوَى الْمُرَاجَعَةِ الْكُلِّيَّةِ، وَهُوَ الَّذِي يَقُومُ بِدَوْرِ التَّأْصِيلِ عَلَى الْمُسْتَوَى الْمَنْهَجِيِّ الْخَالِصِ، فِي نَوْعٍ مِنْ الْمُرَاجَعَةِ الْكُلِّيَّةِ الَّتِي تَنْشَغِلُ بِالْمَفَاهِيمِ وَالتَّصَوُّرَاتِ النَّقْدِيَّةِ الْكُبْرَى الَّتِي فَرَغَ مِنْهَا التَّنْظِيرُ وَانْطَلَقَتْ الْمُمَارَسَاتُ النَّقْدِيَّةُ مِنْ التَّسْلِيمِ بِهَا، وَتَكْشِفُ تِلْكَ الْمُرَاجَعَةُ عَنْ الْمَبَادِئِ التَّصَوُّرِيَّةِ الْفَاعِلَةِ فِي الْمُمَارَسَةِ النَّقْدِيَّةِ عَلَى نَحْوٍ يُؤَدِّي إِلَى تَعْمِيقِ وَاسْتِكْمَالِ لَوَازِمِهَا وَتَوَابِعِهَا وَأَحْكَامِ إِجْرَاءَاتِهَا وَأَدَوَاتِهَا، أَوْ تُفْضِي الْمُرَاجَعَةُ إِلَى الْكَشْفِ عَنْ جُمُودِ هَذِهِ الْمَبَادِئِ وَتَخَلُّفِهَا عَنْ اللَّحَاقِ بِالْمُتَغَيِّرَاتِ الْمُتَسَارِعَةِ الْمُتَلَاحِقَةِ فِي الْوَاقِعِ الْفِعْلِيِّ لِسِيَاقَاتِ الْمُمَارَسَةِ وَالتَّنْظِيرِ.

وَمُسْتَوَى الْمُرَاجَعَةِ يَقُومُ فِي جَانِبٍ مِنْهُ عَلَى التَّأَمُّلِ الَّذِي رُبَّمَا يَكْشِفُ أَنْظِمَةً تَحْتِيَّةً تُحَوِّلُ التَّنَافُرَ أَوْ صُعُوبَةَ الْفَهْمِ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ قَابِلٍ لِلْفَهْمِ، وَهِيَ تَعْمَلُ عَلَى تَأَمُّلِ مَدَى تَقَارُبِ أَوْ الْعَنَاصِرِ الْمُشَكِّلَةِ لِعَنَاصِرِ الْعَمَلِ النَّقْدِيِّ عَنْ غَيْرِهَا مِنْ الْأَنْظِمَةِ، كَمَا تَعْمَلُ أَيْضًا عَلَى مُلَاحَظَةِ قُرْبِ هَذِهِ الْأَنْظِمَةِ إِلَى الْأَقْوَالِ النَّقْدِيَّةِ أَوْ بُعْدِهَا عَنْ النُّصُوصِ الْإِبْدَاعِيَّةِ الْمَدْرُوسَةِ، كَمَا يَنْبَغِي أَلَّا تَتِمَّ هَذِهِ الْمُرَاجَعَةُ إِلَّا إِذَا تَعَامَلْنَا مَعَ النَّصِّ الْإِبْدَاعِيِّ الْمَنْقُودِ بِاعْتِبَارِهِ نِظَامًا مُسْتَقِلًّا عَنْ الْأَنْظِمَةِ النَّقْدِيَّةِ الَّتِي تَدْرُسُهُ[1] .

وَظِيفَةُ نَقْدِ النَّقْدِ

لَمَّا كَانَتْ مَنْزِلَةُ هَذَا النَّمَطِ مِنْ الدِّرَاسَاتِ عَالِيَةً كَانَ هَذَا دَلِيلًا عَلَى أَنَّ وَظِيفَتَهُ تَخْتَلِفُ عَنْ وَظِيفَةِ النَّقْدِ الْأَوَّلِ السَّابِقِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ نَقْدٌ عَلَى نَقْدٍ وَهَذِهِ الْوَظَائِفُ أُجْمِلُهَا فِيمَا يَلِي :

أَنَّهُ يَقُومُ بِقِرَاءَةِ النُّصُوصِ قِرَاءَةً مُتَأَنِّيَةً لَهَا أَهْدَافٌ مُتَعَدِّدَةٌ، فَتَرَى النَّاقِدَ فِيهِ مِنْ خِلَالِ قِرَاءَتِهِ يَهْدِفُ إِلَى مَعْرِفَةِ وَجْهِ الْحُكْمِ النَّقْدِيِّ الَّذِي أَصْدَرَهُ النَّاقِدُ الْأَوَّلُ عَلَى النَّصِّ،

---

(١) نظريات معاصرة لجابر عصفور ص : ٢٨٧، ٢٨٨.

وَهَذَا هُوَ الْهَدَفُ الْأَوَّلُ وَهُوَ يَشْتَرِكُ فِيهِ مَعَ النَّقْدِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ تَرَاهُ يَنْظُرُ فِي الْحُكْمِ بَعْدَ تَوْجِيهِهِ هَلْ هُوَ مُصِيبٌ أَوْ لَا، وَهَذَا هُوَ صَمِيمُ نَقْدِ النَّقْدِ، وَنَسْتَنْتِجُ مِنْهُ أَنَّ نَقْدَ النَّقْدِ لَا يَعْنِي الْوُقُوفَ عَلَى مَا أَخْفَقَ فِيهِ النَّاقِدُ الْأَوَّلُ فَحَسْبُ، بَلْ يَعْنِي أَيْضًا اسْتِحْسَانَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مِنْ أَحْكَامٍ وَالتَّأْكِيدَ عَلَى صِحَّتِهَا، فَهُوَ يَعْنِي بِاخْتِصَارٍ الْحُكْمُ بِالِاسْتِحْسَانِ أَوْ بِعَدَمِهِ وَلَيْسَ بِعَدَمِهِ فَحَسْبُ .

أَنَّهُ يَهْتَمُّ بِبَيَانِ الْفَوَارِقِ بَيْنَ النُّصُوصِ الَّتِي كَانَ الْحُكْمُ فِيهَا مَبْنِيًّا عَلَى الْمُفَاضَلَةِ فِيمَا بَيْنَهَا .

أَنَّهُ يُصْدِرُ أَحْكَامًا نَقْدِيَّةً تُعَدُّ فِي مَرْحَلَةٍ أَعْلَى مِنْ الْأَحْكَامِ الَّتِي فِي النَّقْدِ الْأَوَّلِ؛ لِأَنَّهُ حُكْمٌ عَلَى النَّقْدِ الْأَوَّلِ وَهَذَا يَجْعَلُهُ مِنْ أَدَقِّ الدِّرَاسَاتِ وَأَعْمَقِهَا .

أَنَّ الْحُكْمَ النَّقْدِيَّ فِيهِ لَابُدَّ وَأَنْ يَسْتَنِدَ إِلَى شَوَاهِدَ وَأَدِلَّةٍ تُثْبِتُهُ حَتَّى يَكُونَ مُقْنِعًا، ولهذا فَالْحُكْمُ النَّقْدِيُّ فِيهِ يَكُونُ دَقِيقًا .

أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى مُصْطَلَحَاتِ الْحُكْمِ النَّقْدِيِّ الَّذِي أُصْدِرَتْ عَلَى النَّصِّ نَظْرَةً عَمِيقَةً مُتَأَنِّيَةً تَجْعَلُهُ يَصِلُ إِلَى نَتِيجَةٍ تَتَّصِلُ بِتَنَاسُبِ هَذِهِ الْأَحْكَامِ أَوْ عَدَمِهِ مَعَ النَّصِّ الْمَنْقُودِ، كَمَا يُبَيِّنُ هَلْ هِيَ أَحْكَامٌ كُلِّيَّةٌ أَو جُزْئِيَّةٌ، وَهَذَا يَجْعَلُ النَّاقِدَ يَعْرِفُ فِكْرَ النَّاقِدِ الْأَوَّلِ هَلْ كَانَ فِكْرُهُ كُلِّيًّا مُتَنَاسِقًا أَمْ جُزْئِيًّا.

الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ

مُنَاقَدَةُ الْحَاتِمِيِّ فِي مَرَاتِبَ حُسْنِ امْتِزَاجِ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيهَا(١).

اعْلَمْ أَنَّ الشُّعَرَاءَ طَبَقَاتٌ وَمَرَاتِبُ مُخْتَلِفَةٌ كَمَا أَشَارَ الْجَاحِظُ إِلَى ذَلِكَ حَيْثُ قَالَ: " وَالشُّعَرَاءُ عِنْدَهُمْ أَرْبَعُ طَبَقَاتٍ . فَأَوَّلُهُمْ : الْفَحْلُ الْخِنْذِيذُ . وَالْخِنْذِيذُ هُوَ التَّامُّ . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : قَالَ رُؤْبَةُ : « الْفُحُولَةُ هُمْ الرُّوَاةُ » . وَدُونَ الْفَحْلِ الْخِنْذِيذُ الشَّاعِرُ الْمُفْلِقُ، وَدُونَ ذَلِكَ الشَّاعِرُ فَقَطْ، وَالرَّابِعُ الشِّعْرُورُ"(٢)، وَتَبَعًا لِذَلِكَ تَخْتَلِفُ مَرَاتِبُ الْإِبَانَةِ عَنْ الْمَعْنَى بِاخْتِلَافِ طَبَقَاتِ الشُّعَرَاءِ فَ" كُلَّمَا كَانَ الْمُتَكَلِّمُ أَكْثَرَ إِحْسَاسًا بِفُرُوقِ الْمَعَانِي، وَأَكْثَرَ تَذَوُّقًا لِفُرُوقِ الْعَنَاصِرِ الْجَمَالِيَّةِ فِي الْكَلَامِ، وَأَكْثَرَ إِدْرَاكًا لِمُطَابَقَةِ الْكَلَامِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ، كَانَ أَحْسَنَ اخْتِيَارًا مِنْ الْبَدَائِلِ الَّتِي يَصْلُحُ كُلٌّ مِنْهَا لِأَدَاءِ أَصْلِ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ بِوَجْهٍ عَامٍّ، وَبِسَبَبِ ذَلِكَ تَتَفَاوَتُ مَرَاتِبُ الْكَلَامِ الْبَلِيغِ وَدَرَجَاتُ كُلِّ مَرْتَبَةٍ مِنْهَا، وَتَتَفَاضَلُ مَرَاتِبُ الْبُلَغَاءِ وَدَرَجَاتُهُمْ فِي إِنْشَاءِ الْكَلَامِ الْبَلِيغِ وَالْإِبْدَاعِ فِيهِ. "(٣).

وَقد سُمِّى المَقَامُ بِالْمَقَامِ؛ "لِأَنَّ مَرَاتِبَ الْكَلَامِ تَتَفَاوَتُ بِالْأَحْوَالِ، كَمَا أَنَّ مَرَاتِبَ الرِّجَالِ وَدَرَجَاتِهِمْ تَتَفَاوَتُ بِالْمَقَامَاتِ"(٤).

---

(١) وإنما قلت في العنوان (مناقدة الحاتمي) وإن كانت الأحكام ليست صادرة منه؛ لأن مجرد نقله لها وعدم اعتراضه على شيء منها يجعلها رأيه.

(٢) البيان والتبيين للجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ٨/٢، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت عام النشر: ١٤٢٣ هـ.

٣() البلاغة العربية لحَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت ١٤٢٥هـ) ٤٣٦/١، الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

٤() حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢ هـ) [ومختصر السعد هو شرح تلخيص مفتاح العلوم لجلال الدين القزويني] المؤلف: محمد بن عرفة الدسوقي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ص:٢٢٩، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.

وَتَبَعًا لِذَلِكَ كُلِّهِ كَانَتْ الْبَلَاغَةُ فِي الْكَلَامِ على مَرَاتِبَ وَدَرَجَاتٍ تَتَفَاوَتُ فِي الْحُسْنِ، فَيَفُوقُ بَعْضُ الْكَلَامِ بَعْضَهُ، فَـ" لِلْبَلَاغَةِ طَرَفَانِ، أَعْلَى إِلَيْهِ تَنْتَهِي، وَهُوَ حَدُّ الْإِعْجَازِ وَمَا يَقْرُبُ مِنْهُ، وَأَسْفَلُ مِنْهُ تَبْتَدِئُ ، وَهُوَ مَا إِذَا غُيِّرَ الْكَلَامُ عَنْهُ إِلَى مَا هُوَ دُونَهُ الْتَحَقَ عِنْدَ الْبُلَغَاءِ بِأَصْوَاتِ الْحَيَوَانَاتِ، وَإِنْ كَانَ صَحِيحَ الْإِعْرَابِ، وَبَيْنَ الطَّرَفَيْنِ مَرَاتِبُ كَثِيرَةٌ مُتَفَاوِتَةٌ"(١).

وَإِذْ قَدْ عَرَفْتَ فِيمَا سَبَقَ أَنَّ اخْتِلَافَ مَرَاتِبِ الْإِبَانَةِ عَنْ الْمَعْنَى يَكُونُ تَبعًا لِاخْتِلَافِ فُحُولةِ الشُّعَرَاءِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ يَحْدُثُ بَيْنَ الشُّعَرَاءِ تَلَاقٍ فِي الْمَعَانِي الْكُلِّيَّةِ بَيْنَ الْمَعْنَى الشِّعْرِيِّ الْوَاحِدِ أَوْ بَيْنَ جَمِيعِ الْمَعَانِي، وَأَنَّ التَّفْضِيلَ بَيْنَهُمْ عِنْدَ النُّقَّادِ قَائِمٌ عَلَى الْمَعْنَى الْأَخَصِّ لِذَلِكَ تَرَى سَيِّدَنَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – يُقْبِلُ عَلَى النَّاسِ حِينَمَا اخْتَلَفُوا فِي أَشْعَرِ النَّاسِ حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ فَيَقُولُ لَهُمْ:" كُلُّ شُعَرَائِكُمْ مُحْسِنٌ، وَلَوْ جَمَعَهُمْ زَمَانٌ وَاحِدٌ وَغَايَةٌ وَمِذَبٌ وَاحِدٌ فِي الْقَوْلِ لَعَلِمْنَا أَيَّهُمْ أَسْبَقَ إِلَى ذَلِكَ، وَكُلُّهُمْ قَدْ أَصَابَ الَّذِي أَرَادَ وَأَحْسَنَ فِيهِ، وَإِنْ يَكُنْ أَحَدُهُمْ أَفْضَلَ، فَالَّذِي لَمْ يَقُلْ رَغْبَةً وَلَا رَهْبَةً : امْرُؤُ الْقَيْسِ بْنُ حُجْرٍ، كَانَ أَنْصَحَهُمْ بَادِرَةً، وَأَجْوَدَهُمْ نَادِرَة."(٢).

وَلِذَلِكَ تَرَى الْقَوْلَ الْوَاحِدَ أَوْ الْمَعْنَى الْوَاحِدَ وهو (امْتِزَاجُ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيهَا) كَانَ أَسَاسَ التَّفْضِيلِ الَّذِي بَنَى عَلَيْهِ الْحَاتِمِيُّ مَا ذَكَرَهُ مِنْ أَحْكَامٍ نَقْدِيّةَ.

١() الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ١٨٧/٢، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ط/أولى ٢٠٠٣ – ١٤٢٤هـ..

٢() الرسالة الشافية (مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) للشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، ص: ١٣٠ وما بعدها، الناشر: دار المعارف بمصر الطبعة: الثالثة، ١٩٧٦م.

وفِي هَذَا الْمَبْحَثِ نَرَاه يُطَبَّقُ ذَلِكَ فَيَأْتِي بِثَلَاثَةِ شَوَاهِدَ اشْتَرَكَتْ فِي أَنَّ كُلَّ شَاهِدٍ مِنْهَا لَهُ مَرْتَبَةٌ مِنْ مَرَاتِبِ الْحُسْنِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى مَعْنَى امْتِزَاجِ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيهَا، وَهَذَا الْحُكْمُ النَّقْدِيُّ الْمُتَدَرِّجُ فِيهَا تَصَاعُدِيًّا نَقَلَهُ الْحَاتِمِيُّ مِنْ حِوَارٍ دَارَ بَيْنَ ابْنِ أَبِي فَنَنٍ(١) وَعَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ(٢) حَيْثُ كَانَ كُلٌّ مِنْهُمَا يَحْكُمُ بِحُكْمٍ نَقْدِيٍّ عَلَى قَوْلِ شَاعِرٍ فَيَأْتِي بَعْدَهُ الْآخَرُ بِقَوْلٍ آخَرَ يَرَى أَنَّهُ أَحْسَنُ مِنْهُ فَيَقُولُ: وَأَحْسَنُ مِنْهُ قَوْلُ فُلَانٍ، وَإِلَيْكَ الشَّوَاهِدُ مُحَلَّلَةً :

يَقُولُ الْحَاتِمِيُّ: " أَخْبَرَنِي مُحَمَّدٌ بْنُ يَحْيَى قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْأَزْدِيُّ قَالَ: كَانَ ابْنُ أَبِي فَنَنٍ كَثِيرًا مَا يُنْشِدُ قَوْلَ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ [بَسِيطٌ] :

مَا أَنْسَ لَا أَنْسَ يُمناها مُعَطَّفَةً ... عَلَي فُؤَادِي وَيُسْرَاهَا عَلَى رَاسِ

وَقَوْلَهَا لَيْتَهُ ثَوْبٌ عَلَى جَسَدِي ... وَلَيْتَنِي كُنْتُ سِرْبَالًا لِعَبَّاسِ

أَوْ لَيْتَهُ كَانَ لِي خَمْرًا وَكُنْتُ لَهُ ... مِنْ مَاءِ مُزْنٍ وَكُنَّا الدَّهْرَ فِي

---

(١) ابن أبي فنن "هو شاعر مجيد من شعراء بغداد، وكانت له أغراض مستطرفة ومعان مستحكمة" سمط اللآلي في شرح أمالي القالي [هو كتاب شرح أمالي القالي / لأبي عبيد البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ)، تحقيق: عبد العزيز الميمني، ١/ ٢٤٥، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

واسمه : "أحمد بن صالح بن أبي معشر، وكنيته صالح أبو فنن، مولى المنصور؛ كان أسود اللون، وبلغ سنًا عالية، توفي بين الستين والسبعين والمائتين، رحمه الله تعالى" فوات الوفيات لمحمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ) تحقيق: إحسان عباس ١/ ٧٠ الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الأولى ١٩٧٣ م.

(٢) لم أعثر على ترجمة له.

(٣) وهذه الأبيات التي أوردها الحاتمي في كتابه ليست بهذا الترتيب في ديوان العباس مع تغيير في بعض ألفاظها والقصيدة في ديوانه هكذا:

اليَوْمَ طَابَ الهَوى يا مَعْشَرَ النَّاسِ ... وأُلبِسْتُ فَوزُ حبّي كُلَّ إلباسِ

←←←

قَالَ وَيَقُوْلُ ابْنُ أَبِي فَنَنٍ: هَذَا أَحْسَنُ مَا قِيْلَ فِي مَعْنَاهُ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَبْدِ المَلِكِ: فَقُلْتُ لَهُ: (أَحْسَنُ مِنْهُ قَوْلُ أَبِي عُيَيْنَةَ المُهَلَّبِيّ)(١) [الخفيف]:

حِـيْنَ قَالَـتْ دُنْيَـا عَـلَامَ نَهَـارًا ... جِئْـتَ هَـلَّا انْتَظَرْتَ وَقْـتَ المَسَـاءِ

ذَاكَ إِذ رُوْحهَـا ورُوْحِـي مِزَاجَـانِ ... كَأَصْـفَى خَمْـرٍ بِأَعْـذَبِ مَـاءِ(٢)

→→→

مـا أنـسَ لا أنـسَ يُمناهـا معطَّفـةً ... علـى فـؤادي ويُسـراها علـى رَاسِ

قالـت وإنسـانُ مـاءِ العـينِ فـي لُجَـجٍ ... يكـادُ ينطِـقُ عـن كـرب ووَسـواسِ

يَطفُـو ويَرْسُـو غريقـاً مـا تُكَفكِفُـهُ ... كـفٌّ فيـا لـكَ مـن طـافٍ ومـن راسِ

عبّـاسُ ليتَـك سِـرْبالي علـى جَسـدي ... أوْ لَيتَنـي كنـتُ سِـرْبالاً لعَبّـاسِ

أوْ لَيتَـه كـانَ لـي رَاحـاً وكنـتُ لَـهُ ... مـن مـاء مُـزْنٍ فكُنّـا الـدّهر فـي كـاسِ

أوْ لَيتَنـا طـائرا إلْـفٍ بمَهْمَهَـةٍ ... نخلـو جميعـاً ولا نـأوي إلـى النّـاسِ

ديوان العباس بن الأحنف، شرح وتحقيق: عاتكة الخزرجي، ص:١٥٦، الناشر: مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

(١) هو " أبو عيينة بن محمد ابن أبى عيينة بن المهلب، شاعر مطبوع" الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب لابن ماكولا (ت ٤٧٥ هـ) تحقيق: عبد الرحمن اليماني، [ت ١٣٨٦هـ]٦/ ١٢٥ ، طبع دائرة المعارف العثمانية، الهند، الطبعة الأولى (١٣٨١ هـ =١٩٦١ م) . وترجمته أيضا في : توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم لأبي بكر الدمشقي (ت ٨٤٢هـ) تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي ٦/ ١٧٢ الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الأولى- ١٩٩٣م وفي : تبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) تحقيق: محمد علي النجار ٣/ ٩٣٠ مراجعة: علي محمد البجاوي الناشر: المكتبة العلمية، بيروت - لبنان.

(٢) شعر أبي عيينة المُهَلَّبِيّ للدكتور/ عبد القادر الرباعي ص:٥٧.

قال: فقال لي «أحسن من هذا بيت ابن أبي عُيَيْنَةَ المطبوع [1][كامل]:

حَتَّى إِذَا اخْتَلَطَتْ بِنَفْسِي نَفْسُهَا ... كَالخَمْرِ تُقْرَعُ بِالزُّلَالِ البَارِدِ

خَافَتْ فَقُلْتُ لَهَا اسْكُتِي إِذْ مَسَّهَا ... جَهْدُ الفِرَاقِ مَعَ البَلَاءِ الجاهِدِ

مَا تَشْتَكِيْنَ أَنَا الفِدَا لَكِ وَالحِمَى ... لَوْ أَسْتَطِيْعُ لَكُنْتُ أَوَّلَ عَائِدِ

قَالَتْ فِرَاقَكَ وَالصَّبَابَةَ وَالَّذِي ... أَخْشَى عَلَيْكَ مِنَ الرَّقِيْبِ

فَكَمَا تَرَى بَدَأَ الْحَاتِمِيُّ بِسَرْدِ هَذَا الْحِوَارِ الَّذِي دَارَ بَيْنَ ابْنِ أَبِي فَنَنٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَالَّذِي أَخْبَرَ الْحَاتِمِيُّ بِهَذَا الْحِوَارِ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى .

وَفِي هَذَا الْحِوَارِ قَدْ أَصْدَرَ كُلٌّ مِنْ الْمُتَحَاوِرَيْنِ ثَلَاثَةَ أَحْكَامٍ نَقْدِيَّةٍ. اثْنَيْنِ مِنْهَا لِابْنِ أَبِي فَنَنٍ، وَالثَّالِثَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهَذِهِ الْأَحْكَامُ هِيَ :

حَكَمُ ابْنِ أَبِي فَنَنٍ عَلَى قَوْلِ الْعَبَّاسِ بِأَنَّهُ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي مَعْنَاهُ .

حُكْمُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى قَوْلِ الْمُهَلَّبِيِّ بِأَنَّهُ أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِ الْعَبَّاسِ .

حَكَمُ ابْنُ أَبِي فَنَنٍ عَلَى بَيْتِ ابْنِ أَبِي عُيَيْنَةَ بِأَنَّهُ أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِهِ الَّذِي ذَكَرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ .

---

(١) لم أعثر على هذه الأبيات في شعر أبي عيينة، فبحثت كثيرا لَعَلِّي أجد من ينسبها لأحد غير المُهَلَّبِيّ، فلم أجد أحدا نسبها ولا ذكرها من أصله، وحتى المصدر الثاني الذي ذكرها نقلها بنصها من حلية المحاضرة، وهو الدر الفريد في بيت القصيد للمستعصمي (٦٣٩ هـ - ٧١٠ هـ) ٩/ ١٢٥، تحقيق: الدكتور كامل سلمان الجبوري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.

وبذلك تكون هذه الأبيات معروفة ومنسوبة إليه بالرواية، ولم تثبت في ديوانه؛ فكما ترى أول من رواها هو عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْأَزْدِيُّ الذي قالها لمُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الذي أخبر الحاتمي بها.

(٢) حلية المحاضرة في صناعة الشعر لابن المظفر الحاتمي ٢/ ٢٣٠ وما بعدها.

وَلْنَنْظُرْ إِلَى هَذِهِ الْأَحْكَامِ الثَّلَاثَةِ وَسَنَجِدُ أَنَّ اسْتِحْسَانَ ابْنِ أَبِي فَنَنٍ لِقَوْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ:(وَقَوْلُهَا لَيْتَهُ ثَوْبٌ عَلَى جَسَدِي....) وَجَعْلَهُ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي مَعْنَى امْتِزَاجِ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيهَا مَرْجِعُهُ اشْتِمَالُهُ عَلَى ثَلَاثِ صُوَرٍ كُلٌّ مِنْهَا كِنَايَةٌ دَالَّةٌ عَلَى الِامْتِزَاجِ الْمَعْنَوِيِّ .

فَالصَّوْرَتَانِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ فِي قَوْلِهَا:(لَيْتَهُ ثَوْبٌ عَلَى جَسَدِي، وَلَيْتَنِي كُنْتُ سِرْبَالًا لِعَبَّاسٍ)، وَالثَّالِثَةُ فِي قَوْلِهَا:(وَلَيْتَهُ خَمَرٌ وَكُنْتُ لَهُ مِنْ مَاءِ مُزْنٍ فَكَنَّا الدَّهْرَ فِي كَاسِ) .

فَكَمَا تَرَى كَيْفَ تَكَامَلَتْ صُوَرُ الِامْتِزَاجِ حِسِّيًّا فِي الدَّلَالَةِ عَلَى امْتِزَاجِ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيهَا مَعْنَوِيًّا حَتَّى تَمَنَّتْ أَنْ يَكُونَ الْعَبَّاسُ ثَوْبًا لَهَا، وَأَنْ تَكُونَ هِيَ سَرْبَالًا لَهُ، وَهَاتَانِ الْأُمْنِيَتَانِ كِنَايَتَانِ عَنْ إِرَادَتِهَا الْقُرْبَ مِنْ الْعَبَّاسِ وَمُلَازَمَتَهُ فَلَا يَغِيبُ عَنْهَا وَلَا تَغِيبُ هِيَ عَنْهُ، وَأَلَّا يَذُوقَا من كَأْسِ الْفِرَاقِ .

وَلَمَّا زَادَ حُبُّهَا لَهُ وَتَعَلُّقُهَا بِهِ تَمَنَّتْ أَلَّا يَقِفَ هَذَا الِامْتِزَاجُ وَالْقُرْبُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ، بَلْ يَمْتَدُّ إِلَى مَا هُوَ أَعْلَى مِنْ ذَلِكَ حَتَّى يَسْتَحِيلَ التَّفْرِيقُ بَيْنَهُمَا؛ فَصَوَّرَتْ هَذَا الِامْتِزَاجَ الْمَعْنَوِيَّ فِي صُورَةٍ حِسِّيَّةٍ نَاطِقَةٍ بِقُوَّةِ هَذَا الْحُبِّ، وَشِدَّةِ هَذَا التَّعَلُّقِ وَهِيَ صُورَةُ الْخَمْرِ الْمَمْزُوجَةِ بِالْمَاءِ فِي كَأْسٍ وَاحِدَةٍ؛ وَمِنْ ثَمَّ يَصْعُبُ بَلْ يَسْتَحِيلُ الْفَصْلُ وَالتَّفْرِيقُ بَيْنَهُمَا .

فَحُسْنُ الْمَعْنَى فِي قَوْلِ الْعَبَّاسِ عَلَى لِسَانِ حَبِيبَتِهِ يَرْجِعُ إِلَى هَذَا الِامْتِزَاجِ الدَّالِّ عَلَى شِدَّةِ الْحُبِّ وَالتَّعَلُّقِ وَالْقُرْبِ الَّذِي بَيْنَهَا وَبَيْنَه ؛ لأَنَّ" الْحُبُّ أَخَصُّ مِنَ الْعِشْقِ لِأَنَّهُ عَنْ أَوَّلِ نَظْرَةٍ وَأَقْصَاهُ امْتِزَاجُ الْأَرْوَاحِ"(١).

---

(١) راجع ذلك في:

تزيين الأسواق في أخبار العشاق للأنطاكي المعروف بالأكمه (ت ١٠٠٨هـ) ص : ١٢.

←←←

كَمَا أَنَّ مِنْ حُسْنِ الْمَعْنَى فِيهِ دِقَّةُ اخْتِيَارِ الْأَلْفَاظِ فِي جُمْلَةِ التَّمَنِّي الدَّالَّةِ عَلَى الِامْتِزَاجِ، فَنَرَاهَا تَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ الْعَبَّاسُ ثَوْبًا عَلَى جَسَدِهَا، وَفِي الْمُقَابِلِ تَتَمَنَّى أَنْ تَكُونَ هِيَ سَرْبَالًا لَهُ، وَفَرْقٌ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ.

فَأَمَّا تَمَنِّيها أَنْ يَكُونَ الْعَبَّاسُ ثَوْبًا عَلَى جَسَدِهَا؛ فَلِأَنَّ لَفْظَ" (ثَوْبٌ) الثَّاءُ وَالْوَاوُ وَالْبَاءُ قِيَاسٌ صَحِيحٌ مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ الْعَوْدُ وَالرُّجُوعُ يُقَالُ ثَابَ يَثُوبُ إِذَا رَجَعَ . وَالْمَثَابَةُ : الْمَكَانُ يَثُوبُ إِلَيْهِ النَّاسُ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : "وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا" [الْبَقَرَةِ : ١٢٥] . قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ : مَثَابَةٌ: يَثُوبُونَ إِلَيْهِ لَا يَقْضُونَ مِنْهُ وَطَرًا أَبَدًا.....وَالثَّوْبُ الْمَلْبُوسُ مُحْتَمَلٌ أَنْ يَكُونَ مِنْ هَذَا الْقِيَاسِ؛ لِأَنَّهُ يُلْبَسُ ثُمَّ يُلْبَسُ وَيُثَابُ إِلَيْهِ . وَرُبَّمَا عَبَّرُوا عَنْ النَّفْسِ بِالثَّوْبِ، فَيُقَالُ هُوَ طَاهِرُ الثِّيَابِ [(١)]".

وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ يُسْتَعْمَلُ فِيمَا يُغَطِّي الْبَدَنَ كُلَّهُ وَبِمَا يُحِيطُ بِهِ فَوْقَ اللِّبَاسِ؛ لِأَنَّ اللِّبَاسَ مُخْتَصٌّ بِسَتْرِ الْعَوْرَةِ وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا) [الأعراف: ٢٧].

أَمَّا الثِّيَابُ فَقَالَ اللَّهُ تعالى فِيهِ: [وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنْ الظَّهِيرَةِ" [النور:٤٨] وقال عز وجل أيضا: "فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ" [النور:٦٠].

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ شَيْءٌ غَيْرُ اللِّبَاسِ الَّذِي هُوَ سَاتِرٌ لِلْعَوْرَةِ؛ فَمَادَّةُ (لَبِسَ) تَدُلُّ عَلَى الْمُخَالَطَةِ وَالْمُلَابَسَةِ وَالْمُدَاخَلَةِ قَالَ ابْنُ فَارِسٍ: " لَبِسَ (اللَّامُ وَالْبَاءُ وَالسِّينُ أَصْلٌ

←←←

نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان لأبي الطيب القِنَّوجي (ت ١٣٠٧هـ) ص : ١٣ عُني بنشره: محمد عطيه الكتبي الناشر: المطبعة الرحمانية بمصر الطبعة: الأولى، ١٣٣٨ هـ - ١٩٢٠ م.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (ت ٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون ١/ ٣٩٣ وما بعدها الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

صَحِيحٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى مُخَالَطَةٍ وَمُدَاخَلَةٍ. مِنْ ذَلِكَ لَبِسْتُ الثَّوْبَ أَلْبَسُهُ، وَهُوَ الْأَصْلُ، وَمِنْهُ تَتَفَرَّعُ الْفُرُوعُ. (١).

وَمِنْ خِلَالِ كَلَامِ ابْنِ فَارِسٍ تَبَيَّنَ أَنَّ الثَّوْبَ هُوَ مَا زَادَ عَنْ الْأَصْلِ أَيْ مَا زَادَ عَلَى اللِّبَاسِ الَّذِي يَسْتُرُ الْعَوْرَةَ، وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: " فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ" [النور:٦٠]، قَالَ الْبِقَاعِيُّ :(فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ) أَيْ شَيْءٌ مِنْ الْحَرَجِ فِي(أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ) أَيْ الظَّاهِرَةَ فَوْقَ الثِّيَابِ السَّاتِرَةِ بِحَضْرَةِ الرِّجَالِ بِدَلِيلِ قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ "مِنْ ثِيَابِهِنَّ" قَالَ أَبُو صَالِحٍ : تَضَعُ الْجِلْبَابَ، وَهُوَ مَا يُغَطِّي ثِيَابَهَا مِنْ فَوْقَ كَالْمِلْحَفَةِ"(٢).

كَمَا قَالَ تَعَالَى: "فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ" [الحج:١٩] فَعَبَّرَ بِالثِيَابِ لِإِحَاطَةِ الْعَذَابِ بِهِمْ.

فَتَمَنَّتْهُ أَنْ يَكُونَ ثَوْبًا عَلَى جَسَدِهَا، وَاخْتَارَتْ الثَّوْبَ خَاصَّةً دُونَ السِّرْبَالِ أَوْ غَيْرِهِ ؛ لِأَنَّ الثَّوْبَ هُوَ كُلُّ مَا يُغَطِّي الْجِسْمَ وَيَسْتُرُهُ؛ لِأَنَّهُ كِسَاءٌ طَوِيلٌ وَاسِعٌ، فَكَأَنَّهَا قَصَدَتْ أَنْ تَكْنِي بِهِ عن الِامْتِزَاجِ كُلِّيَّةً وَتَدَاخُلِهُمَا وَامْتِزَاجِهُمَا الْقَوِيِّ الْمُحْكَمِ حَتَّى لَمْ يُرَ مِنْهَا شَيْءٌ؛ لِأَنَّهُ يُغَطِّيهَا كُلِّيَّةً، وَمِنْ ثَمَّ يَمْتَزِجُ بِكُلِّ جَوَارِحِهَا وَهَذَا حَسَنٌ جَيِّدٌ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى قُوَّةِ الْقُرْبِ الَّذِي وَصَلَ لِلِامْتِزَاجِ وَالإِحَاطَةِ بِكُلِّ الجَسَدِ وَالجَوَارِحِ وَلَيْسَ الْقَلْبُ فَحَسْب.

أَمَّا الِامْتِزَاجِ فِي الصُّورَةِ الثَّانِيَةِ فَقد اخْتَارَتْ أَنْ تَكُونَ هِيَ سِرْبَالًا لِعَبَّاسٍ لِأَنَّ السِّرْبَالُ هُوَ :" الْقَمِيصُ وَالدِّرْعُ ، وَقِيلَ: كُلُّ مَا لُبِسَ فَهُوَ سِرْبَالٌ "(٣)، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

---

(١) المرجع السابق مادة(لَبِسَ) ٥/٢٣٠.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (ت ٨٨٥هـ) ١٣/ ٣١٤ الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .

(٣) لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١هـ) مادة (سربل) ١١/ ٣٣٥، الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ

" سَرَابِيلُ تَقِيكُمْ الْحُرَّ وَسَرَابِيلُ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ "[النحل: ٨١] وَالسَّرَابِيلُ: جَمْعُ سِرْبَالٍ، وَهُوَ الْقَمِيصُ يَقِي الْجَسَدَ حَرَّ الشَّمْسِ، كَمَا يَقِيهِ الْبَرْدَ."(١) فَعَبَّرَ بِهِ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الْوِقَايَةِ مِنْ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَإِصَابَةِ السِّلَاحِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : " سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ" [إبراهيم: ٥٠] فَعَبَّرَ بِسَرَابِيلِهِمْ تَهَكُّمًا بِهِمْ.

وَعَلَيْهِ يَكُونُ السِّرُّ مِن التَّعْبِيرِ بِهِ هُنَا لِلدِّلَالَةِ عَلَى أُمْنِيَتِهَا وَغَايَتِهَا التِّي تُرِيدُهَا وَهِيَ أَنْ تَكُونَ وِقَايَةً لَهُ فَتَقِيَهُ مِنْ كُلِّ مَا يَضرُّهُ مِنْ حَرٍّ وَبَرْدٍ وَأَيِّ شَيْءٍ آخَرَ يؤذيه، وَهَذَا مَعْنَى شَرِيفٌ، وَفِي غَايَةِ الحُسْنِ فَي الدِّلَالَةِ عَلَى صِدْقِ الْحُبِّ وَقُوَّةِ امْتِزَاجِهِ بِقَلْبِهَا وَبِجَمِيعِ جَوَارِحَهَا.

وَعَلَيْهِ يَكُونُ كُلُّ لَفْظٍ مِنْهُمَا حَسَنًا فِي مَوْطِنِهِ، بَلِيغًا فِي مَوْقِعِهِ، عَمِيقَ الْأَثَرِ فِي دِلَالَتِه عَلَى امْتِزَاجِ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيهَا، وَتَكُونُ حَبِيبَةُ الْعَبَّاسِ الَّتِي تُدْعَى (فَوْز) قَدْ أَصَابَتْ فِي الْإِفْصَاحِ عَنْ مَكْنُونِ نَفْسِهَا وَفُؤَادِهَا الَّذِي يَحْمِلُ هَذَا الْحُبَّ وَذَاكَ الْوَفَاءَ الَّذِي أَظْهَرَتهُ فِي صُورَةِ امْتِزَاجٍ عَالِيَةٍ وَتَصَافٍ غَالٍ، وَلأجل هذا تَرَى كَيْفَ فَرَّقَتْ فِي الْأُمْنِيَةِ الدَّالَّةِ عَلَى الِامْتِزَاجِ بَيْنَهُمَا.

وَهَذَا الكَلَامُ ذَكَرْتُهُ بِنَاءً عَلَى الرِّوَايَةِ الَّتِي أَوْرَدَهَا الْحَاتِمِي لِقَوْلِ الْعَبَّاسِ هَذَا(٢)، وَلَكِنِّي عِنْدَمَا رَجَعْتُ لِلْبَيْتِ فِي دِيوَانِهِ وَجَدْتُ أَنَّهَا عَبَّرَتْ بِلَفْظِ (سِرْبَالٍ) فِي الْأُمْنِيَّتَيْنِ حَيْثُ قَالَ:

---

(١) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد للطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) ١٤/ ٢٤٠ الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

(٢) وقد أوردها الآمدي بالرواية التي أوردها الحاتمي في الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدي ٢/ ١٣٨، تحقيق/ السيد أحمد صقر، الناشر: دار المعارف – الطبعة الرابعة١٩٩٤ م.

عبّاسُ ليتَك سِرْبالي على جَسدي أوْ لَيتَني كنتُ سِرْبالاً لعَبّاسِ[١]

غَيْرَ أَنِّي أُفَضِّلُ الرِّوَايَةَ الَّتِي أَوْرَدَهَا الْحَاتِمِيُّ وَالْآمِدِيُّ قَبْلَهُ؛ لِعَدَمِ تَكْرَارِ لَفْظِ (سِرْبَالٍ) فِيهَا، كَمَا أَنَّ فِي التَّعْبِيرِ بِالثَّوْبِ فِي الأُمْنِيَةِ الْأُولَى مَعْنًى حَسَنٌ كَمَا ذَكَرْتُ هُوَ أَمَسُّ رَحِمًا بِالْمَقْصُودِ مِنْ أُمْنِيةِ هَذِهِ الْمَحْبُوبَةِ، فَضْلًا عَنْ أَنَّ التَّعْبِيرَ بِـ(السِّرْبَالِ) فِي الشَّطْرِ الْأَوَّلِ يَتَعَارَضُ مَعَ أُمْنِيَّتِهَا فِي الشَّطْرِ الثَّانِي؛ إِذْ لَوْ عَبَّرَتْ بِهِ لَكَانَ الْمَعْنَى الظاهر: (لَيْتَهُ كَانَ قَمِيصا يَحْمِينِي مِنْ كُلِّ مَا يَضُرُّنِي، وَلَيْتَنِي كُنْتُ لَهُ كَذَلِكَ) فَإِذَا كَانَتْ هِيَ تَتَمَنَّى أَنْ تَحْمِيَهُ وَتَقِيَهُ مِنْ كُلِّ مَا يُؤْذِيهِ فَكَيْفَ تَتَمَنَّى أَنْ يَحْمِيَهَا هُوَ مِنْ كُلِّ مَا يُؤْذِيهَا؟ لِأَنَّ السِّرْبَالَ كَمَا ذَكَرْتُ الْقَمِيصَ أَوْ الدِّرْعَ الَّذِي يَقِي مِنْ الْحَرِّ أَوْ الْبَرْدِ، إِذًا لَوْ صَارَ هُوَ سِرْبَالًا لَهَا لَتَعَرَّضَ هُوَ لِلْأَذَى بَدَلًا مِنْهَا وَهِيَ لَا تُرِيدُ ذَلِكَ وَلَا تَقْصِدُهُ، وَحُبُّهَا لَهُ ظَاهِرٌ ظُهُورَ الشَّمْسِ فِي ضُحَاهَا، وَعلى ذلك فَهِيَ تُرِيدُ مُلَازَمَتَهُ وَالْقُرْبَ مِنْهُ؛ وَلِهَذَا اخْتَارَتْ الثَّوْبَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى هَذِهِ الْإِحَاطَةِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَلَا يَتْرُكُهَا قَطُّ، وَلَمَّا زَادَ حُبُّهَا خَافَتْ عَلَيْهِ فَتَمَنَّتْ أَنْ تَقِيَهُ مِنْ كُلِّ مَا يُؤْذِيهِ فَعَبَّرَتْ بِالسِّرْبَالِ لِدَلَالَةٍ عَلَى ذَلِكَ.

وَلَعَلَّ مِمَّا يُحَسِّنُ رِوَايَةَ الدِّيوَانِ أَنَّهَا عَبَّرَتْ فِي حَقِّ نَفْسِهَا وَحَقِّ حَبِيبِهَا بِلَفْظَةٍ وَاحِدةٍ هِيَ: (سِرْبَالٌ)؛ فَاتِّحَادُ اللَّفْظِ دَلِيلُ اتِّحَادِ الْمَشَاعِرِ والْعَوَاطِفِ، وَلَمْ تَهْضَمْ حُبَّهُ، وَلَمْ تُرِدْ أَنْ تَتَفَوَّقَ عَلَيْهِ وَهَذَا أيضا نَوعٌ مِنْ الْمَشَاعِرِ الْمُخْتَلِطَةِ وَالْأَحَاسِيسِ الْمُتَسَاوِيَةِ الْمُمْتَزِجَةِ لَكِنْ يُؤْخَذَ عَلَيْهِ تَكْرَارَا للَّفْظِ مَرَّتَيْنِ فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ كَمَا ذَكَرْتُ.

ثُمَّ تَمَنَّتْ أُمْنِيَةً ثَالِثَةً هِيَ أَنْ يَكُونَ العَبَّاسُ لَهَا خَمْرا، وَتَكُونَ هِيَ مِنْ مَاءٍ مُزْنٍ حَتَّى يَظَلَّا فِي كَأْسٍ وَاحِدَةٍ طُوَالَ الدَّهْرِ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَهُمَا أَحَدٌ فَقَالَتْ:

أَوْ لَيْتَـهُ كَـانَ لِـي خَمْـرًا وَكُنْـتُ لَـهُ مِـنْ مَـاءِ مُـزْنٍ وَكُنَّـا الـدَّهْرَ فِـي

---

(١) ديوان العباس بن الأحنف ص:١٥٧

وَلَعَلَّكَ شَعَرْتَ بِمَا شَعَرْتُ بِهِ مِنْ قَصْدِهَا مُلَازِمَةَ الْمَحْبُوبِ مِنْ بِدَايَةِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ، وَشَمَمْتَ مَا شَمَمْتُ مِنْ هَذِهِ الْأُمْنِيَّةِ الثَّالِثَةِ الْعَالِيَةِ الَّتِي خَيَّم عَلَيْهَا جَوٌّ مَلِيءٌ بِخَوْفِهَا وَقَلَقِهَا مِنْ الْفِرَاقِ فَعَبَّرْتُ عَنْهُ بِصُورَةِ امْتِزَاجٍ حِسِّيَّةٍ تَمَنَّتْهَا هِيَ صُورَةُ امْتِزَاجِ الْخَمْرِ وَالْمَاءِ حَتَّى يَسْتَحِيلَ التَّفْرِيقَ بَيْنَهُمَا وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهَا قَبْلَ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ الثَّلَاثَةِ:

قالت وإنسانُ ماءِ العينِ في لُجَجٍ ... يكادُ ينطِقُ عن كرب ووَسواسِ

يَطفُو ويَرْسُو غريقاً ما تُكَفكِفُهُ ... كفٌّ فيا لكَ من طافٍ ومن

ثُمَّ كَانَتْ بَلَاغَتُهَا فِي قَوْلِهَا: (فَكُنَّا الدَّهْرَ فِي كَاسٍ) الَّذِي دَلَّتْ بِهِ عَلَى قُوَّةِ تَمَنِّيهَا لِمُلَازَمَةِ الْعَبَّاسِ طَوَالَ عُمُرِهَا، وَعَدَمِ رَغْبَتِهَا فِي دُخُولِ الْفِرَاقِ بَيْنَهُمَا مَا دَامَتْ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ، وَلَيْسَ فِي وَقْتٍ مُعَيَّنٍ فَحَسْبُ، بَلْ طَوَالَ الدَّهْرِ، وَأَكَّدَتْ ذَلِكَ بِقَوْلِهَا (فِي كَاسٍ) أَيْ فِي كَأْسٍ وَاحِدَةٍ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُفَرِّقَنَا، بَلْ إِنَّ فِرَاقَنَا يَكُونُ مُسْتَحِيلًا، وَهَذِهِ طِبَاعُ الْمُحِبِّ الْمُخْلِصِ الصَّادِقِ؛ وَلِذَلِكَ تَرَاهَا تَتَمَنَّى أُمْنِيَةً رَابِعَةً بَعْدَ هَذِهِ الْأَمَانِي الثَّلَاثِ فَتَقُول:

أوْ لَيتَنَا طَائِرَا إلْفٍ بمَهْمَهَةٍ ... نَخْلُو جَمِيعَاً وَلَا نَأْوِي إِلَى

وَانْظُرْ إِلَى قَوْلِهَا: (وَكُنْتُ لَهُ مِنْ مَاءِ مُزْنٍ) فَتَرَاهَا اخْتَارَتْ أَنْ تَكُونَ مِنْ مَاءِ مُزْنٍ خَاصَّةً وَلَيْسَ أَيَّ مَاءٍ، فَأَتَتْ بِمَاءٍ مَخْصُوصٍ، وَالْمَزْنُ" السَّحَابُ عامةٌ، وَقِيلَ: السَّحَابُ ذُو الْمَاءِ، وَاحِدَتُهُ مُزْنَةٌ، وَقِيلَ: المُزْنَةُ السَّحَابَةُ الْبَيْضَاءُ، وَالْجَمْعُ مُزْنٌ، والبَرَدُ حَبُّ المُزْنِ، وَتَكَرَّرَ فِي الْحَدِيثِ ذِكْرُ المزنِ. قَالَ ابْنُ الأَثير: المُزْنُ وَهُوَ الْغَيْمُ وَالسَّحَابُ، وَاحِدَتُهُ مُزْنَةٌ" (٣).

---

(١) ديوان العباس بن الأحنف ص:١٥٦.

(٢) المرجع السابق ص:١٥٧.

(٣) لسان العرب مادة (مزن) ١٣/ ٤٠٦.

وَبناء على ذلك يَكُونُ اخْتِصَاصُ الْمَاءِ بِكَوْنِهِ مِنْ مَاءٍ مُزْنٍ لِسِرٍّ قَصَدَتْهُ وَهُوَ الْكِنَايَةُ عَنْ صَفَاءِ هَذِهِ الْمَوَدَّةِ وَالْمَحَبَّةِ؛ لِأَنَّ مَاءَ السَّحَابِ يَكُونُ صَافِيَا عَذْبا لَا يَشُوبُهُ شَيْءٌ، وَكَانَتْ مُعْظَمَ شَرَابِ الْعَرَبِ، وَهُوَ اخْتِيَارٌ حَسَنٌ وَمُنَاسِبٌ لِهَذَا الْحُبِّ الْخَالِصِ، فَتَرَاهَا لَمْ تَخْتَرْ أَيَّ مَاءٍ، بَلْ اخْتَارَتْ الصَّالِحَ لِلشُّرْبِ فَحَسْبُ.

وَعَلَيْهِ يَكُونُ ابْنُ أَبِي فَنَنٍ مُصِيبًا فِي الِاسْتِحْسَانِ ذَاتِهِ، وَفِي كَثْرَةِ تَرْدِيدِهِ لِقَوْلِ الْعَبَّاسِ هَذَا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُصِبْ فِي حُكْمِهِ بِأَنَّهُ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ قَوْلَ الْمُهَلَّبِيِّ الْآتِي ذِكْرُهُ قَدْ فَاقَهُ مِنْ وُجُوهٍ سَأَذْكُرُهَا فِي مَوْطِنِهَا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى.

ثُمَّ يَأْتِي حُكْمُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَيَرَى أَنَّ هُنَاكَ قَوْلًا أَحْسَنَ مِنْ قَوْلِ الْعَبَّاسِ هَذَا، وَهُوَ قَوْلُ الْمُهَلَّبِيِّ حَيْثُ قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ:" أَحْسَنُ مِنْهُ قَوْلُ أَبِي عُيَيْنَةَ الْمُهَلَّبِيِّ :[الخفيف]:

حِيْنَ قَالَتْ دُنْيَا عَلَامَ نَهَارًا جِئْتَ هَلَّا انْتَظَرْتَ وَقْتَ الْمَسَاءِ

ذَاكَ إِذ رُوحُهَا وَرُوحِي مِزَاجَانِ كَأَصْفَى خَمْرٍ بِأَعْذَبِ مَاءِ

وَقَدْ دَقَّقْتُ النَّظَرَ فِي الْقَوْلَيْنِ فَتَبَيَّنَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ مُصِيبٌ فِي تَفْضِيلِهِ لِقَوْلِ الْمُهَلَّبِيِّ عَلَى قَوْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ سَالِفِ الذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُ فَاقَهُ مِنْ وُجُوهٍ هِيَ : أَنَّ الْمَعْنَى فِي كِلَا الْقَوْلَيْنِ وَإِنْ كَانَ مَبْنِيًّا ابْتِدَاءً عَلَى الْكِنَايَةِ عَنْ الْقُرْبِ وَامْتِزَاجِ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيهَا بِامْتِزَاجِ الْأَرْوَاحِ وَشِدَّةِ قُرْبِهَا وَتَعَلُّقِهَا بِبَعْضِهَا إِلَّا أَنَّ الْعَبَّاسَ بَنَى كَلَامَ مَحْبُوبَتِهِ لَهُ عَلَى أُسْلُوبٍ إِنْشَائِيٍّ هُوَ (التَّمَنِّي) حَيْثُ قَالَ: (لَيْتَهُ ثَوْبٌ عَلَى جَسَدِي، وَلَيْتَنِي كُنْتُ سِرْبَالًا لِعَبَّاسٍ، لَيْتَهُ كَانَ لِي خَمْرًا وَكُنْتُ لَهُ، مِنْ مَاءِ مُزْنٍ وَكُنَّا الدَّهْرَ فِي كَاسٍ)، أَمَّا الْمُهَلَّبِيِّ فَقَدْ بَنَاهُ عَلَى أُسْلُوبٍ خَبَرِيٍّ حَاصِلٍ وَمُحَقَّقٍ حَيْثُ قَالَ: (إِذْ رُوحُهَا وَرُوحِي مِزَاجَانِ كَأَصْفَى خَمْرٍ بِأَعْذَبِ مَاءِ).

وَبِنَاءُ الْكَلَامِ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَذَاكَ الْمَعْنَى عَلَى التَّحْقِيقِ فِي الْخَبَرِ أَحْسَنُ وَأَبْلَغُ مِنْ بِنَائِهِ عَلَى أُسْلُوبِ التَّمَنِّي الْإِنْشَائِيِّ؛ لِأَنَّ الْخَبَرَ يَجْعَلُ الِامْتِزَاجَ بَيْنَ الْمُحِبِّينَ حَاصِلا لَا

مَحَالَةَ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا عُبِّرَ عَنْهُ هُنَا لِحُصُولِهِ، أَمَّا فِي قَوْلِ الْعَبَّاسِ فَالتَّمَنِّي فِيهِ يَجْعَلُهُ لَيْسَ حَاصِلًا وَإِلَّا لَمَا تَمَنْتَهُ؛ لِأَنَّ " طَبِيعَةَ الْمَعْنَى فِي بَابِ التَّمَنِّي مِمَّا يَجْعَلُهُ مِنْ الْأَسَالِيبِ ذَاتِ الْوَقْعِ وَالتَّأْثِيرِ؛ لِأَنَّكَ فِي مَوَاقِعِهِ تَجِدُ نَفْسًا ظَمِئَةً إِلَى شَيْءٍ ثُمَّ إِنَّ ظَمَأَهَا ظَمَأٌ لَا يُرْوَى أَوْ يُسْتَبْعَدُ رَيُّهُ"(١).

عَلَى أَنَّ الِامْتِزَاجَ فِي التَّمَنِّي وَإِنْ لَمْ يَكُنْ حَاصِلًا إِلَّا أَنَّ الصُّورَةَ الَّتِي اخْتَارَتْهَا حَبِيبَةُ الْعَبَّاسِ لِلِامْتِزَاجِ وَهِيَ أَنْ يَكُونَ كَالثَّوْبِ عَلَى الْجَسَدِ، أَوْ أَنْ تَكُونَ هِيَ سِرْبالًا لَهُ كُلُّهَا لَا تَتَحَقَّقُ بِالْفِعْلِ وَلِذا أَتَتْ بِهَا فِي سِيَاقِ تَمَنٍّ لِحُدُوثِهَا؛ وَلِذَلِكَ فَإِنَّ هَذِهِ الصُّوَرَ فِي بَاطِنِهَا شَيْءٌ وَاحِدٌ هُوَ أَنْ تعِيشَ مَعَ حبيبها حَيَاةً لَا تَنْقَطِعْ .

فَصُورَةُ الِامْتِزَاجِ (وهي كونه كالثوب على جسدها وهي كالسربال له أو كالخمر الممزوجة بالماء العذب) هِيَ الَّتِي اقتضت مَجِيءَ الْجُمْلَةِ فِي سِيَاقِ الْأُمْنِيَّةِ، وَلذا كَانَ الِامْتِزَاجُ غَيْرَ حَاصِلٍ حَقِيقَةً، وَإِنَّمَا عَنْ طَرِيقِ التَّمَنِّي.

وَلَمَّا كَانَ تَحْقِيقُ التَّمَنِّي مُسْتَحِيلًا اخْتَارَ (لَيْتَ) وَهِيَ الْأَدَاةُ الْأَصْلِيَّةُ الْمَوْضُوعَةُ لَهُ، وَهَذَا يُؤَكِّدُ بُعْدَ الْمُتَمَنَّى وَاسْتِحَالَتَهُ، وَهَذَا عَكْسُ مَا جَاءَ بِهِ الْمُهَلَّبِيُّ.

وَأَبِيَاتُ الْعَبَّاسِ هَذِهِ قَدْ حَكَمَ عَلَيْهَا الْآمِدِيُّ بِأَنَّ الْعَبَّاسَ قَدْ أَخَذَهَا مِنْ قَوْلِ الْبُحْتُرِيِّ :

وَجَدْتُ نَفْسَكِ مِنْ نَفْسِي بِمَنْزِلَةٍ هِيَ الْمُصَافَاةُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالرَّاحِ(٢)

---

(١) دلالات التراكيب دراسة بلاغية لـ د.محمد ابو موسى ص : ١٩٥، الناشر : مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة : الثانية ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م

(٢) الموازنة ٢/ ١٣٨.

أَنَّ أُسْلُوبَ التَّمَنِّي وَإِنْ كَانَ عِمَادَ الْعَبَّاسِ فِي بِنَاءِ الْكِنَايَةِ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى حَيْثُ قَالَ: (لَيْتَهُ ثَوْبٌ وَ.....) إِلَّا أَنَّ المُهَلَّبِيَّ كَانَ أُسْلُوبُ التَّشْبِيهِ عِمَادَهُ فِي بِنَاءِ الْكِنَايَةِ عَنْ الِامْتِزَاجِ الْمَعْنَوِيِّ وَهُوَ تَشْبِيهٌ مُرَكَّبٌ.

فَتَرَاهُ بَعْدَ أَنْ أَخْبَرَ عَنْ رُوحِهِ وَرُوحِ مَحْبُوبَتِهِ بِأَنَّهُمَا مِزَاجَانِ يُؤَكِّدُ هَذَا الْمَعْنَى بِالتَّشْبِيهِ الْمُرَكَّبِ فَيَأْتِي بِجُمَلَةٍ تَشْبِيهِيَّةٍ بَلِيغَةٍ حَيْثُ قَالَ (إِذْ رُوحُهَا وَرُوحِي مِزَاجَانِ كَأَصْفَى خَمْرٍ بِأَعْذَبِ مَاءِ)، حَيْثُ شَبَّهَ الْهَيْئَةَ الْحَاصِلَةَ مِنْ امْتِزَاجَ رُوحِهَا بِرُوحِهِ، وَانْصِهَارِهِمَا – وَهِيَ صُورَةٌ عَقْلِيَّةٌ– بِالْهَيْئَةِ الْحَاصِلَةِ مِنْ امْتِزَاجِ أَصْفَى خَمْرٍ بِأَعْذَبِ مَاءٍ، وَقَدْ امْتَزَجَا وَتَدَاخَلَا، وَهِيَ صُورَةٌ حِسِّيَّةٌ؛ وَعليه يَكُونُ هَذَا مِنْ تَشْبِيهِ الْعَقْلِيِّ بِالْحِسِّيِّ. .

وَوَجْهُ الشَّبَهِ هُوَ الْهَيْئَةُ الْحَاصِلَةُ مِنْ قوة الامْتِزَاجِ والاندماج بَيْنَ شَيْئَيْنِ وَانصِهَارِهِمَا انْصِهَارًا يَجْعَلُ التَّمْيِيزَ بَيْنَهُمَا مُسْتَحِيلًا، فَهُو تَشْبِيهٌ مُرَكَّبٌ[١] تَمْثِيلِيٌّ[٢]، فَهُوَ مُرَكَّبٌ بِاعْتِبَارِ طَرَفَيْهِ، وَتَمْثِيلِيٌّ بِاعْتِبَارِ وَجْهِ الشَّبَهِ فِيهِ؛ لِأَنَّ الْوَجْهَ هُنَا مُرَكَّبٌ عَقْلِيٌّ." وَتَشْبِيهُ الْمُرَكَّبِ بِالْمُرَكَّبِ فَنٌّ لَهُ فَضْلُ احْتِيَاجٍ إِلَى سَلَامَةِ الطَّبْعِ، وَصَفَاءِ الْقَرِيحَةِ"[٣]، وَالتَّشْبِيهُ فِي بَقِيَّةِ الشَّوَاهِدِ مُرَكَّبًا تَمْثِيلِيًّا أَيْضًا .

وَقَدْ كَانَ الشَّاعِرُ مُوَفَّقًا كُلَّ التَّوْفِيقِ فِي اخْتِيَارِ الْأَلْفَاظِ الَّتِي رَكِبَ مِنْهَا جُمْلَةَ التَّشْبِيهِ الْمُرَكَّبِ، فَتَرَاهُ يَأْتِي بِالْمُشَبَّهِ بِهِ مُقْتَرِنًا بِكَافِ التَّشْبِيهِ وَهُوَ قَوْلُهُ (كَأَصْفَيِّ خَمْرٍ...) فَتَرَاهُ يُدَقِّقُ النَّظَرَ فِي أَجْزَاءِ تِلْكَ الصُّورَةِ؛ فَاخْتَارَ مِنْ الْخَمْرِ أَعْلَاهَا وَمِن

---

(١) التشبيه المركب وهو: ما طرفاه كثرتان مجتمعتان . الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ١٨٧/٢.

(٢) التمثيل: ما وجهه وصف منتزع من متعدد أمرين أو أمور. الإيضاح ١٩٠/٢.

(٣) الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم لابن عربشاه عصام الدين الحنفي (ت: ٩٤٣ هـ) حققه وعلق عليه: عبد الحميد هنداوي) ٢ /١٩٢، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

الْمَاءِ أَشْرَفَهَا وَأَنْقَاهَا فَقَالَ: (أَصْفَى خَمْرٍ وَأَعْذَبَ مَاءٍ)، وَكَانَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَأْتِيَ بِجُمْلَةِ التَّشْبِيهِ دَالَّةً عَلَى امْتِزَاجِ الطَّرَفَيْنِ وَهُمَا (الْخَمْرُ وَالْمَاءُ) مِنْ غَيْرِ إِشَارَةٍ إِلَى دَرَجَةِ حُسْنِهِمَا، وَلَكِنَّهُ لَمَّا كَانَ كُلُّ مُحِبٍّ يَرَى أَنَّ حُبَّهُ لِمَحْبُوبِهِ فَاقَ كُلَّ حُبٍّ تَرَاهُ يَأْتِي بِأَفْعَلِ التَّفْضِيلِ فِي الطَّرَفَيْنِ (أَصْفَى وَأَعْذَبُ) لِلدَّلَالَةِ عَلَى خَمْرٍ صَافِيَةٍ مُعَيَّنَةٍ فَاقَتْ بِحُسْنِهَا كُلَّ أَنْوَاعِ الْخَمْرِ وَمَاءٍ عَذْبٍ مُعَيَّنٍ أَيْضًا فَاقَتْ بِجَمَالِهَا كُلَّ مَاءٍ عَذْبٍ .

فَتَرَى دُخُولَ كَافِ التَّشْبِيهِ عَلَى أَشْرَفِ أَجْزَاءِ الصُّورَةِ، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ حَيْثُ قَالَ أُسْتَاذُنَا د/ الْمَطْعَنِيُّ " إِنَّ أَدَاةَ التَّشْبِيهِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ حِينَ تَدْخُلُ عَلَى أَحَدِ أَجْزَاءِ الصُّورَةِ التَّشْبِيهِيَّةِ فِي التَّشْبِيهِ الْمُرَكَّبِ فَإِنَّ الْجُزْءَ الَّذِي تَدْخُلُ عَلَيْهِ هُوَ أَعْظَمُ تِلْكَ الْأَجْزَاءِ فِي رَسْمِ الصُّورَةِ؛ لِذَلِكَ أُوْثِرَ دُخُولُهَا عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِ بَقِيَّةِ الْأَجْزَاءِ "(١).

وَلَعَلَّهُ دَلَّ بِالصَّفَاءِ وَالْعُذُوبَةِ عَلَى مَا يَشْعُرُ بِهِ فِي قَلْبِهِ مِنْ صَفَاءٍ وَطُهْرٍ فِي حُبِّهِ لِمَحْبُوبَتِهِ، وَأَنَّ هَوَاهُ لَهَا هَوًى عُذْرِيٌّ نَقِيٌّ فَعَبَّرَ بِمَا يُنَاسِبُ حُبَّهُ الصَّافِيَ النَّقِيَّ .

وَلْنَتَأَمَّلْ تَرْتِيبَ أَجْزَاءِ جُمْلَةِ هَذَا التَّشْبِيهِ الْحَسَنِ الصَّائِبِ فَتَرَاهُ يَقُولُ: (كَأَصْفَى خَمْرٍ بِأَعْذَبِ مَاءٍ) بَعْدَ أَنْ قَالَ : (إِذْ رُوحُهَا وَرُوحِي مِزَاجَانِ) وَكَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ إِنَّ أَصْفَى خَمْرٍ هِيَ رُوحُ مَحْبُوبَتِهِ وَأَعْذَبَ مَاءٍ هِيَ رُوحُهُ هُوَ .

فَتَرَاهُ يَخْتَارُ أَنْ تَكُونَ رُوحُ مَحْبُوبَتِهِ كَأَصْفَى الْخَمْرِ، وَرُوحُهُ هُوَ كَأَعْذَبِ مَاءٍ، وَلَعَلَّهُ آثَرَ ذَلِكَ لِمَا فِي الْخَمْرِ مِنْ غِيَابٍ لِلْعَقْلِ وَهُوَ مُنَاسِبٌ لِأَثَرِ مَحْبُوبَتِهِ عَلَيْهِ، وَكَأَنَّ حُبَّهَا قَدْ غَطَّى عَلَى عَقْلِهِ وَقَلْبِهِ كَالْخَمْرِ بَلْ أَصْفَاهَا، وَتَبَعًا لِذلك يَزِيدُ أَثَرُهَا عَلَى شَارِبِهَا.

---

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية للدكتور/عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (ت ١٤٢٩هـ)٢ /٢٨٩ الناشر: مكتبة وهبة الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

ثُمَّ اخْتَارَ لِرُوحِهِ هُوَ أَنْ تَكُونَ كَأَعْذَبِ مَاءٍ لِلدَّلَالَةِ عَلَى سُهُولَةِ امْتِزَاجِهَا مَعَ الْخَمْرِ، وَكَأَنَّهُ يُومِئُ إِلَى قُوَّةِ أَثَرِ الْمَحْبُوبَةِ عَلَيْهِ وَرُوحِهَا الَّتِي هِيَ كَأَصْفَى خَمْرٍ حَتَّى صَارَ مَعَهَا كَالْمَاءِ سَهْلًا مُطَاوِعًا لَهَا وَذَابَ فِي حُبِّهَا وَهَوَاهَا.

وَقَدْ أَحْسَنَ الشَّاعِرُ فِي التَّنَاسُبِ بِذِكْرِ مَا لِكُلِّ طَرَفٍ مِنْ الْحُسْنِ عَلَى التَّرْتِيبِ الَّذِي يَلِيقُ بِكُلِّ رُوحٍ؛ حَيْثُ ذَكَرَ مُتَعَدِّدًا عَلَى جِهَةِ التَّفْصِيلِ وَهُوَ قَوْلُهُ (رُوحُهَا وَرُوحِي)، ثُمَّ ذَكَرَ مَا لِكُلٍّ عَلَى التَّرْتِيبِ؛ فَأَصْفَى خَمْرٍ تَرْجِعُ إِلَى رُوحِ مَحْبُوبَتِهِ، وَأَعْذَبُ مَاءٍ تَرْجِعُ إِلَى رُوحِهِ هُوَ، وَهُوَ مِنْ اللَّفِّ وَالنَّشْرِ الْمُرَتَّبِ(١)، فَكَأَنَّ رُوحَهَا خَمْرٌ، وَرُوحُهُ كَأَنَّهَا مَاءٌ فَامْتَزَجَا وَانْصَهَرَا.

وَبِلَاغَةُ هَذَا الْأُسْلُوبِ تَكْمُنُ فِي بَيَانِ قُوَّةِ أَثَرِهَا عَلَيْهِ حَتَّى اخْتَارَ لَهَا الْخَمْرَ كَمَا ذَكَرْتُ، وَلَا يُظَنُّ أَنَّ سِرَّهُ يَكْمُنُ فِي أَنَّ ذِكْرَ اللَّفِّ مَطْوِيًّا يَجْعَلُ النَّفْسَ تَتَرَقَّبُ إِلَى النَّشْرِ كَمَا قَالَ الْبَلَاغِيُّونَ؛ لِأَنَّ النَّشْرَ الَّذِي فِي الشَّطْرِ الثَّانِي هُوَ الَّذِي حَكَمَ بِأَنَّ هُنَاكَ لَفًّا وَطَيًّا فِي الشَّطْرِ الْأَوَّلِ، وَلَوْلَاهُ مَا وُجِدَ الْأُسْلُوبُ؛ وَلِهَذَا فَقَبْلَ وُجُودِهِ لَا تَوَقُّعَ لَهُ أَصْلًا لِأَنَّ الْخَبَرَ تَمَّ بِقَوْلِهِ (مِزَاجَانِ) فَإِذَا قَالَ شَيْئًا آخَرَ غَيْرَ جُمْلَةِ النَّشْرِ لَكَانَ حَسَنًا أَيْضًا.

وَتَمَامُ الْمَعْنَى بِالْخَبَرِ يَنْفِي أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ تَوَقُّعٌ تَتَطَلَّعُ النَّفْسُ لِمَعْرِفَتِهِ، وَلهذا كله فَإِنِّي أَرَى أَنَّ بَلَاغَةَ اللَّفِّ وَالنَّشْرِ هُنَا وَفِي كثير من الشواهد التي ورد فيها هَذَا الْأُسْلُوبُ بَيَانُ قِيمَةِ إِرْجَاعِ الشَّيْءِ لِمَا هُوَ لَهُ، وَبَيَانُ فَضْلِهِ عَلَى غَيْرِهِ وَقُوَّةِ أَثَرِهِ وَهُوَ هُنَا بَيَانُ شِدَّةِ وَقُوَّةِ أَثَرِهَا بِجَعْلِ رُوحِهَا كَالْخَمْرِ خَاصَّةً، وَرُوحِهِ هُوَ كَالمَاءِ .

---

(١) اللف والنشر، عبارة عن ذكر متعدد، سواء كان اثنين أو أكثر، إما مفصلا أو مجملا بأن يشمل ذلك التعدد لفظ عام بالاستغراق، أو الصلاحية، وهذا هو اللف، ثم يذكر ما لكل.
عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣ هـ)تحقيق: د/عبد الحميد هنداوي ٢/ ٢٤٦ الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

كَمَا أَنَّ بِنَاءَ الْأُسْلُوبِ عَلَى شَيْئَيْنِ، وَهَذِهِ الثُّنَائِيَّةُ الَّتِي فِي اللَّفِّ فِي الشَّطْرِ الْأَوَّلِ، وَالنَّشْرِ فِي الثَّانِي وَبَيْنَ كُلِّ طَرَفٍ فِي اللَّفِّ وَمَا لَهُ فِي النَّشْرِ يُؤَكِّدُ قُوَّةَ هَذَا التَّرَابُطِ وَالتَّعَلُّقِ بَيْنَ الْجُمَلِ بَعْدَ إِتْيَانِ النَّشْرِ، وَهَذَا يَعْكِسُ قُوَّةَ الِامْتِزَاجِ بَيْنَ الرُّوحَيْنِ وَتَعَلُّقِهِمَا، فَحَتَّى الْأُسْلُوبُ ذَاتُهُ يُؤَكِّدُ هَذَا الِامْتِزَاجَ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ وَرُوحِهِمَا الَّتِي امْتَزَجَتْ وَائْتَلَفَتْ وَارْتَبَطَتْ كَمَا ائْتَلَفَ وَارْتَبَطَ النَّشْرُ بِاللَّفِّ وَالطَّيِّ .

أَنَّ صُوَرَ الِامْتِزَاجِ فِي قَوْلِ الْعَبَّاسِ جَاءَتْ ثَلَاثَةً هِيَ قَوْلُهُ :

لَيْتَهُ ثَوْبٌ عَلَى جَسَدِي .

وَلَيْتَنِي كُنْتُ سِرْبَالًا لِعَبَّاسٍ .

أَوْ لَيْتَهُ كَانَ لِي خَمْرا . . . . . .

أَمَّا قَوْلُ الْمُهَلَّبِيِّ فَقَدْ جَاءَ فِيهِ الِامْتِزَاجُ فِي صُورَةٍ وَاحِدَةٍ مُؤَكَّدَةٍ بِصُورَةِ التَّشْبِيهِ الْمُرَكَّبِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ إِذْ رُوحُهَا وَرُوحِي مِزَاجَانِ . . . . .)

أَنَّهُ بِالتَّأَمُّلِ نَجِدُ صُورَةَ امْتِزَاجِ الْخَمْرِ بِالْمَاءِ فِي الْقَوْلَيْنِ مُخْتَلِفَة مِنْ وَجْهَيْنِ :

الْأَوَّلُ – أَنَّ حَبِيبَةَ الْعَبَّاسِ تَمَنَّتْ أَنْ لَوْ كَانَ الْعَبَّاسُ خَمْرًا لَهَا وَهِيَ مِنْ مَاءٍ مُزِنٍ حَتَّى كَانَا فِي كَأْسٍ وَاحِدَةٍ ، فَجَعَلَتْ صُورَةَ الِامْتِزَاجِ الْحِسِّيِّ هِيَ صُورَةَ الْأُمْنِيَةِ، أَمَّا الْمُهَلَّبِيُّ فَأَتَى بِجُمْلَةِ التَّشْبِيهِ لِتُؤَكِّدَ صُورَةَ الِامْتِزَاجِ الْحَاصِلَةَ قَبْلَهُ فَقَالَ:(إِذْ رُوحُهَا وَرُوحِي مِزَاجَانِ كَأَصْفَيْ خَمْرٍ وَأَعْذَبِ مَاءٍ) فَشَبَّهَ امْتِزَاجَ رُوحِهِمَا بِامْتِزَاجِ الْخَمْرِ مَعَ الْمَاءِ .

الآخَر– أَنَّ حَبِيبَةَ الْعَبَّاسِ جَعَلَتْ الْعَبَّاسَ هُوَ الَّذِي يُشْبِهُ الْخَمْرَ وَهِيَ مِنْ تُشْبِهُ مَاءَ الْمَزْنِ وَهُوَ بِعَكْسِ صُورَةِ التَّشْبِيهِ فِي قَوْلِ الْمُهَلَّبِيِّ؛ حَيْثُ جَعَلَ رُوحَهُ هُوَ تُشْبِهُ أَعْذَبَ مَاءٍ وَرُوحَ مَحْبُوبَتِهِ هِيَ الَّتِي تُشْبِهُ أَصْفَى الْخَمْرِ، وَهَذَا الْعَكْسُ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ كُلَّ مُحِبٍّ بِالنِّسْبَةِ لِحَبِيبِهِ كَالْخَمْرِ الَّتِي تُغَطِّي عَلَى جَمِيعِ جَوَارِحِهِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى قُوَّةِ أَثَرِ

كُلِّ طَرَفٍ فِي الْآخَرِ رَجُلا كَانَ أَوْ امْرَأَةً غَيْرَ أَنَّ الْمُهَلَّبِيّ كَانَ تَرْكِيبُهُ أَبْلَغَ مِنْ تَرْكِيبِ الْعَبَّاسِ مِنْ حَيْثُ ذِكْرِ لَفْظَيْ (أَصْفَى، وَأَعْذَبُ).

ثُمَّ تَرَى ابْنَ أَبِي فَنَنٍ يَرُدُّ عَلَى ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الَّذِي فَضَّلَ بَيْتَ الْمُهَلَّبِيّ عَلَى بَيْتِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ، فَتَرَاهُ يَأْتِي بِبَيْتٍ آخَرَ لِابْنِ أَبِي عُيَيْنَةَ الْمَطْبُوعِ، وَيَرَى أَنَّهُ أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِهِ السَّابِقِ فَيَقُولُ: " أَحْسَنُ مِنْ هَذَا بَيْتُ ابْنِ أَبِي عُيَيْنَةَ الْمَطْبُوعُ [كَامِلٌ] :

حَتَّى إِذَا اخْتَلَطَتْ بِنَفْسِي نَفْسُهَا ... كَالخَمْرِ تُقْرَعُ بِالزُّلَالِ البَارِدِ

خَافَتْ فَقُلْتُ لَهَا اسْكُتِي إِذْ مَسَّهَا ... جَهْدُ الفِرَاقِ مَعَ البَلَاءِ الجاهِدِ

مَا تَشْتَكِيْنَ أَنَا الفِدَا لَكِ وَالحِمَى ... لَوْ أَسْتَطِيْعُ لَكُنْتُ أَوَّلَ عَائِدِ

قَالَتْ فِرَاقُكَ وَالصَّبَابَةُ وَالَّذِي ... أَخْشَى عَلَيْكَ مِنَ الرَّقِيْبِ

فَتَرَى الشَّاعِرَ قَدْ جَعَلَ الِامْتِزَاجَ هنا بَيْنَ الْأَنْفُسِ وَهُوَ مِثْلُ امْتِزَاجِ الْأَرْوَاحِ الذي في قوله الأول، ثُمَّ قَرَّبَ صُورَةَ هَذَا الِامْتِزَاجِ بِهَذَا التَّشْبِيهِ الْحَسَنِ الصَّائِبِ حِينَمَا قَالَ:(كَالْخَمْرِ تُقْرَعُ بِالزُّلَالِ الْبَارِدِ) فَتَرَاهُ يَسْلُكُ المَسْلَكَ السَّابِقَ نَفْسَهُ فِي قَوْلِهِ الأَوَّلِ؛ لِيُؤَكِّدَ هَذَا الِامْتِزَاجَ النَّفْسِيَّ بِتِلْكَ الصُّورَةِ الْحِسِّيَّةِ الْمُشَاهَدَةِ الَّتِي أَدَّاهَا أُسْلُوبُ التَّشْبِيهِ الْمُرَكَّبِ .

وَلَمْ يُصِبْ ابْنُ أَبِي فَنَنٍ فِي تَفْضِيلِهِ هَذَا الْشَّاهِدَ عَلَى بَيْتِ الْمُهَلَّبِيّ الَّذِي فَضَّلَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ.

وَأَرَى أَنَّ قَوْلَ الْمُهَلَّبِيّ الْأَوَّلَ وهو: (إِذْ رُوحُهَا وَرُوحِي مِزَاجَانِ كَأَصْفَى خَمْرٍ بِأَعْذَبِ مَاءِ) يَفُوقُ قَوْلَهُ الثَّانِيَ:(حَتَّى إِذَا اخْتَلَطَتْ بِنَفْسِي نَفْسُهَا كَالخَمْرِ تُقْرَعُ بِالزُّلَالِ

---

(١) حلية المحاضرة في صناعة الشعر لابن المظفر الحاتمي ٢/ ٢٣٠ وما بعدها.

البَارِدِ) ؛ لِأَنَّ الْقَوْلَيْنِ دَالَّانِ عَلَى الِامْتِزَاجِ غَيْرَ أَنَّهُمَا اتَّفَقَا فِي أَشْيَاءَ وَاخْتَلَفَا فِي أُخْرَى فِي الدَّلَالَةِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى.

فقد اتَّفَقَا فِي شيء واحد هو أنه سَلَكَ فِي كِلَا الْقَوْلَيْنِ مَسْلَكًا وَاحِدًا وَهُوَ تَأْكِيدُ الِامْتِزَاجِ بِصُورَةٍ حِسِّيَّةٍ مُشَاهَدَةٍ وَهِيَ صُورَةُ امْتِزَاجِ الْخَمْرِ بِالْمَاءِ الْعَذْبِ .

وَاخْتَلَفَا فِي أشياء هي :

الْأَلْفَاظُ: فَالْأَوَّلُ دَلَّ عَلَى مَعْنَى الِامْتِزَاجِ بِلَفْظِ (مِزَاجَانِ) حَيْثُ قَالَ: (إِذْ رُوحُهَا وَرُوحِي مِزَاجَانِ)، وَفِي الثَّانِي دَلَّ عَلَيْهِ بِلَفْظِ (اخْتَلَطَتْ) حَيْثُ قَالَ:(حَتَّى إِذَا اخْتَلَطَتْ بِنَفْسِي نَفْسُهَا).فَالتَّعْبِيرُ بِلَفْظِ (مِزَاجَانِ) وَإِنْ كَانَ بِمَعْنَى لَفْظِ (اخْتَلَطْتْ) إِلَّا أَنَّنِي أَرَى أَنَّ فِي الْمَزْجِ مَعْنًى أَقْوَى مِنْ الْخَلْطِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى قُوَّةِ الِانْصِهَارِ وَالِانْدِمَاجِ وَالتَّجَانُسِ وَإِنْ كَانَ فِي الْخَلْطِ مَعْنَى التَّدَاخُلِ بَيْنَ شَيْئَيْنِ أَيْضَا وَعَجْزٌ عَنْ التَّمْيِيزِ بَيْنَهُمَا إِلَّا أَنَّهُ قَدْ لَا يَكُونُ فِي جَمِيعِ أَجْزَائِهِ كَمَا تُحِسُّ بِهِ فِي الِامْتِزَاجِ الدَّالِّ عَلَى الِانْصِهَارِ فِي جَمِيعِ أَجْزَاءِ الشَّيْئَيْنِ؛ وَعليه فَاقَ قَوْلَ الْمُهَلَّبِيِّ الْأَوَّلِ عَلَى قَوْلِهِ الثَّانِي.

والمُهَلَّبِيُّ فِي قَوْلِهِ الْأَوَّلِ جَعَلَ الِامْتِزَاجَ بَيْنَ رُوحيْنِ، أَمَّا فِي قَوْلِهِ الثَّانِي فَقَدْ جَعَلَهُ بَيْنَ نَفْسَيْنِ وَهَذَا أَرَاهُ فِي دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ الدَّلَالَةِ عَلَى قُوَّةِ الِامْتِزَاجِ الْمَعْنَوِيِّ لأن "لَفْظُ النَّفْسِ مُشْتَرَكٌ يَقَعُ عَلَى الرُّوحِ وَعَلَى الذَّاتِ وَيَكُونُ تَوْكِيدًا يُقَالُ خَرَجَتْ نَفْسُهُ أَيْ رُوحُهُ وَجَاءَنِي زَيْدٌ نَفْسُهُ بِمَعْنَى التَّوْكِيدِ وَالسَّوَادُ سَوَادُ لِنَفْسِهِ كَمَا تَقُولُ لِذَاتِهِ "(١)

---

(١) الفروق اللغوية ص: ٥١٩.

وَفَرَّقَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بَيْنَ «النَّفْسِ» وَ«الرُّوحِ» فَقَالَ :"«الرُّوحُ» هُوَ الَّذِي بِهِ الْحَيَاةُ، وَ «النَّفْسُ» هِيَ الَّتِي بِهَا الْعَقْلُ . فَإِذَا نَامَ النَّائِمُ ، قَبَضَ اللَّهُ نَفْسَهُ ، وَلَمْ يَقْبِضْ رُوحَهُ . وَالرُّوحُ لَا يُقْبَضُ إِلَّا عِنْدَ الْمَوْتِ"(١).

وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ يَكُونُ قَوْلُ الْمُهَلَّبِيِّ الْأَوَّلُ الَّذِي عَبَّرَ فِيهِ بِالرُّوحِ أَبْلَغَ مِنْ قَوْلِهِ الثَّانِي الَّذِي عَبَّرَ فِيهِ بِالنَّفْسِ.

أَنَّ قَوْلَ الْمُهَلَّبِيِّ الْأَوَّلِ جَعَلَ فِيهِ الِامْتِزَاجَ بِأَصْفَى خَمْرٍ وأَعْذَبِ مَاءٍ، أَمَّا فِي قَوْلِهِ الثَّانِي فَقَدْ جَعَلَ الِامْتِزَاجَ بَيْنَ أَيِّ خَمْرٍ وَلَمْ يُقَيِّدْهَا بِأَنَّهَا صَافِيَةٌ، وَلَكِنَّهُ اخْتَارَ أَنْ يَمْزُجَ هَذِهِ الْخَمْرَ بِمَاءٍ عَذْبٍ فَقَالَ : (كَالْخَمْرِ تُقْرَعُ بِالزَّلَالِ الْبَارِدِ) وَالْمَاءُ الزُّلَالُ :الْعَذْبُ ; لِأَنَّهُ يَزِلُّ عَنْ ظَهْرِ اللِّسَانِ لِرِقَّتِهِ(٢)؛ وَلِذَا أَرَى قَوْلَه الْأَوَّلِ فِي مَرْتَبَةٍ أَعْلَى مِنْ قَوْلِهِ الثَّانِي، وَعَلَيْهِ يَكُونُ قَوْلُ الْمُهَلَّبِيِّ الْأَوَّلِ أَجْوَدَ الْأَقْوَالِ الثَّلَاثَةِ لِمَا ذَكَرْتُ آنِفًا .

١() الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر الأنباري (ت ٣٢٨هـ) تحقيق: د. حاتم صالح الضامن ٢/ ٣٧٤ الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م.

وقد فرق بينهما بعض العلماء وذكروا كلاما شافيا إن شئت فارجع اليه في:

الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي (ت نحو ٤٠٠هـ) ص: ٢٣٨، الناشر: المكتبة العنصرية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ.

الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام لأحمد السهيلي (ت ٥٨١هـ) تحقيق: عمر عبد السلام السلامي ٣/ ١٨٦ الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٢() مقاييس اللغة مادة(زلّ) ٣/٤.

الْمَبْحَثُ الثَّانِي

مُنَاقَدَةُ الْحَاتِمِي فِي تَلَاقِي الشُّعَرَاءِ فِي امْتِزَاجِ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيهَا

قُلْتُ فِيمَا سَبَقَ إِنَّ الشُّعَرَاءَ قَدْ يَتَلَاقَوْنَ فِي الْمَعْنَى الْوَاحِدِ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ حَدِيثُ الْإِمَامِ عَبْدِ الْقَاهِرِ عَنْهُ حَيْثُ قَالَ: " وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَكْتُبَ جُمْلَةً مِنْ الشِّعْرِ الَّذِي أَنْتَ تَرَى الشَّاعِرَيْنِ فِيهِ قَدْ قَالَا فِي مَعْنًى وَاحِدٍ، وَهُوَ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ : قِسْمٌ أَنْتَ تَرَى أَحَدَ الشَّاعِرَيْنِ فِيهِ قَدْ أَتَى بِالْمَعْنَى غَفْلًا سَاذَجًا ، وَتَرَى الْآخَرَ قَدْ أَخْرَجَهُ فِي صُورَةٍ تَرُوقُ وَتُعْجِبُ . وَقِسْمٌ أَنْتَ تَرَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ الشَّاعِرَيْنِ قَدْ صَنَعَ فِي الْمَعْنَى وَصُوَّرَ" (١) .

وَمَا أَوْرَدَهُ الْحَاتِمِيُّ فِي شَوَاهِدِ هَذَا الْمَبْحَثِ يكونُ مِنْ الْقِسْمِ الثَّانِي الَّذِي تَرَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ الشَّاعِرَيْنِ قَدْ صَنَعَ فِي الْمَعْنَى وَصُوَّرَ؛. حيث ضَمَّ هَذَا الْمَبْحَثُ سِتَّةَ شَوَاهِدَ مِنْهَا شَاهِدَانِ تَرَى الْحَاتِمِيَّ يَذْكُرُهُمَا فِي بَقِيَّةِ الْحِوَارِ الَّذِي دَارَ بَيْنَ ابْنِ أَبِي فَنَنٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَأَرْبَعَةٌ كَانَ الْحُكْمُ النَّقْدِيُّ عَلَيْهَا مِنْ الْحَاتِمِي نَفْسِهِ وَإِلَيْكَ بَيَانُ ذَلِكَ:

أَمَّا الشَّاهِدَانِ اللَّذَانِ كَانَ الْحُكْمُ النَّقْدِيُّ فِيهِمَا نَابِعًا مِنْ حِوَارِ الْمُتَحَاوِرَيْنِ فَقَدْ أَرْجَعَ كُلٌّ مِنْهُمَا أَصْلَ هَذَا الْمَعْنَى إِلَى شَاعِرٍ بِعَيْنِهِ حَيْثُ قَالَ الْحَاتِمِي :

" قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : فقلتُ له إِنَّ هَؤُلَاءِ كُلَّهُمْ أَخَذُوا منْ عُمَرَ بن أبي رَبِيْعَةَ قَوْلَهُ :[كامل]

كُنَّا كَمِثْلِ الخَمْرِ كَانَ مِزاجُهَا ... بِالمَـــاءِ لَا رَنْـــقٌ وَلَا تَكْـــدِيْرُ (٢)

١() دلائل الإعجاز ص:٤٨٩.

(٢) ولهذا البيت قصة مطولة لعمر بن أبي ربيعة وزوجته التي تدعى (كلثم) يضيق المقام بذكرها، وإن شئت فارجع إليها في جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر ١/ ٢٦٦، جمعها وقرأها وقدم لها: الدكتور/ عادل سليمان جمال، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة – جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م

فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي فَنَنٍ « يَا وَيْحَكَ ! فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ سَيِّدِ الشُّعَرَاءِ كُلِّهِمْ ؟ ، قُلْتُ : « وَمَنْ سَيِّدُ الشُّعَرَاءِ ؟ قَالَ : المُسَيَّب بْنُ عَلَسٍ :(١) في قوله [متقارب]:

تَبِيْتُ المُلُوْكُ عَلَى عَتْبِهَا وَشَيْبَانُ إِنْ غَضِبَتْ تُعْتَبُ

وَكَالرَّاحِ بالماء أَخْلَاقُهُمْ وَأَخلَاقُهُمْ مِنْهُمَا أَعْذَبُ

وَكَالمِسْكِ رِيْحُ مَقَامَاتِهِمْ وَتُرب قُبُوْرِهِمُ أَطْيَبُ(٢)

قَالَ فَقُلْتُ : « فَقُلْ إِذَنْ ، سَيِّدُ الشُّعَرَاءِ فِي هَذَا الْمَعْنَى ! » فَقَالَ : « سَيِّدُهُمْ فِي هَذَا الْمَعْنَى ».

فَتَرَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ يُعَلِّقُ عَلَى جَمِيعِ مَا سَبَقَ مِنْ أَبْيَاتٍ وَهِيَ الَّتِي ذَكَرْتُهَا وحللتها فِي الْمَبْحَثِ الْأَوَّلِ وَالَّتِي فَضَّلَ فِيهَا قَوْلَ الْمُهَلَّبِيِّ عَلَى بَيْتِ الْعَبَّاسِ، وَمَا فَضَّلَهُ ابْنُ أَبِي فَنَنٍ مِنْ قَوْلِ ابْنِ أَبِي عُيَيْنَةَ عَلَى قَوْلِهِ الْأَوَّلِ، فَيَقُولُ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ إِنَّ هَؤُلَاءِ كُلَّهُمْ أَخَذُوا الْمَعْنَى مِنْ عُمَرَ بْنِ أبي رَبِيعَةَ .

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ سَابِقٌ جَمِيعَ هَؤُلَاءِ الشُّعَرَاءِ الثَّلَاثَةِ ، وَقَدْ رَجَعْتُ إِلَى تَارِيخِ مَوْلِدِ كُلٍّ مِنْهُمْ فَتَبَيَّنَ لِي صِحَّةُ ذَلِكَ، وَعَلَى ذَلِكَ يَكُونُ الْحُكْمُ النَّقْدِيُّ الَّذِي

---

(١) "اسمه زهير، وهو خال الأعشى، وهو من ضبيعة بن ربيعة لا من ضبيعة بكر؛ وكان الأعشى يتوكأ على شعره، وكان كثير الوفادة على ملوك الحيرة وملوك غسان"

نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب لابن سعيد الأندلسي، تحقيق: الدكتور نصرت عبد الرحمن، ص:٦٥٧، الناشر: مكتبة الأقصى، عمان – الأردن.

(٢) هذه الأبيات أوردها القرشي في حماسته في باب المديح .

حماسة القرشي (المتوفى: ١٢٩٩هـ) تحقيق: خير الدين محمود قبلاوي، ص: ٣٢٢و ٣٢٣،، الناشر: وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، دمشق، الطبعة: (بدون)، ١٩٩٥ م.

كما وردت في: التذكرة الحمدونية لبهاء الدين البغدادي (ت ٥٦٢هـ) ٤/ ١٧،الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ.

أَصْدَرَهُ عَبْدُ اللَّهِ عَلَى قَوْلِ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ بِأَنَّ الشُّعَرَاءَ الثَّلَاثَةَ السَّابِقِينَ قَدْ أَخَذُوا الْمَعْنَى مِنْهُ قَدْ أَصَابَ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ لَهُ فَضْلُ السَّبْقِ فِي إِثْبَاتِ شِدَّةِ الِانْدِمَاجِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَحْبُوبَتِهِ بِالْإِتْيَانِ بِصُورَةٍ حِسِّيَّةٍ فِي أُسْلُوبٍ تَشْبِيهِيٍّ رَائِعٍ حَيْثُ قَالَ: (كُنَّا كَمَثَلِ الْخَمْرِ . . . .)

فَكَمَا تَرَى أَنَّ عُمَرَ لَمْ يُحَدِّدْ امْتِزَاجَ النَّفْسِ أَوْ الرُّوحِ أَوْ الْأَجْسَادِ بَلْ قَالَ: (كُنَّا كَمَثَلِ الْخَمْرِ) وَعَبَّرَ عَنْهُ بِطَرِيقِ الْإِخْبَارِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى حُصُولِ هَذَا الِامْتِزَاجِ فَقَالَ (كُنَّا)، وَبِذَلِكَ يَكُونُ عُمَرُ أَوَّلَ مَنْ صَوَّرَ هَذَا الِامْتِزَاجَ الْمَعْنَوِيَّ بِطَرِيقٍ حِسِّيٍّ مُشَاهَدٍ وَبِتِلْكَ الصُّورَةِ التَّشْبِيهِيَّةِ الْحَسَنَةِ الْجَيِّدَةِ وَهِيَ صُورَةُ امْتِزَاجِ الْخَمْرِ بِالْمَاءِ .

ثُمَّ إِنَّكَ بِالتَّأَمُّلِ تَرَى أَنَّ عُمَرَ أَتَى بِجُمْلَةٍ عَالِيَةٍ بَعْدَ هَذِهِ الصُّورَةِ وَهِيَ قَوْلُهُ: (لَا رَنْقٌ وَلَا تَكْدِيرُ) فَبَعْدَ أَنْ مَزَجَ بَيْنَ الْخَمْرِ وَالْمَاءِ جَعَلَهُمَا غَيْرَ مُكَدِّرَيْنِ أَيْ صَافِيَيْنِ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى صَفَاءِ الطَّرَفَيْنِ (الْخَمْرِ، وَالْمَاءِ)، وَهَذَا السَّبِيلُ قَدْ سَلَكَهُ غَيْرُهُ بَعْدَهُ بِالْفِعْلِ كَمَا رَأَيْنَا فِي الشَّوَاهِدِ السَّابِقَةِ الَّتِي وَقَفَتْ عَلَى صَفَاءِ الْخَمْرِ وَالْمَاءِ مَعًا غَيْرَ أَنَّ الْمُهَلَّبِيَّ أَفْرَدَ كُلًّا مِنْهُمَا بِوَصْفٍ خَاصٍّ وَمُعِينٍ فَقَالَ: (كَأَصْفَى خَمْرٍ بِأَعْذَبِ مَاءٍ).

ثُمَّ تَرَى الْحَاتِمِيَّ يُورِدُ بَقِيَّةَ حَدِيثِ ابْنِ أَبِي فَنَنٍ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ فَيَأْتِي بِقَوْلٍ لِلْمُسَيِّبِ وَيَجْعَلُهُ أَصْلَ الْمَعْنَى فِي ذَلِكَ وَهُوَ قَوْلُهُ :

تَبِيْتُ المُلُوْكُ عَلَى عَتْبِهَا ... وَشَيْبَانُ إِنْ غَضِبَتْ تُعْتَبُ

وَكَالرَّاحِ بالماء أَخْلَاقُهُمْ ... وَأَخلَاقُهُمْ مِنْهُمَا أعْذَبُ

وَكَالمِسْكِ رِيْحُ مَقَامَاتِهِمْ ... وَتُرب قُبُوْرِهِمُ أطْيَبُ

فَكَمَا تَرَى الشَّاعِرَ قَدْ قَصَدَ تَشْبِيهَ أَخْلَاقِ بَنِي شَيْبَانَ فِي جَمَالِهَا وَعُلُوِّهَا بِالْخَمْرِ الْمَمْزُوجَةِ بِالْمَاءِ، بَلْ هِيَ مِنْهَا أَصْفَى وَأَعْذَبُ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ابْنَ أَبِي فَنَنٍ حينما ذَكَرَ هَذَا الْبَيْتَ وَقَالَ إِنَّهُ الْأَصْلُ فِي هَذَا الْمَعْنَى لم يقصد أن يستدل به عَلَى امْتِزَاجِ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيهَا الَّذِي هُوَ الْمَعْنَى الرَّئِيسُ فِي بَقِيَّةِ الْأَبْيَاتِ، وَإِنَّمَا قَصَدَ الِامْتِزَاجَ

الْمُطْلَقَ الْحَاصِلَ بَيْنَ الْخَمْرِ وَالْمَاءِ، وَأَنَّهُ مَنْ سَبَقَ غَيْرَهُ إِلَى هَذِهِ الصُّورَةِ مِنْ الْمَزْجِ الْحِسِّيِّ الَّتِي أَتَى بِها غَيْرُهُ بَعْدَهُ؛ وَمِنْ ثَمَّ فَهَذَا الشَّاهِدُ شَاهِدٌ عَلَى الِامْتِزَاجِ لَكِنَّهُ فِي غَيْرِ الْقُلُوبِ وَلَمْ يَأْتِ إلا مُؤَكِّدًا لِلِامْتِزَاجِ المطلق بَيْنَ شَيْئَيْنِ .

وَقَدْ فَكَّرْتُ كَثِيرًا وَقُلْتُ إِذَا كَانَ مَقْصُودُ المُسَيَّب كَذَلِكَ فَلِمَ لَمْ يَأْتِ بِشَيْءٍ لَهُ جَمَالٌ خَاصٌّ غَيْرِ الْمَاءِ حَتَّى إِذَا مُزِجَ مَعَ الْخَمْرِ ظَهَرَ جَمَالُهُ هَذَا فَأَثْبَتَ جَمَالَ أَخْلَاقِ بَنِي شَيْبَانَ، وَكُنْت قَدْ فَكَّرْتُ فِي اقْتِرَاحِ لَفْظٍ يُنَاسِبُ هَذَا الْمَعْنَى أَكْثَرَ مِنْ الْمَاءِ فَقُلْتُ لَوْ قَالَ: (وَكَالشَّهْدِ بِالرَّاحِ أَخْلَاقُهُمْ) – وَيَكُونُ الْمُرَادُ بِالشَّهْدِ الْعَسَلَ – لَكَانَ أَحْسَنَ وَأَنْسَبَ، وَلَكِنِّي رَجَعْتُ إِلَى الْبَيْتِ فِي دِيوَانِ المُسَيَّب فَوَجَدْتُهُ قَدْ أَوْرَدَهُ بِلَفْظِ الشَّهْدِ الَّذِي اقْتَرَحْتُه فَحَمِدْتُ اللَّهَ وَاطْمَئَنَّ قَلْبِي وَعَلِمْتُ أَنَّ الْحَاتِمِيَّ قَدْ ذَكَرَ الْبَيْتَ بِرِوَايَةٍ أُخْرَى غَيْرِ الْوَارِدَةِ فِي دِيوَانِ قَائِلِهِ حَيْثُ قَالَ: (وَكَالرَّاحِ بِالْمَاءِ أَخْلَاقُهُمْ) وَهُوَ فِي دِيوَانِهِ (وَكَالشَّهْدِ بِالرَّاحِ أَخْلَاقُهُمْ)(١)، وَعليه فَإِنَّ رِوَايَةَ الْبَيْتِ كَمَا هِيَ وَارِدَةٌ فِي الدِّيوَانِ هِيَ الْأَحْسَنُ وَالْأَجْوَدُ مِنْ الرِّوَايَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْحَاتِمِيُّ؛ لِأَنَّ الشَّاعِرَ إِنَّمَا قَصَدَ إِظْهَارَ جَمَالِ أَخْلَاقِ بَنِي شَيْبَانَ وَتَصْوِيرَهِ، وَعَلَيْهِ يَكُونُ قَوْلُهُ: (وَكَالشَّهْدِ بِالرَّاحِ أَخْلَاقُهُمْ) أَحْسَنَ وَأَنْسَبَ مِنْ قَوْلِهِ: (وَكَالرَّاحِ بِالْمَاءِ) لِمَا فِي الشَّهْدِ مِنْ جَمَالٍ لَيْسَ فِي الْمَاءِ؛ وَعَلَيْهِ يَكُونُ الْقَصْدُ مِنْ التَّشْبِيهِ هُوَ بَيَانَ جَمَالِ الْأَخْلَاقِ، وَيَكُونُ الْقَصْدُ مِنْ ذِكْرِ الشَّهْدِ مَعَ الرَّاحِ هُوَ الْجَمَالُ الْحَاصِلُ بِالِامْتِزَاجِ لَا الِامْتِزَاجِ ذَاتِهِ الَّذِي أَتَى بِالْبَيْتِ مِنْ أَجْلِهِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ قَصَدَ الِامْتِزَاجَ الْمُطْلَقَ دُونَ تَقْيِيدِهِ بِكَوْنِهِ فِي الْقُلُوبِ لِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَبْيَاتُ وَسِيَاقِ الْمقامِ؛ وَلِذَا أَكْمَلَ فِي تَعْدَادِ خِصَالِهِمْ فَقَالَ: وَكَالْمِسْكِ تُرْبُ مَقَامَاتِهِمْ . . .

وَقَدْ رَجَعْتُ إِلَى الْقَصِيدَةِ الَّتِي مِنْهَا أَبْيَاتُ المُسَيَّب فَوَجَدْتُ أَنَّهَا مِنْ قَصِيدَةٍ نَظَمَهَا المُسَيَّب يَحُثُّ فِيهَا قَوْمَهُ عَلَى الرَّحِيلِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِضَعْفِهِمْ وَهَوَانِهِمْ وَلِقُوَّةِ عَدُوِّهِم،

---

(١) ديوان المسيب بن عَلَس ، جمع وتحقيق د/ عبد الحمن محمد الوصيفي ص ٢٤ وما بعدها ، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

فَاخْتَارَ بَنِي شَيْبَانَ لِلرَّحِيلِ إِلَيْهِمْ، وَأَخَذَ يُعَدِّدُ خِصَالَهُمْ الْحَسَنَةَ وَمِنْهَا هَذَا الْبَيْتُ الَّذِي هُوَ شَاهِدُ الِامْتِزَاجِ الْمُطْلَقِ كَمَا بَيَّنْتُ وَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ مَطْلَعُهَا:

أَبْلِغْ ضُبَيْعَةَ أَنَّ الْبِلا *** دَ فِيهَا لِذِي قُوَّةٍ مَغْضَبُ[1]

وَالرِّوَايَةُ الَّتِي أَوْرَدَهَا الْحَاتِمِيُّ لِبَيْتِ الشَّاهِدِ بِتَكْرَارِ لَفْظِ (أَخْلَاقِهِمْ) حَيْثُ قَالَ:

وَكَالرَّاحِ بالماء أَخْلَاقُهُمْ وَأخلَاقُهُمْ مِنْهُمَا أعْذَبُ

وَعَلَى ذَلِكَ يَكُونُ الْمَعْنَى وَكَالخَمْرِ بِالْمَاءِ أَخْلَاقَهُمْ بَلْ إِنَّ أَخْلَاقَهُمْ أَعْذَبُ مِنْ هَذَا الْمَزِيجِ، وَقَدْ بَحَثْتُ فَوَجَدْتُ رِوَايَةً ثَالِثَةً لِلْبَيْتِ أَوْرَدَهَا إِبْرَاهِيمُ الْحُصَرِيُّ الْقَيْرَوَانِيُّ بِقَوْلِهِ:

وَكَالشَّهْدِ بِالرَّاحِ أَلْفَاظُهُمْ *** وَأَخْلَاقُهُمْ مِنْهُمَا أَعْذَبُ [2]

وَقَدْ قَالَ عَنْهَا إِنَّهَا مِنْ جَيِّدِ الْمَدَائِحِ، وَقَدْ أَصَابَ فِي ذَلِكَ أَيَّمَا إِصَابَةٍ؛ فَهِيَ رِوَايَةٌ حَسَنَةٌ جِدًّا مِنْ وُجُوهٍ هِيَ: التَّعْبِيرُ بِلَفْظِ (الشَّهْدِ) بَدَلًا مِنْ لَفْظِ (الْمَاءِ).

التَّعْبِيرُ بِلَفْظِ (أَلْفَاظِهِمْ) وَعَدَمُ تَكْرَارِ لَفْظِ (أَخْلَاقِهِمْ) حَيْثُ جَعَلَ جَمَالَ أَلْفَاظِهِمْ فِي حَدِيثِهِمْ، وَطِيبَ كَلَامِهِمْ يُشْبِهُ الشَّهْدَ الْمَمْزُوجَ بِالْخَمْرِ، وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ تَفُوقُ غَيْرَهَا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ .

ثُمَّ أَحْسَنَ ثَالِثَةً فَتَرَاهُ يَزِيدُ فِي مَدْحِهِمْ فَيَرَى أَنَّ أَخْلَاقَهُمْ أَعْذَبُ مِنْ هَذَا الْمَزِيجِ الْجَمِيلِ الَّذِي شَبَّهُ بِهِ أَلْفَاظَهُمْ فِي حَلَاوَتِهَا، وَهُوَ مَعْنًى حَسَنٌ وَفِيهِ تَنَاسُبٌ وَتَنَاغُمٌ أَيَّ تَنَاسُبٍ؛ لِأَنَّ حَلَاوَةَ الأَلْفَاظِ تَدُلُّ عَلَى جَمَالِ الْأَخْلَاقِ وَحُسْنِهَا .

---

(١) المرجع السابق ص: ٢٤.

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب لإبراهيم الحُصري القيرواني (ت ٤٥٣هـ) ٤/ ١٠٩٩، الناشر: دار الجيل، بيروت.

وحماسة القرشي ص : ٣٢٢ وما بعدها .

ثُمَّ وُجِدَتْ رِوَايَةً رَابِعَةً بِقَوْلِهِ :

وَكَـــالرَّاحِ بِالْمِسْـــكِ أَخْلَاقُهُـــمْ . . . وَأَخْلَاقُهُـــمْ مِنْهُمَـــا أَعْـــذَبُ[١]

وَهِيَ رِوَايَةٌ حَسَنَةٌ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَوَّلُهُمَا – التَّعْبِيرُ بِلَفْظِ (الْمِسْك) بَدَلًا مِنْ (الشَّهْدِ، وَالْمَاءِ) فَتَرَاهُ يَجْعَلُ الْمَزِيجَ خَمْرًا وَمِسْكًا، وَأَرَاهُ أَعْلَى مَزْجٍ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَهُوَ الْأَدَقُّ فِي وَصْفِ جَمَالِ الْأَخْلَاقِ، وَكَأَنَّهَا فِي جَمَالِهَا تُشْبِهُ الْخَمْرَ وَلَيْسَ هَذَا فَحَسْبُ بَلْ إِنَّهَا تَتْرُكُ فِي النَّفْسِ أَثَرًا حَتَّى زَاعَ صِيتُهُمْ وَاشْتَهَرُوْا بِذَلِكَ، وَهَذَا الْمَعْنَى لَا يَنْهَضُ بِهِ إِلَّا الْمِسْكُ الدَّالُّ عَلَى طِيبِ الْأَثَرِ وَانْتِشَارُ عَبَقِهِ الطَّيبِ، وَاخْتَارَ الْمِسْكَ لِأَنَّهُ أَطْيَبُ الطِّيبِ كما أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم)[٢] فـ" الْمَسْكُ أَحْسَنُ أَنْوَاعِ الطِّيبِ ، وَأَفْضَلُهَا ، وَأَشْرَفُهَا فَهُوَ أَفْخَرُ أَنْوَاعِهِ ، وَسَيِّدُهَا . [تَنْبِيهٌ] : قَالَ الْفَيُّومِيُّ :" الْمِسْكُ : طِيبٌ مَعْرُوفٌ ، وَهُوَ مُعَرَّبٌ ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّيهِ الْمَشْمُومَ ، وَهُوَ عِنْدَهُمْ أَفْضَلُ الطِّيبِ ، وَلِهَذَا وَرَدَ :" لَخَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ عِنْدَ اللَّهِ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ[٣] " تَرْغِيبًا فِي إبْقَاءِ أَثَرِ الصَّوْمِ "[٤]، فَأَحْسَنَ مَا شَاءَ مِنْ الْإِحْسَانِ فِي التَّعْبِيرِ بِهِ وَجَعْلِهِ طَرَفًا فِي طَرَفَيْ هَذَا الْمَزِيجِ .

ثُمَّ أَحْسَنَ مَرَّةً أُخْرَى فِي جَعْلِ الْأَخْلَاقِ أَعْلَى مِنْ هَذَا الْمَزِيجِ؛ لَكِنَّهُ كَرَّرَ لَفْظَ الْأَخْلَاقِ كَمَا جَاءَ فِي رِوَايَةِ الْحَاتِمِي . ثُمَّ وَجَدْتُ رِوَايَةً خَامِسَةً تَقُولُ :

---

(١) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب لابن سعيد الأندلسي ص : ٦٥٧.

(٢) راجع الحديث في صحيح مسلم ٤/ ١٧٦٥ .

(٣) صحيح البخاري، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) – ٢/٦٧٠، دمشق الطبعة: الخامسة، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م.

(٤) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج للولوي ٣٦ /٥٩٨ الناشر: دار ابن الجوزي – الرياض الطبعة: الأولى ١٤٢٦ – ١٤٣٦ هـ.

وَكَالشَّـــــهْدِ بِـــــالرَّاحِ أَحْلَامُهُـــــمْ *** وَأَخْلَاقُهُـــــمْ مِنْهُمَـــــا أَعْـــــذَبُ
وَكَالْمِسْـــــكِ رِيـــــحُ مَقَامَـــــاتِهِمْ *** وَرِيـــــحُ قُبُـــــورِهِمُ أَطْيَـــــبُ[1]

وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ عِنْدِي حَسَنَةٌ جِدًّا مِنْ وُجُوهٍ هِيَ:

التَّعْبِيرُ بِلَفْظِ (الشَّهْدِ) مَعَ (الرَّاحِ) فَإِنَّ التَّعْبِيرَ بِلَفْظِ الْمِسْكِ وَإِنْ كَانَ حَسَنًا كَمَا ذَكَرْتُ سَابِقًا إِلَّا أَنَّهُ يَجْعَلُ فِي الْكَلَامِ تَكْرَارًا حَيْثُ عَبَّرَ الشَّاعِرُ بِهِ فِي الْبَيْتِ التَّالِي عَلَى هَذَا الْبَيْتِ.

التَّعْبِيرُ بِلَفْظِ (أَحْلَامِهِمْ) بَدَلًا مِنْ تَكْرَارِ لَفْظِ (أَخْلَاقِهِمْ) مَرَّتَيْنِ فِي الْبَيْتِ، وَعَلَيْهِ يَكُونُ الْمَعْنَى: وَكَالشَّهْدِ بِالرَّاحْ أَحْلَامُهُمْ بَلْ إِنَّ أَخْلَاقَهُمْ أَعْذَبُ وَأَجْمَلُ مِنْ هَذَا الْمَزِيجِ الْجَمِيلِ، وَبِذَلِكَ تَكُونُ هَذِهِ الرِّوَايَةُ حَسَنَةً كَحُسْنِ رِوَايَةِ الْقُرَشِيِّ الَّتِي وَرَدَتْ بِلَفْظِ (أَلْفَاظِهِمْ) بَيْدَ أَنَّ رِوَايَةَ الْقُرَشِيِّ أَكْشَفُ وَأَبْيَنُ وَأَشَدُّ تَنَاسُبًا فِي التَّعْبِيرِ بِلَفْظِ (أَلْفَاظِهِمْ) عَنْ لَفْظِ (أَحْلَامِهِمْ) .

وَالْحَقُّ أَنَّ التَّعْبِيرَ بِلَفْظِ (أَحْلَامِهِمْ) قَدْ شَغَلَنِي كَثِيرًا وَأَخَذَ حَيِّزًا مِنْ فِكْرِي حَتَّى أَقِفَ عَلَى الْمَقْصُودِ بِهِ؛ إِذْ كُنْتُ فِي بِدَايَةِ عَهْدِي بِتَحْلِيلِ الْبَيْتِ أَرَى أَنَّ التَّعْبِيرَ بِهِ لَيْسَ تَحْتَهُ طَائِلَ مَعَنًى، وَلَكِنْ بَقِيَ فِي النَّفْسِ شَيْءٌ مِنْهُ فظَلَلْتُ أَغُوصُ فِي بَحْرِ مَعَانِيهِ حَتَّى هَدَانِي اللَّهُ إِلَى خَوَاطِرَ فِي الْمَقْصُودِ بِهِ فِي هَذَا الْبَيْتِ هِيَ: أَنَّ هَذِهِ اللَّفْظَةَ يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ الْمَقْصُودُ بِهَا أحد معنيين:

أَنْ يَكُونَ الْمَقْصُودُ بِهَا (الرُّؤْيَا) وَحِينَئِذٍ تَكُونُ جَمْعًا لِلَفْظِ (حُلْم، أو حُلُم) وفعله (حَلَم) بِالْفَتْحِ[2] وَهُوَ الْمَعْنَى الظَّاهِرُ لَهَا مِنْ بِدَايَةِ قِرَاءَتِهَا وَهُوَ الَّذِي جَعَلَنِي أَقُولُ لَا طَائِلَ مِنْ التَّعْبِيرِ بِهَا غَيْرَ عَدَمِ تَكْرَارِ لَفْظِ (أَخْلَاقِهِمْ)؛ إِذْ مَا الْمُفِيدُ مِنْ الإِخْبَارِ بِأَنَّ أَحْلَامَهُمْ جَمِيلَةٌ وَأَخْلَاقَهُمْ أَحْلَى مِنْهَا؟ اللَّهُمَّ إِلَّا إِنْ كَانَ قَدْ أَرَادَ أَنَّ جَمَالَ الْأَحْلَامِ الَّذِي لَا يَكُونُ

---

(١) التذكرة الحمدونية ٤/ ١٧ .

(٢) لسان العرب مادة (حَلِم) ١٢/١٤٥.

فِي الْوَاقِعِ شَيْئٌ مِنْهُ لِشِدَّةِ جَمَالِهِ قَدْ تَفَوَّقَتْ عَلَيْهِ أَخْلَاقُهُمْ، فَإِذَا هُمْ بِأَخْلَاقِهِمْ فَاقُوا النَّاسَ جَمِيعًا حَتَّى يُخَيَّلَ لِمَنْ يَتَعَامَلُ مَعَهُمْ أَنَّهُمْ أُنَاسٌ لَيْسُوا فِي اليقَظَةِ، بَلْ فِي أَحْلَامٍ؛ وَذَلِكَ بِسَبَبِ حُسْنِ أَخْلَاقِهِمْ الَّذِي فَاقَ كُلَّ حُسَنٍ وَكُلَّ جَمَالٍ وَبِذَلِكَ تَكُونُ الرِّوَايَتَيْنِ فِي دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ الْحُسْنِ وَاَللَّهُ اعْلَمْ .

أَنْ يُرَادَ بِهَا (الْعقول) وَحِينَئِذٍ يَكُونُ الْمَعْنَى وَأَحْلَامُهُمْ وَعُقُولُهُمْ كَالشَّهْدِ الْمَمْزُوجِ بِالْخَمْرِ فِي عُلُوِّ وَصَفَاءِ فِكْرِهَا؛ بَلْ إِنَّ أَخْلَاقَهُمْ أَعْذَبُ مِنْ هَذَا الْمَزِيجِ الْعَالِي.

وهذان المعنيان كلاهما حسن وَمُنَاسِب لِسِيَاقِ مَدِيحِ بَنِي شَيْبَانَ هَؤُلَاءِ وَالثَّنَاءِ عَلَى صِحَّةِ عُقُولِهِمْ وَحُسْنِ أَخْلَاقِهِمْ ونفاذ بصيرتهم. ثُمَّ وُجِدَتْ رِوَايَةٌ سَادسةً بِتَكْرَارِ لَفْظِ (أَحْلَامِهِمْ) بَدَلًا مِنْ لَفْظِ (أَخْلَاقِهِمْ) وَبِالتَّعْبِيرِ بِالشَّهْدِ مَعَ الرَّاحِ[1].

وَهِيَ رِوَايَةٌ حَسَنَةٌ مِنْ حَيْثُ التَّعْبِيرُ بِلَفْظِ (الشَّهْدِ) لَكِنْ يُؤْخَذُ عَلَيْهَا تَكْرَارُ لَفْظِ (أَحْلَامِهِمْ) الَّذِي هُوَ فِي الْأَصْلِ أَقَلُّ مِنْ التَّعْبِيرِ بِلَفْظِ (أَخْلَاقِهِمْ) حَتَّى وَإِنْ تَكَرَّرَ؛ لِأَنَّنَا نَذْهَبُ فِي بَيَانِ سِرِّ التَّعْبِيرِ بِهِ إِلَى مَعْنًى بَعِيدٍ، ولأجل هذا فَهِيَ فِي أَقَلِّ دَرَجَاتِ الْحُسْنِ

وَهَنَاكَ رِوَايَةً سَابِعَة بِقَوْلِهِ :

وَكَالشُّهْدِ بِالرَّاحِ أَحْلَامُهُمْ... وَأَخْلَاقُهُمْ مِنْهُمَا أَعْذَبُ [2]

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) ١/ ١٤٤، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت، تاريخ النشر: ١٤١٨ هـ.

الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/ ١٧٢،الناشر: دار الحديث، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٣ هـ

العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ) ٣/ ٢٨٥، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ.والتشبيهات لأبي اسحاق بن أبي عون (ت ٣٢٢هـ) ص: ٧٠.

(٢) الدر الفريد وبيت القصيد، ٥/ ٢٧٧.

وَهِيَ رِوَايَةٌ حَسَنَةٌ مِنْ وَجْهٍ وَغَيْرُ حَسَنَةٍ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ، فَأَمَّا وَجْهُ الْحَسَنِ فَفِي التَّعْبِيرِ بِالشَّهْدِ مَعَ الرَّاحِ، وَأَمَّا وَجْهُ عَدَمِ الْحُسْنِ فَفِي تَقْدِيمِ لَفْظِ أَخْلَاقِهِمْ عَلَى أَحْلَامِهِمْ وَلَوْ عَكَسَ وقال:

وَكَالشُّهْدِ بِالرَّاحِ أَحْلَامُهُمْ... وَأَخْلَاقُهُمْ مِنْهُمَا أَعْذَبُ

لَكَانَ أَحْسَنُ وَأَنْسَبُ فِي سِيَاقِ مَدِيحِ بَنِي شَيْبَانَ؛ فَهُوَ وَإِنْ لَمْ يُكَرِّرْ اللَّفْظَ إِلَّا أَنَّهُ قَدَّمَ مَا حَقُّهُ التَّأْخِيرُ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى وَهُوَ لَفْظُ (أَحْلَامُهُمْ)، وَأَخَّرَ مَا حَقُّهُ التَّقْدِيمُ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى وَهُوَ لَفْظُ (أَخْلَاقُهُمْ) فَلَمْ يَكُنْ هَذَا حَسَنًا فِي قِرَانِ النَّظْمِ[1] .

---

(١) وَقَدْ آثَرْتُ أَنْ أَقِفَ عَلَى شَاهِدِ الِامْتِزَاجِ فِي صُلْبِ الْبَحْثِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ أَسَاسُ الدِّرَاسَةِ، ثُمَّ وَجَدْتُ نَفْسِي أَمَامَ نَظْمٍ عَالٍ وَتَشْبِيهَاتٍ حَسَنَةٍ عَالِيَةٍ فَطَافَ بِخَاطِرِي شَيْءٌ مِنْ تَحْلِيلِهَا، فَآثَرْتُ أَنْ أُسَجِّلَهُ فِي الْهَامِشِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ فِي مَعْنَى الِامْتِزَاجِ، ولكن لما كان قائله يرجع إليه هذا الباب كله في هذا المعنى كان لزاما علي أن أقف عند براعته وجمال نظمه، حيث نَرَاهُ يُكْمِلُ فِي مَدِيحِهِمْ فِي بَيْتٍ ثَالِثٍ بَعْدَ شَاهِدِ الِامْتِزَاجِ أَوْرَدَهُ الْحَاتِمِيُّ بِرِوَايَةٍ هِيَ قَوْلُهُ:

وَكَالمِسْكِ رِيْحُ مَقَامَاتِهِمْ وَتُرْبُ قُبُوْرِهِمْ أَطْيَبُ

وَهَذَا التَّشْبِيهُ مِنْ التَّشْبِيهَاتِ الْجَيِّدَةِ الْحَسَنَةِ الْبَلِيغَةِ، وَلَفْظُ (مَقَامَاتٍ) فِيهِ جَمْعُ مَقَامٍ وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ الْمَجْلِسَ أَوْ مَوْضِعَ الْقَدَمَيْنِ وَحَيْئِذٍ يَكُونُ قَدْ شَبَّهَ رِيحَ أَمَاكِنِ جُلُوسِهِمْ بِالْمِسْكِ كِنَايَةً بِهَذَا التَّشْبِيهِ عَنْ طَهَارَتِهِمْ وَغِنَائِهِمْ لِأَنَّ الْغَنِيَّ يَكُونُ طَيِّبُ الرَّائِحَةِ فِي الْعَادَةِ.

وَيَصِحُّ انْ يُرَادَ بِهِ الشَّرَفُ وَالرِّفْعَةُ وَحِينَئِذٍ يَكُونُ قَدْ أَرَادَ تَشْبِيهَ شَرَفِهِمْ وَعُلُوِّ مَكَانَتِهِمْ فِي حُسْنِهَا وَذُيُوعِهَا بِالْمِسْكِ فَأَخْبَارُهُمْ كَالْمِسْكِ تَفُوحُ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ جَعَلَ لِلْمَقَامِ أَيْ الشَّرَفِ رِيحا عَلَى طَرِيقِ الِاسْتِعَارَةِ الْمَكْنِيَّةِ ثُمَّ بَنَى عَلَى هَذِهِ الِاسْتِعَارَةِ هَذَا التَّشْبِيهَ الْحَسَنَ الَّذِي بُنِيَتْ مِنْهُ الْكِنَايَةُ عَنْ صِفَةٍ هِيَ عُلُوُّ الْمَكَانَةِ وَانْتِشَارُ أَخْبَارِهِمْ الْحَسَنَةِ حَتَّى عَرَفَهُمْ الْقَاصِي وَالدَّانِي لِشُهْرَتِهِمْ بِهَا.

ثُمَّ تَرَاهُ يُرْدِفُ هَذَا التَّشْبِيهَ بِآخِرٍ فَيَقُولُ : (وَتُرْبُ قُبُورُهُمْ أَطْيَبُ) فَلَمَّا كَانَ الْغَرَضُ مِنْ الْأَبْيَاتِ هُوَ مَدْحُ هَؤُلَاءِ نَرَى الشَّاعِرَ لَا يَقِفُ عِنْدَ مَدْحِهِمْ بِالشَّرَفِ وَحُسْنِ الْأَخْلَاقِ فِي الدُّنْيَا فَحَسْبُ وَإِنَّمَا تَرَاهُ يَسْلُكُ مَسْلَكًا حَسَنًا كل الحسن وَهُوَ بَيَانٌ أَنَّ تُرَابَ قُبُورِهِمْ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ الَّذِي شَبَّهَ بِهِ مَكَانَهُمْ وَمَجْلِسَهُمْ أَوْ مَكَانَتَهُمْ وَشَرَفَهُمْ، وَهَذَا طَبْعِي لِأَنَّ مَنْ كَانَ بِهَذِهِ الِاخْلَاقِ فِي الدُّنْيَا فَمِنْ الطَّبَعِيِّ أَنْ ←←←

←←←

تَكُونَ آخِرَتُهُمْ حَسَنَةً حَتَّى يَبْدُوَ هَذَا عَلَى قُبُورِهِمْ فَتَطِيبَ رَائِحَةُ تُرَابِهَا. وَهَذَا التَّنْبِيهُ حَسَنٌ جِدًّا مِنْ الشَّاعِرِ؛ وَعَلَيْهِ فَإِنَّ رِوَايَةَ الْبَيْتِ كَمَا أَوْرَدَهَا الْحَاتِمِي حَسَنَةٌ كل الحسن، وَيَكُونُ الشَّاعِرُ مُصِيبًا فِي التَّعْبِيرِ بِكُلِّ لَفْظٍ فِيهَا .

وَتَعْبِيرُهُ بِلَفْظِ (تُرْب) فِي التَّشْبِيهِ الثَّالِثِ فِي قَوْلِهِ (وَتُرْب قُبُورِهِمْ) يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ قَصَدَ بِالْمَقَامِ فِي الشَّطْرِ الْأَوَّلِ الْمَكَانِ وَالْمَجْلِسِ وَتَبَعًا لِذَلِكَ يَكُونُ الْمَعْنَى إِنَّ رِيحَ أَمَاكِنِ جُلُوسِهِمْ كَالْمَسْكِ وَرِيحَ قُبُورِهِمْ أَطْيَبُ مِنْهُ وَهَذَا حَسَنٌ .

وَانْظُرْ إِلَى الرِّوَايَةِ الَّتِي وَرَدَتْ غَيْرُ هَذِهِ الرِّوَايَةِ وَهِيَ قَوْلُهُ :

وَكَالْمُسِكِ تُرْبُ مَقَامَاتِهِمْ . . . وَتُرْبُ مَقَامَاتِهِمْ أَطْيَبُ

راجع: نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب لابن سعيد الأندلسي ص: ٦٥٧.

فَتَرَاهُ يُعَبِّرُ بِلَفْظِ(تُرْبٍ) الَّذِي مَعْنَاهُ التُّرَابُ فِي الشَّطْرَيْنِ وَمِنْ ثَمَّ فَهَذِهِ الرِّوَايَةُ عِنْدِي أَكْشِفُ وَأَبْيَنُ فِي بَيَانِ الْمُرَادِ بِلَفْظِ (مَقَامَاتِهِمْ) وَهُوَ الْمَجْلِسُ وَمَوْضِعُ الْقَدَمِ، فَإِذَا كَانَ التُّرَابُ الَّذِي تَحْتَ أَقْدَامِهِمْ كَالْمِسْكِ فَكَيْفَ هُمُ ؟

وَمِنْ ثَمَّ تَفْسِيرُ الْمَقَامِ بِمَوْضِعِ الْقَدَمِ أَبْلَغُ مِنْ تَفْسِيرِهِ بِالْمَجْلِسِ وَأَظْهَرُ فِي بَيَانِ مَكَانَتِهِمْ وَإِنْ كَانَ عَنْ طَرِيقِ الْمُبَالَغَةِ فِي إِظْهَارِ ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهَا حَسَنَةٌ جِدًّا.

ثُمَّ تَرَاهُ يَقُولُ: (وَتُرْبُ مَقَامَاتِهِمْ أَطْيَبُ) أَيْ: وَتُرْبُ مَوْضِعِ أَقْدَامِهِمْ أَطْيَبُ مِنْ الْمِسْكِ وَهِيَ مُبَالَغَةٌ حَسَنَةٌ عَالِيَةٌ مُنَاسِبَةٌ لِمَدِيحِهِمْ، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ حَسَنًا إِلَّا أَنَّ تَكْرَارَ لَفْظِ (مَقَامَاتٍ) يُضْعِفُ الْبِنَاءَ، وَلَا يُفِيدُ سِوَى الْمُبَالَغَةِ، وَلَوْ أَنَّهُ عَبَّرَ بِغَيْرِهَا لَكَانَ قَدْ مَدَحَهُمْ بِشَيْءٍ آخَرَ وَلَيْسَ بِطِيبِ تُرَابِ مَجْلِسِهِمْ الَّذِي دَارَ حَوْلَهُ الْبَيْتُ بِأَكْمَلِهِ فَحَسْبُ، وَعَلَيْهِ فَالتَّنْوِيعُ فِي التَّشْبِيهِ فِي رِوَايَةِ الْحَاتِمِيِّ جَعَلَ رِوَايَةَ الْحَاتِمِيِّ أَبْلَغَ وَأَحْسَنَ، وَقَدْ وَرَدَتْ رِوَايَةُ الْحَاتِمِيِّ فِي الدُّرِّ الْفَرِيدِ وبيت القصيد ٥/٢٧٧.

وَلِلْبَيْتِ رِوَايَةٌ ثَالِثَةٌ هِيَ قَوْلُهُ:

وَكَالْمُسِكِ رِيحُ مَقَامَاتِهِمْ . . . وَرِيحُ قُبُورِهِمْ أَطْيَبُ

التذكرة الحمدونية لبهاء الدين البغدادي (ت ٥٦٢هـ)٤/ ١٧،، الدر الفريد وبيت القصيد ٥/ ٢٧٧.

فَهَذِهِ الرِّوَايَةُ عَبَّرَ فِيهَا بِلَفْظِ (رِيحٍ) بَدَلًا مِنْ لَفْظِ (تُرْبٍ) فِي الشَّطْرَيْنِ، وَهِيَ أَظْهَرُ فِي الْمَعْنَى مِنْ سَابِقَتِهَا، لَكِنَّ تَكْرَارَ لَفْظِ (رِيحٍ) غَيْرُ حَسَنٍ لِمَا ذَكَرْتُ سَابِقًا .

وَانْظُرْ إِلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ الْحَسَنَةِ بِقَوْلِهِ :

وَكَالْمُسِكِ تُرْبُ مَقَامَاتِهِمْ . . . وَتُرْبُ أُصُولِهِمْ أَطْيَبُ

←←←

ثُمَّ تَرَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ يُكْمِلُ فِي حِوَارِهِ مَعَ ابْنِ أَبِي فَنَنٍ، حَيْثُ تَرَاهُ يَرْضَى بِحُكْمِ ابْنِ أَبِي فَنَنٍ وَيُوَافِقُهُ الرَّأْيَ فِيهِ وَيُقَرِّرُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: "إِذًا سَيِّدُ الشُّعَرَاءِ فِي هَذَا الْمَعْنَى"، وَهَذَا تَصْرِيحٌ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِأَنَّ المُسَيَّب بْنَ عَلَسٍ هُوَ سَيِّدُ الشُّعَرَاءِ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَأَنَّهُ أَسْبَقُ مِنْ قَوْلِ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ الَّذِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِنَّهُ الْأَصْلُ فِيهِ، وَإِنَّ كُلَّ مَنْ جَاءُوا بَعْدَهُ أَخَذُوا مِنْهُ .

وَفِي كُلِّ ذَلِكَ يُرِيدُونَ الدَّلَالَةَ عَلَى الِامْتِزَاجِ بِالتَّدْلِيلِ عَلَى ذَلِكَ بِصُورَةٍ تَشْبِيهِيَّةٍ حِسِّيَّةٍ تُصَوِّرُ امْتِزَاجًا كَائِنًا فِي الْحَوَاسِّ دَالًّا عَلَى امْتِزَاجٍ مَعْنَوِيٍّ إِذْ " لَيْسَ الْحُبُّ إِلَّا امْتِزَاجَ رُوحَيْنِ"[1] .

→→→

زهر الآداب لإبراهيم الحصري القيرواني ٤/ ١٠٩٩.

فَكَمَا تَرَى عَبَّرَ فِيهَا بِلَفْظِ (تُرْب) مَرَّتَيْنِ إِلَّا أَنَّهُ عَبَّرَ بِلَفْظِ (أُصُولِهِمْ) بَدَلًا مِنْ قُبُورِهِمْ، وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ وَحْدَهَا اخْتُصَّتْ بِهَذَا اللَّفْظِ وَهِيَ رِوَايَةٌ حَسَنَةٌ وَلَهَا مَعْنًى حَسَنٌ شَرِيفٌ إِذْ الْمَعْنَى سَيَكُونُ: وَكَالْمِسْكِ تُرَابُ مَجَالِسِهِمْ، وَتُرَابُ أُصُولِهِمْ أَطْيَبُ مِنْ هَذَا الْمِسْكِ، وَيَكُونُ التَّعْبِيرُ بِالتُّرْبِ فِي الشَّطْرِ الثَّانِي تَرْشِيحًا لِلَفْظِ (أُصُولِهِمْ) وَيَكُونُ كِنَايَةً عَنْ طِيبِ صُلِهِمْ وَعَرَاقَةِ نَسَبِهِمْ، وَهُوَ مَعْنًى حَسَنٌ أَضَافَتْهُ هَذِهِ الرِّوَايَةُ وَمُنَاسِبٌ لِمَقَامِ الْمَدِيحِ .

وَلَهُ رِوَايَةٌ خَامِسَةٌ وردت في الشعر والشعراء ١/ ١٧٢هِيَ قَوْلُهُ :

وَكَالْمِسْكِ تُرْبَ مَنَامَاتِهِمْ . . . وَرَيَا قُبُورَهُمْ أَطْيَبُ

وَالْمَنَامَاتُ جَمْعُ مَنَامٍ وَهُوَ مَوْضِعُ النَّوْمِ فَأَرَادَ أَنَّ مَوْضُوعَ نُوهَمَ كَالْمِسْكِ كِنَايَةً عَنْ نَظَافَتِهِمْ وَأَنَّهُمْ مُتْرَفُونَ ثُمَّ نَبَّهَ عَلَى أَنَّ هَذَا لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا فَحَسْبُ وَإِنَّمَا هُوَ فِي آخِرَتِهِمْ أَيْضًا فَأَخْبَرَ أَنَّ رِيحَ قُبُورِهِمْ أَطْيَبُ مِنْ هَذَا الْمِسْكِ .

وَرِيًّا مَعْنَاهُ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ .

فَأَحْسَنَ فِي تَنَوُّعِ الْأَلْفَاظِ حَيْثُ عَبَّرَ بِلَفْظِ تَرَبَ فِي الشَّطْرِ الْأَوَّلِ ثُمَّ عَبَّرَ بِلَفْظِ رَيَا فِي الشَّطْرِ الثَّانِي وَلَمْ يُكَرِّرْ لَفْظَ تُرَبَ وهذه الرواية هي الواردة في ديوان المسيب ص:٢٥ .

وَتَبْقَى رِوَايَةُ الْحَاتِمِيِّ الْبَيْتَ هِيَ أَحْسَنَ الرِّوَايَاتِ وَأَبْلَغُهَا .

(١) مجلة الرسالة أصدرها: أحمد حسن الزيات باشا، عدد الأعداد: ١٠٢٥ عددا (على مدار ٢١ عاما)٥٦/ ٨٤١.

وَقَدْ اسْتَحْسَنَ ابْنُ قُتَيْبَهْ بَيْتَ المُسَيَّب هَذَا حَيْثُ قَالَ: " وَيُسْتَحْسَنُ قَوْلُهُ : . . . . . " وَذَكَرَ الْبَيْتَ بِلَفْظِ الشَّهْدِ الَّذِي فَضَّلْته .

وَقَدْ كَانَ لِلشَّرِيفِ الْمُرْتَضِي فِي أَمَالِيهِ حَدِيثٌ عَنْ التَّنَاصّ وَالْأَخْذِ فِي هَذَا الْمَعْنَى حَيْثُ أَرْجَعَ أَصْلَ الْمَعْنَى فِيهِ لِلْأَخْطَلِ فَقَالَ : " وَالْأَصْلُ فِي هَذَا قَوْلُ الْأَخْطَلِ، وَالنَّاسُ مِنْ بَعْدِهِ عَلَى أَثَرِهِ :

مِنْ الْجَازِئَاتِ الْحُورِ مَطْلَبُ سِرِّهَا كَبِيضِ الْأُنُوقِ الْمُسْتَكِنَةِ فَى الْوَكَرِ

وإنـــي وإياهـــا إذا مـــا لقيتهـــا لكالماء من صوب الغمامة والخمر"[١]

وَلَمْ يُصِبْ الشَّرِيفُ فِي ذَلِكَ، لِأَنَّ جَعْلَ أَصْلِ الْمَعْنَى لِلْمُسِيبِ كَمَا قَالَ ابْنُ أَبِي فَنَنٍ هُوَ الصَّوَابُ حيث إن المسيب فهو شاعر جاهلي حيث وولد عام٥٢٥م وتوفي عام ٥٧٥م [٢]، وعليه يكون متقدما على الأخطل الشاعر الأموي الذي ولد (قبيل السنة العاشرة من الهجرة، وتوفي عام ٩٢هـ) [٣]وَيَدُلُّ عَلَى ذلك دَعْمُ الْحَاتِمِي لِرَأْيِهِ هَذَا إِيرَادُهُ الْحِوَارَ فِي كِتَابِهِ مَعَ أَنَّ الشَّرِيفَ مُتَأَخِّرٌ عَنْهُمْ وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ رَأْيُهُ هُوَ الصَّوَابُ لَأَنَّهُ طَالَعَ آرَاءَهُمْ، وَلَكِنَّ الْأَذْوَاقَ تَخْتَلِفُ وَلَا عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ مَا يَرَاهُ فِي هَذَا الْفَنِّ الْإِنْسَانِيِّ الَّذِي تَخْتَلِفُ فِيهِ الرُّؤَى، وَتَتَعَدَّدُ فِيهِ الأفْكَارُ وَتَتَنَوَّعُ الْأَذْوَاقُ؛ وَلِذَا كَانَ هَذَا الْكَمُّ الْهَائِلُ مِنْ الْفِكْرِ الْإِنْسَانِيِّ الَّذِي يُحْسُنُ تَأَمُّلُهُ وَيُنَمِّي الْمَوَاهِبَ وَيَصْقُلُ عَقْلِيَّةَ الْقَارِئِ.

ثُمَّ تَرَى الْحَاتِمِيَ يُكْمِلُ فِي سَرْدِ بَقِيَّةِ الشَّوَاهِدِ الدَّالَّةِ عَلَى امْتِزَاجِ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيهَا وَقَدْ

---

(١) أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) للشريف المرتضى ٢/ ٦٣تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، الطبعة: الأولى، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م.

٢() معجم الشعراء العرب ص:٨١٩، تأليف: مجموعة من المؤلفين.

٣() ديوان الأخطل شرح: مهدي محمد ناصر ص: ٧، ١٧، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط/ثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

أَخَذُوا أَصْحَابَهُمْ المعنى مِنْ المُسَيَّب فَيَقُولُ : " قَالَ أَبُو عَلِيٍّ : وَقَدْ تَعَاوَرَ هَذَا الْمَعْنَى جَمَاعَةٌ مِنْ الشُّعَرَاءِ . وَأَحْسَنَ دِعْبِل[١] كُلُّ الْإِحْسَانِ فِي قَوْلِهِ [بَسِيطٌ] :

اللَّهُ يَعْلَمُ وَالأَيَّامُ دَائِرَةٌ وَالمَرْءُ مَا بَيْنَ إِيْحَاشٍ وَإِيْنَاسِ

وبعده :

أَنِّي أُحِبُّكَ حُبًّا لَوْ تَضَمَّنَهُ سَلْمَى سَمِيُّكِ ذَلَّ الشَّاهِقُ الرَّاسِي

حُبًّا تَلَبَّسَ بِالأَحْشَاءِ فَامْتَزَجَا تلبس المَاءِ بِالصَّهْبَاءِ فِي الكَاسِ(٢)

فَأَخَذَ هَذَا الْبُحْتُرِيُّ وَأَحْسَنَ – عَلَى قِلَّةِ إِحْسَانِهِ – فَقَالَ [بَسِيطٌ] :

تَهْتَزُّ مِثْلَ اهْتِزَازِ الْغُصْنِ حَرَّكَهُ مُرُورُ غَيْثٍ مِنْ الْوَسْمِيِّ سَحَّاحِ

إِنِّي وَجَدْتُكِ مِنْ قَلْبِي بِمَنْزِلَةِ هِيَ الْمُصَافَاةُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالرَّاحِ[٣]

وَوَجَدَتُ بَشَّارًا قَدْ قَالَ فِي هَذَا الْمَذْهَبِ قَوْلًا عَدَلَ بِهِ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى وَهُوَ [طَوِيلٌ] :

لَقَدْ كَانَ مَا بَيْنِي زَمَانًا وَبَيْنَهَا كَمَا بَيْنَ رِيحِ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ الْوَرْدِ[٤]

---

(١)هو "دِعْبِل بن عَلِيّ أَبُو عَلِيّ الْخُزَاعِيّ الشَّاعِر الْمَشْهُور لَهُ شعر رائق صنف كتابا فِي طَبَقَات الشُّعَرَاء قَالَ إن أَصله من الْكُوفَة وَقيل من قرقيسيا وَكَانَ أَكثر مقَامه بِبَغْدَاد.....وَقيل إن اسْمه مُحَمَّد وكنيته أَبُو جَعْفَر ودِعْبِل لقب لَهُ وَيُقَال الدِعْبِل للبعير المسن وَيُقَال الشَّيْء الْقَدِيم.....ولد سنة ثَمَان وأرعين وَمِائَة وَتُوفِّي سنة سِتّ وَأَرْبَعين وَمِائَتَيْنِ وَله سبع وَتسْعُونَ سنة وَقيل قَتله المعتصم سنة عشْرين" الوافي بالوفيات للصفدي ١٤/١٠.

(٢) ديوان دِعْبِل الْخُزَاعِيّ، ص: ١٦٣، تحقيق: عبد الصاحب الخزرجي الناشر: مطبعة الآداب – ١٣٨٢هـ . ١٩٦٢م.

(٣) ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي١/ ١٧٩، الطبعة : الثالثة، الناشر: دار المعارف.

(٤) ديوان بشار بن برد، جمع وتحقيق وشرح: الشيخ /الطاهر بن عاشور ٢/٢٢٠، الناشر: دار الثقافة – الجزائر ٢٠٠٧م.

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ وَأَنْشَدَنِي أَبِي- لِنِطَاحَةِ الْكَاتِبِ[١] فِي هَذَا الْمَعْنَى. وَلَيْسَ بِهِ [طَوِيلٌ] :

هُمُـومُ أُنـاسٍ فـي أُمُـورٍ كَثِيـرَةٍ وهَمِّـي فـي الـدُّنيَا صَـدِيقٌ مسَـاعِدُ

نَكُـوْنُ كَـرُوْحٍ بَـيْنَ جِسْـمَيْنِ فُرِّقَـا فَجِسْمَاهُمَا جِسْمَانِ وَالرُّوْحُ وَاحِدُ[٢]

فَتَرَى الْحَاتِمِي يُصْدِرُ حُكْمًا نَقْدِيًّا عَالِيًا عَلَى قَولِ دِعْبِل الذي هو:

أَنِّـي أُحِبُّكَ حُبًّا لَـوْ تَضَمَّنَهُ سَلْمَى سَـــمِيُّكِ ذَلَّ الشَّـــاهِقُ الرَّاسِـــي

حُبًّـا تَلَـبَّسَ بِالأَحْشَـاءِ فَامْتَزَجَـا تَلَبُّسَ المَاءِ بِالصَّـهْبَاءِ فِي الكَاسِ

وَيَرَى أَنَّ دِعْبِل قَدْ أَحْسَنَ فِيهِ كل الحسن، وَبَعْدَ النَّظَرِ فِي بَيْتِ دِعْبِل هَذَا تَبَيَّنَ أَنَّ الْحَاتِمِيَّ مُصِيبٌ فِي حُكْمِهِ؛ لِأَنَّ دِعْبِل أَرَادَ أَنْ يُصَوِّرَ شِدَّةَ وَقُوَّةَ حُبِّهِ لِمَنْ يُخَاطِبُهَا، أَوْ يُظْهِرَ كَيْنُونَةَ هَذَا الْحُبِّ فِي قَلْبِهِ فَقَالَ إِنَّهُ حُبٌّ تَمَكَّنَ بِالْأَحْشَاءِ حَتَّى امْتَزَجَ بِهَا وَهُوَ فِي تَلَبُّسِهِ بِالْأَحْشَاءِ بِهَذِهِ الْقُوَّةِ يُشْبِهُ تَلَبُّسَ الْمَاءِ بِالْخَمْرِ فِي الْكَأْسِ؛ لِأَنَّ "الصَّهْبَاءَ :الْخَمْرُ"[٣] .

فَتَرَى قُوَّةَ الِامْتِزَاجِ بَادِيَةً وَوَاضِحَةً وُضُوحَ بَدْرِ التَّمَامِ فِي سَمَاهُ فِي قَوْلِ دِعْبِل هَذَا، وَتَرَى الْأَلْفَاظَ الَّتِي عَبَّرَ بِهَا دَالَّةً بِشُخُوصِهَا عَلَى امْتِزَاجِ حُبِّهَا بِأَحْشَائِهِ، وَتَلْبُسِهَا بِهِ، وَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ هِيَ :

---

(١) هو "أَحْمد بن إِسْمَاعِيل بن إِبْرَاهِيم بن الخصيب أَبُو عَليّ الخصيبي الْكَاتِب الْأَنْبَارِي الْمَعْرُوف (بنطاحة بنُون بعْدهَا طاء مُهْملَة مُخَفّفَة وَعبد الْألف حاء مُهْملَة وهاء وَكَانَ جده الخصيب صَاحب مصر كَانَ أَبُو عَليّ يكْتب لمُحَمد بن عبد الله بن طَاهِر وَكَانَ بليغًا مترسلًا شَاعِرًا أديبًا لَهُ مصنفات كَثِيرَة فِي الْأَدَب وَكَانَ راوية للأدب وَالْأَخْبَار" الوافي بالوفيات للصفدي ٦ /١٥٥.

(٢) قد بحثت عن شعر نطاحة فلم أجده، فبحثت في المصادر حتى أحد من ينسب هذين البيتين له غير الحاتمي، فلم أجد إلا من نقل عن الحاتمي، بل وجدت من ينسبها للإمام الشافعي رحمه الله، ومن ينسبها لبشار، وثالث ينسبها لغيرهم ولم أهتدِ إلى الصواب في ذلك.

(٣) لسان العرب ٦/ ٣٥٥.

التَّعْبِيرُ بِالْفِعْلِ (تَلَبَّس) وَمَا فِي التَّلَبُّسِ مِنْ مَعْنَى التَّمَكُّنِ وَالِاسْتِقْرَارِ فِي الشَّيْءِ .

ثُمَّ التَّعْبِيرُ بِلَفْظِ (امْتَزَجَ) الدَّالِ لَفْظًا وَمَعْنًى عَلَى هَذَا الِامْتِزَاجِ الْقَوِيِّ الْمُحْكَمِ.

ثُمَّ الْإِتْيَانُ بِالْمَصْدَرِ (تَلَبُّسَ) مِنْ الْفِعْلِ السَّابِقِ ذَاتِهِ تَأْكِيدًا لِهَذَا التَّمَكُّنِ، وَعَلَى قُوَّةِ امْتِزَاجِ حُبِّهَا بِأَحْشَائِهِ.

ثُمَّ الْإِتْيَانُ بِصُورَةٍ تَعْكِسُ قُوَّةَ هَذَا الِامْتِزَاجِ الْمَعْنَوِيِّ، وَتُخْرِجُهُ فِي صُورَةٍ حِسِّيَّةٍ مُشَاهَدَةٍ وَهِيَ صُورَةُ امْتِزَاجِ الْخَمْرِ بِالْمَاءِ .

وَلَمْ يَكْتَفِ بِذَلِكَ بَلْ كَانَ دَقِيقًا فِي التَّصْوِيرِ حِينَمَا أَتَى بِالْجَارِ وَالْمَجْرُورِ (فِي الْكَأْسِ)، وَكَانَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَأْتِيَ بِصُورَةٍ حِسِّيَّةٍ دَالَّةٍ عَلَى الِامْتِزَاجِ وَهِيَ صُورَةُ امْتِزَاجِ الْخَمْرِ بِالْمَاءِ فَحَسْبُ، وَلَكِنَّهُ لَمَّا أَرَادَ قُوَّةً مُعَيَّنَةً وَدَرَجَةً عَالِيَةً مِنْ الِامْتِزَاجِ أَتَى بِالْجَارِ وَالْمَجْرُورِ(فِي الْكَأْسِ) لِيُقَيِّدَ مَكَانَ السَّائِلَيْنِ (الْخَمْرَ وَالْمَاءَ)، وَلِكَوْنِهِمَا فِي كَأْسٍ وَاحِدَةٍ يَزِيدُ مِنْ قُوَّةِ الِامْتِزَاجِ وَالِانْصِهَارِ كَمَا لَوْ كَانَا مُخْتَلِطَيْنِ فِي شَيْءٍ مَثَلًا أَوْ فِي غَيْرِ كَأْسٍ كَأَنْ يُرَاقَ خَمْرٌ فِي بَحْرٍ مَثَلًا؛ وَلهذا أَحْسَنَ دِعْبِل كل الحسن فِي تَصْوِيرِ قُوَّةِ تَمَكُّنِ الْحُبِّ وَامْتِزَاجِهِ بِأَحْشَائِهِ بِقُوَّةِ امْتِزَاجِ الْخَمْرِ وَالْمَاءِ فِي الْكَأْسِ.

وَفِي بَيْتَيْ دِعْبِل أُسْلُوبٌ بَلِيغٌ مِنْ أَسَالِيبِ الْإِطْنَابِ هُوَ أُسْلُوبُ الِاعْتِرَاضِ[1] حَيْثُ قَالَ:(اللَّهُ يَعْلَمُ) وَأَخَّرَ الْمَفْعُولَ وَهُوَ أَوَّلُ الْبَيْتِ الثَّانِي وَالتَّقْدِيرُ: اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكِ، وَلَكِنَّهُ فَصَلَ بَيْنَ الْكَلَامِين بِقَوْلِهِ " وَالْأَيَّامُ دَائِرَةٌ . . . .) وَالسِّرُّ الْبَلَاغِيُّ مِنْ هَذَا الِاعْتِرَاضِ هُوَ تَأْكِيدُ كَلَامِهِ الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ حُبَّهُ لِسَلْمَى هَذِهِ.

---

(١) وهو" أن يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة" الإيضاح ٣/ ٢١٤.

وَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ مُنْقِذٍ حِينَمَا أَوْرَدَ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ تَحْتَ بَابِ الِاعْتِرَاضِ [١].

ثُمَّ تَرَى الْحَاتِمِيَ يَقُولُ: فَأَخَذَهُ الْبُحْتُرِيُّ وَأَحْسَنَ – عَلَى قِلَّةِ إِحْسَانِهِ – "، فَانْظُرْ إِلَى حُكْمِ الْحَاتِمِي بِأَنَّ الْبُحْتُرِيَّ أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى ثُمَّ الْحُكْمَ عَلَيْهِ بِالِاسْتِحْسَانِ، ثُمَّ تَأَمَّلَ تتميمه[٢] الْعَجِيبَ فِي كَلَامِهِ حَيْثُ جَاءَ فِي كَلَامِهِ الَّذِي لَا يُوهِمُ خِلَافَ الْمَقْصُودِ بِفَضَلَةٍ هِيَ الْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ بَعْدَ الْحُكْمِ بِالِاسْتِحْسَانِ فَقَالَ: (عَلَى قِلَّةِ إِحْسَانِهِ)، وَهُوَ لَيْسَ بِجُمْلَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ وَلَا رُكْنَا مِنْ أَرْكَانِ الْجُمْلَةِ، فَلَوْ قَالَ: (وَأَخَذَ هَذَا الْبُحْتُرِي فَأَحْسَنَ) وَسَكَتَ لَصَحَّ الْكَلَامُ بَعْدَ حَذْفِ هَذِهِ الْفَضْلَةِ، وَلَكِنْ ذَكَرَهَا لِنُكْتَةٍ بَلَاغِيَّةٍ وَهِيَ التَّنْبِيهُ عَلَى رَأْيِهِ وَنَظْرَتِهِ النَّقْدِيَّةِ فِي شِعْرِ الْبُحْتُرِي، وَالتَّنْبِيهُ أيضا عَلَى أَنَّ إِحْسَانَ الْبُحْتُرِي قَلِيلٌ فِي شِعْرِهِ فِي نَظَرِ الْحَاتِمِيِّ، وَمِنْ هَذَا الْقَلِيلِ اسْتِحْسَانُهُ هَذَا الشَّاهِدَ مَحَلَّ الِامْتِزَاجِ.

وَالحقُّ أَنَّ حُكْمُ الْحَاتِمِي هَذَا لَا أَسْتَطِيعُ الْحُكْمَ عَلَيْهِ بِالْإِصَابَةِ أَوْ بِعَدَمِهَا إِلَّا بِالرُّجُوعِ إِلَى الْفِكْرِ النَّقْدِيِّ الْكُلِّيِّ لِلْحَاتِمِي نَفْسِهِ حَتَّى أَقِفَ عَلَى وِجْهَةِ نَظَرِهِ فِي نَقْدِهِ هَذَا فأَقِف عَلَى وُجُوهِ قِلَّةِ إِحْسَانِ الْبُحْتُرِي كَمَا يَرَى، ثُمَّ أَحْكُمُ بِالْإِصَابَةِ أَوْ بِعَدَمِهَا وَهَذَا لَيْسَ مَحَلُّهُ هُنَا بَلْ يَحْتَاجُ إِلَى بَحْثٍ خَاصٍّ فِي ذَلِكَ، وسأحاول البدء فيه والله الموفق والمعين.

وَلِأَجْلِ هَذَا حِينَمَا تَصَفَّحْتُ كَلَامَ النُّقَّادِ الَّذِينَ نَقَلُوا كَلَامَ الْحَاتِمِي بِنَصِّهِ وَفُصِّهِ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَجَدْتُهُمْ يَنْقُلُونَ كَلَامَهُ كُلَّهُ فِي هَذَا الْبَيْتِ إِلَّا جُمْلَةً (عَلَى قِلَّةِ إِحْسَانِهِ) وَكَأَنَّهُمْ

---

(١) البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد أحمد بدوي، الدكتور حامد عبد المجيد، مراجعة: الأستاذ إبراهيم مصطفى ص: ١٣١، الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – وزارة الثقافة والإرشاد القومي – الإقليم الجنوبي – الإدارة العامة للثقافة.

(٢) التتميم هو أسلوب من أسايب الإطناب وَهُوَ" أَنْ يُؤْتَى فِي كَلَامٍ لَا يُوهِمُ خِلَافَ الْمَقْصُودِ بِفَضْلَةٍ تُفِيدُ نُكْتَةً" .الإيضاح ٢١٢/٣.

يَرْفُضُونَ رَأْيَهُ فِي شِعْرِ الْبُحْتُرِي أَوْ أَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَحْكُمُوا عَلَى رَأْيِهِ بِالْإِصَابَةِ أَوْ بَعْدَمِهَا لِانْشِغَالِهِمْ بِمَا سَيَكْتُبُونَهُ مِثْلَمَا فَعَلَتْ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى صَفَاءِ عُقُولِهِمْ وَعَبْقَرِيَّتِهِمْ الْفَذَّةِ الَّتِي لَا تَنْقُلُ نَقْلًا أَعْمَى دُونَ أَنْ تقفَ عَلَى مَا كُتِبَ وَتعَرِضَهُ عَلَى عُقُولِهِمْ وَمَوْهِبَتِهِمْ النَّقْدِيَّةِ [١]

وَلْنَرْجِعْ إِلَى بَيْتِ الْبُحْتَرِيِّ وَهُوَ:

إِنِّي وَجَدْتُكِ مِنْ قَلْبِي بِمَنْزِلَةٍ هِيَ الْمُصَافَاةُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالرَّاحِ

فَأَرَادَ الْبُحْتُرِيُّ أَنْ يُبَيِّنَ مَنْزِلَةَ مَحْبُوبَتِهِ فِي قَلْبِهِ، فَقَالَ إِنَّهُ وَجَدَهَا فِي قَلْبِهِ بِمَنْزِلَةٍ عَالِيَةٍ هِيَ الْمُصَافَاةُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْخَمْرِ .

يَقُولُ أَبُو عَبَّاسٍ الشِّرِيشِيُّ : " وَالرَّاحُ : الْخَمْرُ ، وَهِيَ سَرِيعَةُ الِامْتِزَاجِ مَعَ الْمَاءِ ، فَيُضْرَبُ بِهِمَا الْمَثَلُ فِي امْتِزَاجِ نُفُوسِ الْمُتَحَابِينَ ، وَقَدْ جَاءَ مِنْ ذَلِكَ فِي الشِّعْرِ مَا يُسْتَحْسَنُ ..."[٢] وَذَكَرَ بَعْضًا مِنْ الشَّوَاهِدِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْحَاتِمِيُّ وَمِنْهَا بَيْتُ الْبُحْتُرِيِّ غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ أَحْسَنَ مِنْ الْحَاتِمِيِّ فِي ذَلِكَ لِأَنَّهُ اسْتَحْسَنَ قَوْلَهُ فَحَسْبُ دُونَ أَنْ يَنْقُلَ عَنْهُ جُمْلَتَهُ فِي حَقِّ الْبُحْتُرِيِّ وَهِيَ قَوْلُهُ (عَلَى قِلَّةِ إِحْسَانِهِ) وَهَذَا حَسَنٌ جِدًّا يُحْسَبُ لِلشَّرِيشِيِّ وَيُشِيرُ إِلَى نَقْدِهِ الْبَصِيرِ وَأَمَانَتِهِ فِي النَّقْدِ وَالنَّقْلِ .

وَالْمُصَافَاةُ مَأْخُوذَةٌ مِنْ الْفِعْلِ (صَفَا)، وَصَفَا الشَّيْءُ مُصَافَاةً أَيْ صَارَ نَقِيًّا صَافِيًا أَيْ أَنَّهُ وَجَدَهَا فِي قَلْبِهِ بِمَنْزِلَةٍ كَأَنَّهَا الْمُصَافَاةُ وَالصَّفَاءُ الَّذِي يَكُونُ فِي الْخَمْرِ وَالْمَاءِ الْمَمْزُوجَةِ هَذَا مَا أَرَادَهُ الْبُحْتُرِيُّ وَهُوَ حَسَنٌ غَيْرَ أَنَّ قَوْلَ دِعْبِل أَحْسَنُ مِنْهُ لِأَنَّهُ جَعَلَ الْخَمْرَ مَعَ الْمَاءِ فِي كَأْسٍ لِيَدُلَّ عَلَى قُوَّةِ الِانْدِمَاجِ وَالِانْصِهَارِ بَيْنَهُمَا، فَأَلْفَاظُه شَاهِدَةٌ

---

(١) ومن هؤلاء كتاب شرح مقامات الحريري لأبي عباس الشُّريشي ٣/ ٣٥٦، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الثانية، ٢٠٠٦ م – ١٤٢٧ هـ.

(٢) المرجع السابق ٣/ ٣٥٦.

بِنَفْسِهَا عَلَى هَذَا التَّمَكُّنِ وَذَاكَ الِامْتِزَاجِ الْقَوِيِّ كَمَا بَيَّنَتْ.

وَقَدْ ذَكَرَ الْآمِدِيُّ بَيْتَ الْبُحْتُرِيِّ هَذَا فِي بَابِ سَمَّاهُ (مَا قِيلَ فِي ائْتِلَافِ الْمُحِبِّينَ) وَذَكَرَ بَعْدَهُ بَعْضَ الشَّوَاهِدِ الَّتِي أَوْرَدَهَا الْحَاتِمِيُّ هُنَا وَأَضَافَ عَلَيْهَا، وَكَانَتْ لَهُ أَحْكَامٌ نَقْدِيَّةٌ حَسَنَةٌ عَلَى الشَّوَاهِدِ الَّتِي سَاقَهَا وَقَدْ اسْتَحْسَنَ قَوْلَ الْبُحْتُرِيِّ هَذَا جِدًّا حَيْثُ قَالَ: " وَهَذَا حَسَنٌ جِدًّا " (١)، وَذَكَرَ أَنَّ الْبُحْتَرِيَّ أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ لِبَشَّارٍ.

فَتَرَى الْحَاتِمِي يَتْبَعُ أَثَرَ الْآمِدِيِّ فِي اسْتِحْسَانِهِ لِبَيْتِ الْبُحْتُرِيِّ هَذَا غَيْرَ أَنَّ الْآمِدِيَّ رَأَى أَنَّهُ أَخَذَهُ مِنْ بَشَّارٍ صَرَاحَةً، أَمَّا الْحَاتِمِي فَرَأَى أَنَّهُ أَخَذَهُ مِنْ دِعْبِل حَيْثُ قَالَ بَعْدَ بَيْتِ دِعْبِل: فَأَخَذَ الْبُحْتُرِيُّ هَذَا الْمَعْنَى وَأَحْسَنَ فِيهِ .

وَقِيلَ فِي بيت البحتري : " لَمْ يَسْمَعْ بِأَطْيَبَ وَأَعْذَبَ مِنْ قَوْلِ الْبُحْتُرِيِّ: وَجَدْتُ نَفْسَكِ مِنْ نَفْسِي بِمَنْزِلَةِ . . . هِيَ الْمُصَافَاةُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالرَّاحِ "(٢).

ثُمَّ تَرَى الْحَاتِمِيَ يُكْمِلُ فِي سَرْدِ شَوَاهِدِ هَذَا الْمَعْنَى فَيَقُولُ: وَوَجَدَتُ بَشَّارًا قَدْ قَالَ فِي هَذَا الْمَذْهَبِ قَوْلًا عَدَلَ بِهِ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى وَهُوَ [طَوِيلٌ] :

لَقَدْ كَانَ مَا بَيْنِي زَمَانًا وَبَيْنُهَا كَمَا بَيْنَ رِيحِ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ الْوَرْدِ

وَالْحَاتِمِيُّ يَقْصِدُ بِقَوْلِهِ: (قَدْ قَالَ فِي هَذَا الْمَذْهَبِ) أَيْ أَنَّ بَشَّارًا قَدْ قَالَ قَوْلًا فِي هَذَا الْمَذْهَبِ وَهُوَ مَذْهَبُ الْحَدِيثِ عَنْ الِامْتِزَاجِ، وَلَكِنَّهُ عَدَلَ بِهِ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ غَيْرِ الْخَمْرِ وَالْمَاءِ وَهُوَ حُدُوثُ وَحُصُولُ الِامْتِزَاجِ بَيْنَ شَيْئَيْنِ آخَرَيْنِ هُمَا رِيحُ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ.

فَتَرَاهُ يُخْبِرُ أَنَّهُ قَدْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَحْبُوبَتِهِ فِي الزَّمَنِ الْمَاضِي امْتِزَاجٌ يُشْبِهُ الِامْتِزَاجَ الْحَاصِلَ وَالْكَائِنَ بَيْنَ رِيحِ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ الْوَرْدِيِّ الْمَمْزُوجَيْنِ، وَقَدْ أَحْسَنَ

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدي ٢/ ١٣٨.

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ) ، ٢/ ١٤، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.

الْحَاتِمِي كل الحسن فِي الْإِشَارَةِ إِلَى عُدُولِ بَشَّارٍ إِلَى شَيْئَيْنِ آخَرَيْنِ بَيْنَهُمَا امْتِزَاجٌ غَيْرُ مَا سَبَقَ .

كَمَا يُحْسَبُ أَيْضًا لِبَشَّارٍ خُرُوجُهُ عَلَى هَذَا النَّسَقِ الْمُتَعَارَفِ بَيْنَ الشُّعَرَاءِ قَبْلَهُ فِي الِامْتِزَاجِ بِتَصْوِيرِهِ فِي صُورَةٍ حِسِّيَّةٍ وَهِيَ صُورَةُ امْتِزَاجِ الْمَاءِ وَالْخَمْرِ، فَخُرُوجُهُ عَلَى هَذَا الطَّرِيقِ حَسَنٌ جَيِّدٌ وَرَائِعٌ جِدًّا؛ حَيْثُ دَلَّ عَلَى الِامْتِزَاجِ بِصُورَةٍ جَدِيدَةٍ وَطَرِيفَةٍ وَهِيَ صُورَةُ امْتِزَاجِ رِيحِ الْمِسْكِ بِالْعَنْبَرِ.

كَمَا يُحْسَبُ أَيْضًا لِبَشَّارٍ اخْتِيَارُ هَذَيْنِ الشَّيْئَيْنِ لِيَكُونَا صُورَةَ الِامْتِزَاجِ الْحِسِّيِّ الدَّالَّةَ عَلَى الِامْتِزَاجِ الْمَعْنَوِيِّ بَيْنَ الْمُحِبِّينَ؛ لِأَنَّ رِيحَ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ مُتَنَاسِبَيْنِ مَعَ الْحَدِيثِ عَنْ الْحُبِّ وَالْهَوَى وَبَيَانِ أَثَرِهِ الْجَمِيلِ عَلَى النَّفْسِ والجوارح.

وَلَعَلَّهُ اخْتَارَ الْمِسْكَ وَالْعَنْبَرَ لِأَنَّهُ صَرَّحَ فِي بِدَايَةِ الْقَصِيدَةِ بِأَنَّ مَحْبُوبَتَهُ هَذَا مِنْ أَوْصَافِهَا أَنَّهَا تَتَعَطَّرُ وَتَلْبَسُ الْحُلِيَّ فَقَالَ:

فَيا غادِياً يَختالُ في العِطرِ وَالحُلى *** وَيَا واقِفاً يَبكي مُقيماً عَلى فَقدِ[1]

عَلَى أَنَّ هَذَا الِامْتِزَاجَ الْحَاصِلَ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ بَشَّارٌ قَدْ بَيَّنَ أَنَّهُ قَدْ كَانَ فِي الْمَاضِي، وَدلَّ عَلَى ذَلِكَ بِذِكْرِ لَفْظِ (كَانَ) الدَّالِ عَلَى أَنَّهُ انْتَهَى، وَذِكْرِ لَفْظَ (لَقَدْ) مُقْتَرِنًا بِاللَّامِ تَأْكِيدًا لِحُصُولِهِ فِي الزَّمَنِ الْمَاضِي.

وَلَعَلَّكَ تَشُمُّ مِنْ قَوْلِهِ هَذَا مَا شَمَمْتُهُ مِنْ شُعُورِهِ بِالْحَسْرَةِ والألم عَلَى انْتِهَاءِ هَذِهِ الْعَلَاقَةِ الَّتِي قَدْ وَصَلَتْ إِلَى الِامْتِزَاجِ الرُّوحِيِّ وَالنَّفْسِيِّ وَلَمْ يَكُنْ امْتِزَاجًا عَادِيًّا يُشْبِهُ أَيَّ سَائِلِينَ مَمْزُوجِينَ، بَلْ كَانَ امْتِزَاجًا فَرِيدًا وَجَمِيلًا فِي كُلِّ تَفَاصِيلِهِ حَتَّى إِنَّهُ رَأَى أَنَّهُ

---

(١) ديوان بشار ٢/٢١٨.

يُشْبِهُ امْتِزَاجَ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ الْوَرْدِ [١].

وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ هَذَا الِامْتِزَاجَ حَسَنٌ جَمِيلٌ وَلَهُ فِي النَّفْسِ قَبُولًا أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ، وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ حُبَّهُ لَهَا كَانَ شَيْئًا جَمِيلًا ثُمَّ انْتَهَى وَهَيْهَاتَ أَنْ يَعُودَ، وَلِذَا تَلْمَحُ الْحَسْرَةَ فِي أَلْفَاظِهِ مِنْ أَوَّلِ الْبَيْتِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى هَذِهِ الصُّورَةِ الْبَدِيعَةِ الرَّائِقَةِ.

وَقَدْ اسْتَحْسَنَ الْآمِدِيُّ قَوْلَ بَشَّارٍ هَذَا حَتَّى جَعَلَهُ أَحْسَنَ مِمَّا ذَكَرَهُ كُلَّهُ فِي هَذَا الْمَعْنَى حَيْثُ قَالَ بَعْدَ إِيرَادِهِ الْكَثِيرَ مِنْ الشَّوَاهِدِ : " وَأَجْوَدُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ وَأَحْلَى وَأَلْطَفُ مَعْنًى قَوْلِ بَشَّارٍ :

لَقَدْ كَانَ مَا بَيْنِي زَمَانًا وَبَيْنَهَا كَمَا بَيْنَ رِيحِ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ الْوَرْدِ[٢]

كَمَا اسْتَحْسَنَهُ أَيْضًا الشَّرِيفُ الْمُرْتَضَى فِي أَمَالِيهِ حَيْثُ قَالَ: " وَلَقَدْ أَحْسَنَ بَشَّارٌ فَي قَوْلِهِ :" [٣] وَذِكْرُ الْبَيْتِ.

وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو هِلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ هَذَا الْبَيْتَ دُونَ الْحُكْمِ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ، وَلَكِنَّهُ أَوْرَدَهُ تَحْتَ مَعْنًى سَمَّاهُ(مَا قِيلَ فِي الِامْتِزَاجِ وَالِاخْتِلَاطِ "[٤] وَذَكَرَ ثَلَاثَةَ شَوَاهِدَ مِنْهَا قَوْلُ بَشَّارٍ هَذَا .

---

(١) كُنْتُ قَدْ كَتَبْتُ شُعُورِي هَذَا الَّذِي شَعَرْتُ بِهِ عِنْدَ الْوُقُوفِ عَلَى بَيْتِ بَشَّارٍ هَذَا قَبْلَ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى الْقَصِيدَةِ الَّتِي مِنْهَا هَذَا الْبَيْتُ فِي دِيوَانِهِ، وَحِينَمَا رَجَعْتُ إِلَيْهَا تَبَيَّنَ صِدْقُ شُعُورِي هَذَا فَحَمِدْتُ اللَّهَ – تعالى– كَثِيرًا عَلَى ذَلِكَ ومنها قَوْلُهُ:

فَيَا حَزَنَا فِي الصَدرِ مِنكِ حَرارَةٌ *** وَفِي النَفسِ حاجاتٌ تَشوقُ وَلا تُجدي

ديوان بشار ٢/ ٢١٩.

(٢) الموازنة ٢/ ١٣٨.

(٣) أمالي المرتضى ٢/ ٦٤.

(٤) ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ١/ ٢٧٩، الناشر: دار الجيل – بيروت.

وَإِذَا كَانَ الْحَاتِمِي قَدْ رَأَى أَنَّ الشُّعَرَاءَ قَدْ أَخَذُوا هَذَا الْمَعْنَى مِنْ المُسَيَّب فَتَعَاوَرَهُ بَعْضُهُمْ، وَمِنْهُمْ دِعْبِل الْخُزَاعِيُّ، ثُمَّ أَخَذَ مِنْهُ الْبُحْتُرِيُّ هَذَا الْمَعْنَى فَأَحْسَنَ فِيهِ، ثُمَّ رَأَى أَنَّ بَشَّارًا قَدْ ذَهَبَ مَذْهَبَهُمْ وَإِنْ كَانَ قَدْ خَرَجَ عَلَى طريقتهم إِلَّا أَنْنا بِالْبَحْثِ نَجِدُ مَنْ جَعَلَ قَوْلَ بَشَّارٍ هَذَا هُوَ أَصْلُ الْمَعْنَى وَأَنَّ الْبُحْتُرِيَّ قَدْ أَخَذَهُ مِنْهُ لَا مِنْ دِعْبِل الْخُزَاعِيّ وَهُوَ السُّرِيُّ الْكَنْدِيُّ الَّذِي ذَكَرَ بَيْتَ بَشَّارٍ ثُمَّ قَالَ : " وَمِنْهُ أَخَذَ الْبُحْتُرِيُّ قَوْلَهُ :"[1] وَذَكَرَ الْبَيْتَ .

وَقَدْ حَقَّقْتُ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ فَتَبَيَّنَ لِي أَنَّ الْحَاتِمِيَّ كَانَ مُصِيبًا فِي جَعْلِ أَصْلِ الْمَعْنَى لِلْمُسَيَّبِ بْنِ عَلَسٍ لِأَنَّهُ شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ وَسَابِقٌ عَلَى كُلِّ مَنْ ذَكَرَهُمْ، وَقَدْ تَعَاوَرَ الشُّعَرَاءُ بَعْدَهُ هَذَا الْمَعْنَى بِالْفِعْلِ، ثُمَّ إِنَّ الْحَاتِمِيَ كَانَ مُصِيبًا أيضا فِي حُكْمِهِ عَلَى بَيْتِ الْبُحْتُرِيِّ بِأَنَّهُ أَخَذَهُ مِنْ دِعْبِل الْخُزَاعِيِّ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُصِبْ فِي إِتْيَانِهِ بِبَيْتِ بَشَّارٍ بَعْدَهُمَا وَهُوَ سَابِقٌ عَلَيْهِمَا، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الْحَقَّ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ تَعَاوَرَ هَذَا الْمَعْنَى بَعْدَ الْمُسَيَّبِ هُوَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ؛ لِأَنَّهُ سَابِقٌ عَلَى هَؤُلَاءِ الشُّعَرَاءِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ الْحَاتِمِيُّ وَإِنْ كَانَ قَدْ ذَهَبَ فِيهِ مَذْهَبًا حَسَنًا فَهَذَا يُحْسَبُ لَهُ، ثُمَّ أُخِذَ هَذَا الْمَعْنَى عَنْ بَشَّارٍ، فَأَخَذَهُ دِعْبِل ثُمَّ أَخَذَهُ الْبُحْتُرِيُّ مِنْ دِعْبِل كَمَا ذَكَرَ الْحَاتِمِيُّ ، وَعَلَيْهِ فَمَنْ جَعَلَ بيت الْبُحْتُرِيَّ مَأْخُوذًا مِنْ بَيْتِ بَشَّارٍ يَكُونُ مُصيبا أَيْضًا لِأَنَّ بَشَّارًا أَوَّلُ مَنْ تَعَاوَرَ هَذَا الْمَعْنَى بَعْدَ المُسَيَّب وَلَكِنَّ الْحَاتِمِيَ كَانَ دَقِيقًا فِي جَعْلِ الْأَخْذِ مِنْ دِعْبِل لِأَنَّهُ أَقْرَبُ لِلْبُحْتُرِيّ مِنْ حَيْثُ تَارِيخُ الْمَوْلِدِ وَالْوَفَاةِ .

ثُمَّ تَرَى الْحَاتِمِيَ يَخْتِمُ شَوَاهِدَ هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلٍ أَخْبَرَهُ بِهِ أَبُوهُ وَهُوَ قَوْلُ نَطَاحَةِ الْكَاتِبِ فيقول"

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ وَأَنْشَدَنِي أَبِي – لِنِطَاحَةِ الْكَاتِبِ فِي هَذَا الْمَعْنَى . وَلَيْسَ بِهِ [طَوِيلٌ] :

---

(١) المحب والمحبوب والمشموم والمشروب للسري الكندي الرفاء (ت ٣٦٢هـ) ص: ٩٤.

هُمُـومُ أُنـاسٍ فـي أُمُـورٍ كَثِيـرَةٍ وهَمِّـيَ فـي الـدُّنيَا صَـدِيقٌ مسَـاعِدُ

نَكُـوْنُ كَـرُوْحٍ بَـيْنَ جِسْـمَيْنِ فُرِّقَـا فَجِسْـمَاهُمَا جِسْـمَانِ وَالـرُّوْحُ وَاحِـدُ

فَتُرَاهُ يَحْكُمُ أَوَّلًا أَنَّهُ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى ، ثُمَّ يَحْكُمُ ثَانِيًا بِحُكْمٍ آخَرَ فَيَقُولُ: (وَلَيْسَ بِهِ) يَعْنِي أن قول نطاحة هذا فِي الْمَعْنَى الْعَامِّ وهو امتزاج القلوب وتصافيها وَلَيْسَ تَأَثُّرًا بِما قبله، أَيْ لَمْ يَحْذِ حَذْوَهُ، فَالْبَاءُ في(به) لِلسَّبَبِيَّةِ أَيْ لَيْسَ هَذَا الْبَيْتُ بِسَبَبِ السَّابِقِ فَلَمْ يُؤَثِّرْ فِيهِ حَذْوًا أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ. وَلَا يَقْصِدُ الْحَاتِمِيّ أَنَّ قَوْلَهُ هَذَا خَالِيًا مِنْ الِامْتِزَاجِ الَّذِي جَعَلَهُ عُنْوَانَ الْبَابِ.

وَقَدْ أَحْسَنَ الْحَاتِمِي كل الحسن فِي ذِكْرِ هَذَا الشَّاهِدِ خَاصَّةً فِي هَذَا الْمَعْنَى وَجَعْلِهِ مِنْهُ، وَلَعَلَّهُ خَتَمَ بِهِ الشَّوَاهِدَ لِعُلُوِّ مَرْتَبَتِهِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى امْتِزَاجِ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيهَا فَكَانَ خِتَامًا حَسَنًا رَائِعًا؛ لِأَنِّي أَرَاهُ أَحْسَنَ شَوَاهِدِ هَذَا الْمَعْنَى وَأَعْلَاهَا بَلَاغَةً وَبَيَانًا، فـ"إِنَّمَا سُمِّيَ الصَّدِيقُ صَدِيقًا لِصِدْقِهِ، وَالْعَدُوُّ عَدُوًّا لِعَدْوِهِ عَلَيْك. وَقَالَ ثَعْلَبٌ: إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَلِيلُ خَلِيلًا؛ لِأَنَّ مَحَبَّتَهُ تَتَخَلَّلُ الْقَلْبَ فَلَا تَدَعُ فِيهِ خَلَلًا إِلَّا مَلَأَتْهُ. وَأَنْشَدَ الرِّيَاشِيُّ قَوْلَ بَشَّارٍ:

قَـدْ تَخَلَّلْـتَ مَسْـلَكَ الـرُّوحِ مِنِّـي وَبِـهِ سُـمِّيَ الْخَلِيـلُ خَلِـيلًا.(١)

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : "اَلْإِخَاءُ جَوْهَرَةٌ رَقِيقَة، وَهِيَ مَا لَمْ تَوقْهَا وَتَحْرَسْهَا مُعَرَّضَةٌ لِلْآفَاتِ" .(٢) كما قَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : « صَدِيقٌ مُسَاعِدٌ ، عَضُدٌ وَسَاعِدٌ »(٣).

---

(١) أدب الدنيا والدين لأبي الحسن البصري البغدادي، (ت ٤٥٠هـ) ص: ١٦١، الناشر: دار مكتبة الحياة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٩٨٦م.

(٢) العقد الفريد ٢/ ٢٣١.

(٣) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم لعدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي ٣/ ١٠٢٧،، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة: الرابعة.

اَلْمَبْحَثُ الثَّالِثُ

مُنَاقَدَةُ النُّقَّادِ الثَّلَاثَةُ

(الْحَاتِمِيُّ، ابْنُ أَبِي فَنَنٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ)

فِي أَحْكَامِهِمِ النَّقْدِيَّةِ.

وَيَشْتَمِلُ عَلَى ثَلَاثَةِ عَنَاصِرَ

الْأَوَّلُ : مُنَاقَدَةُ ابْنِ أَبِي فَنْنٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي أَحْكَامِهِمَا النَّقْدِيَّةِ.

الثَّانِي - مُنَاقَدَةُ الْحَاتِمِي فِي أَحْكَامِهِ النَّقْدِيَّةِ.

الثَّالِثُ - مَرْتَبَةُ كُلِّ شَاهِدٍ مِنْ حَيْثُ دَلَالَتُهُ عَلَى امْتِزَاجِ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيهَا.

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ

مُنَاقَدَةُ النُّقَّادِ الثَّلَاثَةُ (الْحَاتِمِيُّ، ابْنُ أَبِي فَنَنٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ) فِي أَحْكَامِهِم النَّقْدِيَّةِ.

يَقُومُ هَذَا الْمَبْحَثُ عَلَى نَقْدِ الْمَعْنَى الْجُزْئِيِّ فِي مُقَابَلَةِ الْمَعْنَى الْكُلِّيِّ فِي الْمَبْحَثَيْنِ السَّابِقَيْنِ، حَيْثُ يَكُونُ مَنَاطُ النَّقْدِ قَائِمًا عَلَى بَيْتٍ أَوْ جُزْئِهِ دَلِيلًا عَلَى التَّفْضِيلِ بَيْنَ الشُّعَرَاءِ أَوْ الِاسْتِحْسَانِ بَيْنَ الْمَعَانِي، وَهَذَا هُوَ السَّمْتُ الْأَكْثَرُ لِلنَّقْدِ الْعَرَبِيِّ الْقَدِيمِ(١).

إِنَّ الْأَحْكَامَ النَّقْدِيَّةَ الَّتِي أَوْرَدَهَا الْحَاتِمِيُّ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَرَدَتْ فِي صُورَتَيْنِ:

أَوَّلُهُمَا : رِوَايَتُهُ لِأَحْكَامٍ نَقْدِيَّةٍ صَدَرَتْ مِنْ غَيْرِهِ، وَذَلِكَ فِي خَمْسَةِ شَوَاهِدَ هِيَ شَوَاهِدُ التَّفَاوُتِ فِي مَرَاتِبِ الْحَسَنِ وَشَاهِدَانِ فِي الْأَخْذِ، وَكُلُّ هَذِهِ الْأَحْكَامِ الْخَمْسَةِ جَاءَتْ فِي حِوَارٍ دَارَ بَيْنَ أَبِي فَنَنٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .

وَلَمْ يَصْدُرْ مِنْ الْحَاتِمِي أَيُّ حُكْمٍ نَقْدِيٍّ عَلَى أَحْكَامِ النَّاقِدَيْنِ، وَمَا ذَكَرَهُ بَعْدَ ذَلِكَ كَانَ مِنْ قَبِيلِ الْإِضَافَةِ فِي شَوَاهِدِ هَذَا الْمَعْنَى مَعَ التَّعْلِيقِ عَلَيْهَا بِأَحْكَامٍ نَقْدِيَّةٍ صَادِرَةٍ مِنْهُ، وَهَذِهِ الصُّورَةُ هِيَ مَحَلُّ حَدِيثِي فِي الْعُنْصُرِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذَا الْمَبْحَثِ.

وَالصُّورَةُ الْأُخْرَى: فَهِيَ صُدُورُ أَحْكَامٍ نَقْدِيَّةٍ مِنْ الْحَاتِمِي نَفْسِهِ، وَهَذِهِ الصُّورَةُ هِيَ مَحَلُّ حَدِيثِي فِي الْعُنْصُرِ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْمَبْحَثِ، وَأَخِيرًا سَأَقُومُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ– تَعَالَى– بِوَضْعِ كُلِّ شَاهِدٍ فِي مَرْتَبَتِهِ مِنْ الْحُسْنِ وَالْجَوْدَةِ، وَهُوَ مَنَاطُ حَدِيثِي فِي الْعُنْصُرِ الثَّالِثِ مِنْ هَذَا الْمَبْحَثِ.

---

(١) ينظر ما يلي:

طبقات فحول الشعراء لابن سلّام (بالتشديد) الجمحي (ت ٢٣٢هـ) تحقيق : محمود محمد شاكر الناشر: دار المدني – جدة.

الشعر والشعراء لابن قتيبة.

نقد الشعر لقدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ)، الناشر: مطبعة الجوائب – قسطنطينية الطبعة: الأولى، ١٣٠٢هـ. الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء للمرزباني (ت ٣٨٤هـ).

الْعُنْصُرُ الْأَوَّلُ

مُنَاقَدَةُ ابْنُ أَبِي فَنَنٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي أَحْكَامِهِمَا النَّقْدِيَّةِ

بِالتَّأَمُّلِ فِي أَحْكَامِ هَذِهِ الصُّورَةِ الْأُولَى الَّتِي رَوَاهَا عَنْ الْمُتَحَاوِرَينِ نَجِدُ أَنَّ فِكْرَ النَّاقِدَينِ وَأَحْكَامَهُمَا النَّقْدِيَّةَ فِيهَا مَبْنِيٌّ عَلَى أَمْرَيْنِ هُمَا :

الْمُفَاضَلَةُ بَيْنَ الشُّعَرَاءِ فِي الْمَعْنَى الْوَاحِدِ .

حِرْصَهُمَا عَلَى بَيَانِ أَصْلِ الْمَعْنَى وَمَنْ لَهُ السَّبْقُ فِيهِ .

هذا، وَإِذَا كَانَ فِكْرُهُمَا النَّقْدِيُّ فِي هَذَا الْبَابِ مَبْنِيّا عَلَى هَذَا الْأَسَاسِ الْعَالِي مِنْ النَّقْدِ فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْأُسُسَ قَدِيمَةٌ عِنْدَ النُّقَّادِ الْقُدَامَى، وَلَمْ تَكُنْ جَدِيدَةً فِي عَصْرِنَا هَذَا كَمَا يُتَوَهَّمُ، كَمَا أَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى قَدَمِهِمَا الرَّاسِخَةِ فِي النَّقْدِ، وَأَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا يَسْتَحِقُّ أَنْ نَقِفَ عَلَى فِكْرِهِ النَّقْدِيِّ وَأَحْكَامِهِ النَّقْدِيَّةِ الْعَالِيَةِ وَشِعْرِهِ؛ لِنُدْرِكَ كَيْفَ كَانَتْ تُفَكِّرُ عُقُولُ أَهْلِ الْعِلْمِ الْعَالِيَةُ؛ لِنَتَعَلَّمَ مِنْهُمْ النَّقْدَ بِحَقٍّ بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنْ مُوَافَقَتِنَا لِآرَائِهِمْ أَو مخالفتنا لها، فَمَا لَمْ يُصِيبُوا فِيهِ لَا يُقَلِّلُ أَبَدًا مِنْ قِيمَتِهِمْ الْعِلْمِيَّةِ الْعَالِيَةِ، وَلَا نَنْسَى أَبَدًا أَنَّهُمْ السَّابِقُونَ وَلَوْلَا أَنَّهُمْ سَلَكُوا هَذَا الطَّرِيقَ وَفَتَحُوا لَنَا أَبْوَابًا مِنْ النَّقْدِ الْعَالِي لَمَا عَرَفْنَا الطَّرِيقَ مِنْ أَصْلِهِ، فَاللَّهُمَّ اجْزِهِمْ خَيْرًا عَنْ كُلِّ جِيلٍ تَعَلَّمَ مِنْهُمْ .

وَقَدْ أَصَابَ كُلٌّ مِنْهُمَا فِي أَشْيَاءَ، وَلَمْ يُصَبْ فِي أُخْرَى، فَمِمَّا أَصَابَ فِيهِ ابْنُ أَبِي فَنَنٍ مَا يَلِي :

أَصَابَ فِي اسْتِحْسَانِهِ لِبَيْتِ الْعَبَّاسِ وَفي كَثْرَةِ تَرْدِيدِهِ لَهُ.

كَمَا أَصَابَ فِي جَعْلِهِ بَيْتَ المُسَيَّب هُوَ أَصْلُ هَذَا الْمَعْنَى وَكُلُّ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ أَخَذَ عَنْهُ .

وَمِمَّا لَمْ يُصَبْ فِيهِ مَا يَلِي :

لَمْ يُصِبْ فِي جَعْلِهِ بَيْتَ الْعَبَّاسِ: (مَا أَنْسَ لَا أَنْسَ يُمناها مُعَطَّفَةً....) أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى لِمَا ذَكَرْتُ سابقا عند توجيه ذلك في موطنه من المبحث الأول.

لَمْ يَصِبْ كَذَلِكَ فِي جَعْلِهِ القول الثاني للمُهَلَّبِيّ الْمَطْبُوعِ وهو: (حَتَّى إِذَا اخْتَلطَتْ بِنَفْسِي نَفْسُهَا....) أَحْسَنَ مِنْ قَوْلِهِ الْأَوَّلِ وهو: (ذَاكَ إِذ رُوحُهَا وَرُوحِي مِزَاجَانِ...).

لَمْ يَصُبَّ أَيْضًا فِي تَعْمِيمِ الْحُكْمِ النَّقْدِيّ الَّذِي قَالَهُ فِي حَقّ المُسَيَّب وَهُوَ أَنَّهُ سَيّدُ الشُّعَرَاءِ، وَهَذَا يَكْشِفُ عَنْ اتّجَاهِهِ فِي النَّقْدِ، وَعَنْ خَصَائِصِ فِكْرِهِ النَّقْدِيّ، وَهُوَ كَوْنُهُ فِكْرًا كُلّيًّا يَهْتَمُّ بِالْأَحْكَامِ النَّقْدِيَّةِ الْكُلّيَّةِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى سِعَةِ اطِّلَاعِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُصْدِرُ حُكْمًا كُلّيًّا إِلَّا بَعْدَ عِلْمِهِ بِكُلّ مَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَهُوَ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مُصِيبٍ فِي بَعْضِ هَذِهِ الْأَحْكَامِ الْكُلّيَّةِ لَكِن هَذِهِ سِمَةُ نَقْدِهِ وَهُوَ كَوْنُهُ كُلّيًّا.

وَمِمَّا أَصَابَ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ مَا يَلِي :

أَنَّهُ أَصَابَ فِي تَفْضِيلِهِ بَيْتَ الْمُهَلَّبِيّ:(إِذْ رُوحُهَا وَرُوحِي مِزَاجَانِ كَأَصْفَى خَمْرٍ بِأَعْذَبِ مَاءِ) عَلَى بَيْتِ الْعَبَّاسِ:

مَا أَنْسَ لَا أَنْسَ يُمناها مُعَطَّفَةً عَلَي فُؤَادِي وَيُسْرَاهَا عَلَى رَاسِ

وَقَوْلَهَا لَيْتَهُ ثَوْبٌ عَلَى جَسَدِي وَلَيْتَنِي كُنْتُ سِرْبَالًا لِعَبَّاسِ

أَوْ لَيْتَهُ كَانَ لِي خَمْرًا وَكُنْتُ لَهُ مِنْ مَاءِ مُزْنٍ وَكُنَّا الدَّهْرَ فِي

كَمَا أَصَابَ فِي مُوَافَقَتِهِ لِرَأْيِ ابْنِ أَبِي فَنَنٍ فِي جَعْلِ أَصْلِ الْمَعْنَى لِلْمُسِيبِ وَاعْتِرَافِهِ بِذَلِكَ بَعْدَمَا كَانَ يَرَى أَنَّ أَصْلَ الْمَعْنَى لِعُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ .

كَمَا أَحْسَنَ كل الحسن وَأَصَابَ فِي الِاسْتِدْرَاكِ عَلَى ابْنِ أَبِي فَنَنٍ حِينَمَا قَالَ لَهُ" (إِذَنْ قُلْ سَيّدُ الشُّعَرَاءِ فِي هَذَا الْمَعْنَى)، فَأَتَى حُكْمُهُ النَّقْدِيُّ جُزْئِيًّا مُخْتَصًّا بِهَذَا الْمَعْنَى، وَهَذَا حَسَنٌ جِدًّا، وَيُظْهِرُ دِقَّتَهُ الْعَالِيَةَ فِي نَقْدِ الشِّعْرِ وَتَذَوُّقِهِ، وَيَكْشِفُ عَنْ أَبْرَزِ خَصَائِصِ فِكْرِهِ النَّقْدِيّ وَهُوَ كَوْنُ أَحْكَامِهِ جُزْئِيَّةً دَقِيقَةً .

وَمِمَّا لَمْ يُصِبْ فِيهِ ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ مَا يَلِي :

لَمْ يُصِبْ فِي جَعْلِهِ أَصْلَ الْمَعْنَى لِعُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ .

الْعُنْصُرُ الثَّانِي

مُنَاقَدَةُ الْحَاتِمِيِّ فِي أَحْكَامِهِ النَّقْدِيَّةِ .

وَالصُّورَةُ الْأُخْرَى لِلْأَحْكَامِ النَّقْدِيَّةِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي هَذَا الْمَعْنَى هِيَ صُدُورُ أَحْكَامٍ نَقْدِيَّةٍ مِنْ الْحَاتِمِي نَفْسِهِ وَقَدْ جَاءَتْ عَلَى صُورَتَيْنِ :

الْأُولَى – وَهِيَ الْأَحْكَامُ النَّقْدِيَّةُ الْكُلِّيَّةُ.

الأخرى – هِيَ صُورَةُ الْأَحْكَامِ الْجُزْئِيَّةِ.

أمَّا صورة الْأَحْكَامِ النَّقْدِيَّةِ الْكُلِّيَّةِ الصَّادِرَةِ مِنْهُ فَقَدْ وَرَدَتْ فِي مَوْطِنَيْنِ هما:

قَدْ بَدَأَهَا فِي الْعُنْوَانِ ذَاتِهِ حَيْثُ سَمَّاهُ (أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي امْتِزَاجِ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيهَا)؛ فَحُكْمُهُ النَّقْدِيُّ الَّذِي أَصْدَرَهُ فِي هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْحَاتِمِيَ قَدْ اسْتَقْصَى كُلَّ مَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى، ثُمَّ اسْتَخْلَصَ أَحْسَنَهُ وَأَجْوَدَهُ وَهُمْ التِّسْعَةُ شَوَاهِدَ الَّتِي ذَكَرَهَا .

وَالْحَقُّ أَنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُعَلِّقَ عَلَى حُكْمِهِ هَذَا، وَأَنْ أَحْكُمَ عَلَيْهِ بِالْإِصَابَةِ أَوْ بِعَدَمِهَا؛ لِأَنَّ هَذَا حُكْمٌ كُلِّيٌّ يَحْتَاجُ إِلَى النَّظَرِ فِي بَقِيَّةِ مَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى حَتَّى أَسْتَطِيعَ الْحُكْمَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَهَذَا لَيْسَ مَحَلُّهُ هُنَا؛ وَلِذَلِكَ فَإِنِّي أَرَى أَنَّ الْآمِدِيَّ كَانَ مُوَفَّقًا أَكْثَرَ مِنْهُ حِينَمَا ذَكَرَ بَعْضَ هَذِهِ الشَّوَاهِدِ تَحْتَ بَابٍ سَمَّاهُ "مَا قِيلَ فِي ائْتِلَافِ الْمُحِبِّينَ"[1] دُونَ أَنْ يُصْدِرَ حُكْمًا نَقْدِيًّا عَلَيْهَا بِتَفْضِيلِهَا عَلَى غَيْرِهَا.

وَإِنْ كَانَ الْحَاتِمِيُّ فَاقَهُ فِي التَّعْبِيرِ بِلَفْظِ (امْتِزَاجٍ) وَعَطْفِ لَفْظِ (تَصَافِيهَا) عَلَيْهِ؛ فَهُوَ أَقْوَى مِنْ لَفْظِ (ائْتِلَافٍ)، وَأَدَلُّ عَلَى مَا حَوَتْهُ الشَّوَاهِدُ، ثُمَّ أَضَافَ هَذَا الِامْتِزَاجَ لِلْقُلُوبِ دُونَ تَقْيِيدِهِ بِالْمَحْبِينَ الْمُتَوَهَّمِ مِنْهَا أَنَّهُ يَكُونُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ فَحَسْبُ، فَأَرَادَ الْحَاتِمِيُّ أَنْ يَجْعَلَهُ بَيْنَ كُلِّ اثْنَيْنِ وَلَوْ بَيْنَ رَجُلٍ وَصَدِيقِهِ كَمَا أَتَى بِشَاهِدٍ يَدُورُ فِي فَلَكِ

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدي ٢/ ١٣٨.

هَذَا الْمَعْنَى، وَلِيُؤَكِّدَ أَيْضًا عَلَى مَعْنَى الْبَابِ السَّابِقِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى وَالَّذِي أَكَّدَ فِيهِ أَنَّ التَّشَابُهَ لَا يَكُونُ بَيْنَ الْأَقَارِبِ مِنْ النَّسَبِ، بَلْ إِنَّ النَّسَبَ الْحَقِيقِيَّ هُوَ نَسَبُ الْمَوَدَّةِ الْمُخْلِصَةِ لَا نَسَبُ الدَّمِ وَالرَّحِمِ .

فَتَرَاهُ يَخْتَارُ لَفْظَ (الِامْتِزَاجَ) وَهُوَ اخْتِيَارٌ حَسَنٌ مُوَفَّقٍ، ثُمَّ أَضَافَهُ إِلَى مَا هِيَ أَسَاسُ امْتِزَاجِ الْأَرْوَاحِ وَالَّتِي لَوْلَاهَا مَا كَانَ امْتِزَاجا وَهِيَ (الْقُلُوبُ) فَأَحْسَنَ كل الحسن فِي ذَلِكَ.

ثُمَّ تَرَاهُ يَتَرَقَّى فِي صُورَةِ هَذَا الِامْتِزَاجِ الرُّوحِيِّ فَيَجْعَلُهُ فِي أَسْمَى صُوَرِهِ فَيَعْطِفُ عَلَيْهِ لَفْظَةَ (تَصَافِيهَا)؛ لِيَدُلَّ مِنْ خِلَالِ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ امْتِزَاجٍ فِي الْمَحَبَّةِ وَالْوِدِّ بَيْنَ اثْنَيْنِ يَكُونُ فِي أَعْلَى صُوَرِهِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ فِي أَعْلَاهُ إِذَا صَفَّتْ الْقُلُوبُ بَعْدَ أَنْ امْتَزَجَتْ؛ لِأَنَّ مَرْحَلَةَ التَّصَافِي هِيَ مَرْحَلَةُ الْإِخْلَاصِ فِي الْمَحَبَّةِ وَلَيْسَ التَّعَلُّقِ فَحَسْبُ، وَعليه يَكُونُ الْحَاتِمِيُّ مُحْسِنًا فِي التَّنْوِيهِ عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَوَّلِ الْعُنْوَانِ فَـ "الْهَوَى بَيْنَ الْمُتَصَافِيَيْنِ؛ هُوَ امْتِزَاجُ النَّفْسِ بِالنَّفْسِ، كَمَا الْمَاءُ إِذَا امْتَزَجَ بِالْمَاءِ، عَسُرَ تَخْلِيصُهُ عَلَى مَنْ رَامَهُ. وَالنُّفُوسُ أَرَقُّ مِنْ الْمَاءِ، وَأَلْطَفُ مَسْلَكًا.فَلِذَلِكَ لَا تُزِيلَهُ مُرُورُ الْأَيَّامِ، وَلَا يُخْلِقُهُ تَصَرُّفُ الدَّهْرِ، وَلَا يَدْفَعُهُ دَافِعَ دَقَّ عَنْ الْأَوْهَامِ مَسْلَكُهُ، وَخَفِيَ عَنْ الْأَبْصَارِ مَوْضِعُهُ، وَحَارَتْ الْعُقُولُ فِي كَيْفِيَّةِ تَمَكُّنِهِ، غَيْرَ أَنَّ ابْتِدَاءَ حَرَكَتِهِ، وَعَظِيمَ سُلْطَانِهِ هُمَا مِنْ الْقَلْبِ. ثُمَّ يَنْقَسِمُ عَلَى سَائِرِ الْأَعْضَاءِ؛ فَيُبْدِي الرَّعْدَةَ فِي الْأَطْرَافِ، وَالصُّفْرَةَ فِي الْأَلْوَانِ، وَالثِّقَلُ فِي اللِّسَانِ، وَالزَّلَلِ، وَالْعِثَارِ فِي الْمَنْطِقِ،"[1].

وَقَدْ نَظَرْتُ فِي الْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرَهُ الْحَاتِمِيُّ قَبْلَ هَذَا الْمَعْنَى فَوَجَدْتُه يَذْكُرُ بَابًا بِعُنْوَانِ (أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي تَنَاسُبِ الْأَرْوَاحِ دُونَ تَنَاسُبِ الْأَشْبَاحِ) وَقَدْ تَدَبَّرْتُ شَوَاهِدَهُ

(١) كنز الكتاب ومنتخب الآداب (السفر الأول من النسخة الكبرى (المؤلف: أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الحسن الفهري المعروف بالبونسي (٦٥١هـ) ٢/ ٦٨٢ تحقيق: حياة قارة الناشر: المجمع الثقافي، أبو ظبي عام النشر: ٢٠٠٤.

مِرَارًا وَتَكْرَارًا حَتَّى أَقِفَ عَلَى الْفَرْقِ بَيْنَ الْبَابَيْنِ وَغَرَضِهِ من التَّسْمِيَتَيْنِ، فَتَبَيَّنَ أَنَّهُ قَصَدَ فِي امْتِزَاجِ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيهَا التَّرَقِّيَ فِي دَرَجَةِ التَّعَلُّقِ وَالْمَحَبَّةِ وَمِنْ ثَمَّ جَعَلَهُ امْتِزَاجًا وَتَصَافِيًا وَلَمْ يَجْعَلْهُ تَنَاسُبًا كَمَا فَعَلَ فِي الْمَعْنَى الَّذِي قَبْلَهُ؛ لِأَنَّ الْبَابَ السَّابِقَ كُلُّ شَوَاهِدِهِ تُؤَكِّدُ عَلَى مَعْنَى انْسِجَامِ وَتَنَاغُمِ وَتَشَابُهِ الْأَرْوَاحِ دُونَ وُجُودِ عَلَاقَةِ نَسَبٍ بَيْنَهَا وَلِذَا سَمَّاهُ تَنَاسُبًا وَلَيْسَ امْتِزَاجًا وَتَصَافِيًا فَأَرَادَ بِالتَّنَاسُبِ الْأَوَّلِ الْقُرْبَ وَالِانْسِجَامَ وَلذا جَعَلَهُ لِلْأَرْوَاحِ وَأَرَادَ بِالتَّنَاسُبِ الثَّانِي صِلَةَ النَّسَبِ وَلِذَا نَفَاهُ وَجَعَلَهُ لِلْأَشْبَاحِ وَأَرَادَ بِهَا الْأَشْخَاصَ.

فَكَمَا تَرَى أَرَادَ تَأْكِيدَ مُجَرَّدِ التَّنَاغُمِ وَالِانْسِجَامِ بَيْنَ الْأَرْوَاحِ، وَأَثْبَتَ أَنَّهُ لَا يَعْنِي أَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا بَيْنَ الْأَقَارِبِ كَالْأُخُوَّةِ مِنَ النَّسَبِ وَإِنَّمَا يَكُونُ بِغَيْرِهِمَا وَلِذَلِكَ صَدَّرَ الْبَابَ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- "الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ . . . ."[1] وَقَالَ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ قَالَ فِي هَذَا الْمَعْنَى لِمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ مِنْ إِثْبَاتِ الِانْسِجَامِ الْعَامِّ بَيْنَ الْأَرْوَاحِ دُونَ تَقْيِيدِهَا بِصِلَةِ قَرَابَةٍ أَوْ نَسَبٍ.

وَعَلَيْهِ فَإِنِّي أَرَى أَنَّ الْحَاتِمِيَ قَدْ أَحْسَنَ كل الحسن فِي تَسْمِيَةِ كُلِّ بَابٍ فَأَتَى فِي الْأَوَّلِ بِمَا يُنَاسِبُهُ وَيَنْسَجِمُ مَعَهُ مِنْ شَوَاهِدَ، وَفِي الثَّانِي بِمَا يَمْتَزِجُ مَعَهُ امْتِزَاجًا قَوِيًّا فِي قُوَّةِ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ .

حُكْمُهُ بِقِلَّةِ إِحْسَانِ الْبُحْتُرِي فِي جَمِيعِ شِعْرِهِ .

وَالصُّورَةُ الأخرى لِنَقْدِ الْحَاتِمِيِّ هِيَ صُورَةُ الْأَحْكَامِ الْجُزْئِيَّةِ وردت فِي أَرْبَعَةِ شَوَاهِدَ فَحَسْبُ وَلَكِنَّكَ تَرَى الْحَاتِمِيَّ أَصْدَرَ فِيهَا عِدَّةَ أَحْكَامٍ نَقْدِيَّةٍ هي:

تَرَاهُ يُصْدِرُ عَلَى بَيْتِ دِعْبِل حُكْمَيْنِ نَقْدِيَّيْنِ؛ فَيَرَى أَنَّهُ تَعَاوَرَ هَذَا الْمَعْنَى وَأَنَّهُ أَحْسَنُ فِيهِ كل الحسن.

---

(١) صحيح البخاري ٣/١٢١٣.

كَمَا أَصْدَرَ عَلَى بَيْتِ الْبُحْتُرِيِّ حُكْمَيْنِ جُزْئِيَّيْنِ غَيْرَ الْحُكْمِ الْكُلِّيِّ سَالِفِ الذِّكْرِ وَهُمَا : أَنَّهُ أَخَذَهُ مِنْ غَيْرِهِ، ثُمَّ حَكَمَ عَلَيْهِ بِالِاسْتِحْسَانِ .

ثُمَّ حَكَمَ عَلَى بَيْتِ بَشَّارٍ بِأَنَّهُ سَلَكَ هَذَا الْمَذْهَبَ، كَمَا حَكَمَ بِأَنَّهُ عَدَلَ إِلَى صُورَةٍ حِسِّيَّةٍ طَرِيفَةٍ وَجَدِيدَةٍ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الِامْتِزَاجِ الْمَعْنَوِيِّ .

ثُمَّ تَرَاهُ يَصْدُرُ فِي الشَّاهِدِ الْأَخِيرِ حُكْمًا عَلَى بَيْتِ نَطَّاحَة الْكَاتِبِ بِأَنَّهُ فِي مَعْنَى امْتِزَاجِ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيهَا، ثُمَّ يَحْكُمُ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ لَيْسَ بِهِ أَيْ لَمْ يَشْعُرْ بِهَذَا الِامْتِزَاجِ حَقِيقَةً.

وَكَمَا تَرَى إِصَابَةَ الْحَاتِمِي فِي جَمِيعِ أَحْكَامِهِ الْجُزْئِيَّةِ أَمَّا الْحُكْمَانِ الْكُلِّيَّانِ فَكَمَا قُلْتُ أَنَّنِي لَا أَسْتَطِيعُ الْحُكْمَ عَلَيْهِمَا بِالْإِصَابَةِ أَوْ بِعَدَمِهَا.

الْعُنْصُرُ الثَّالِثُ

مَرْتَبَةُ كُلِّ شَاهِدٍ مِنْ حَيْثُ دَلَالَتُهُ عَلَى امْتِزَاجِ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيهَا

اعْلَمْ أَنَّ كُلَّ الشَوَاهِدِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْحَاتِمِيُّ فِي هَذَا الْمَعْنَى حَسَنَةٌ جَيِّدَةٌ؛ لِأَنَّ كُلَّ شَاعِرٍ كَمَا رَأَيْنَا قَدْ صَنَعَ فِي الْمَعْنَى وَصَوَّرَ وَأَحْسَنَ فِيهِ وَأَجَادَ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَا جَمَعَهَا الْحَاتِمِيُّ تَحْتَ هَذَا الْمَعْنَى، وَحَكَمَ عَلَيْهَا بِأَنَّهَا أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِيهِ، وَلَكِنْ تَبْقَى لِكُلٍّ مَرْتَبَتُهُ وَدَرَجَتُهُ مِنْ الْحُسْنِ؛ وَلِذَلِكَ جَاءَتْ شَوَاهِدُ هَذَا الْمَعْنَى فِي سَبْعِ مَرَاتِبَ فِي حُسْنِ الدَّلَالَةِ عَلَى مَعْنَى امْتِزَاجِ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيهَا فَأَعْلَاهَا مَرْتَبَةً وَأَحْسَنُهَا هُوَ قَوْلُ نَطَّاحَةِ الْكَاتِبِ:

هُمُومُ أُنَاسٍ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ ... وَهَمِّيَ فِي الدُّنيَا صَدِيقٌ مسَاعِدُ

نَكُونُ كَرُوحٍ بَيْنَ جِسْمَيْنِ فُرِّقَا ... فَجِسْمَاهُمَا جِسْمَانِ وَالرُّوحُ وَاحِدُ

٢. وَيَلِيهِ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ لِلْمَهْلَبِيِّ :

حِيْنَ قَالَتْ دُنْيَا عَلَامَ نَهَارًا ... جِئْتَ هَلَّا انْتَظَرْتَ وَقْتَ المَسَاءِ

ذَاكَ إذ رُوْحهَا ورُوْحِي مِزَاجَان ... كَأَصْفَى خَمْر بأَعْذَب مَاءِ[1]

٣. ثُمَّ قَوْلُ دِعْبِل فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّالِثَةِ وَهُوَ :

أَنِّي أُحِبُّكَ حُبًّا لَوْ تَضَمَّنَهُ سَلْمَى ... سَمِيُّكِ ذَلَّ الشَّاهِقُ الرَّاسِي

حُبًّا تَلَبَّسَ بِالأَحْشَاءِ فَامْتَزَجَا ... تلبس المَاءِ بِالصَّهْبَاءِ فِي الكَاسِ[2]

٤. ثُمَّ قَوْلُ الْعَبَّاسِ وَعُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ والْبُحْتُرِيِّ فِي الْمَرْتَبَةِ الرَّابِعَةِ وهم:

مَا أَنْسَ لَا أَنْسَ يُمناها مُعَطَّفَةً ... عَلَي فُؤَادِي وَيُسْرَاهَا عَلَى رَأْسِي

---

(١) شعر أبي عيينة المُهَلَّبِيّ لدكتور عبد القادر الرباعي ص:٥٧.

(٢) ديوان دِعْبَل الْخُزَاعِيّ، ص : ١٦٣.

وَقَوْلُهَا لَيْتَهُ ثَوْبٌ عَلَى جَسَدِي وَلَيْتَنِي كُنْتُ سِرْبَالًا لِعَبَّاسِ

أَوْ لَيْتَهُ كَانَ لِي خَمْرًا وَكُنْتُ لَهُ مِنْ مَاءِ مُزْنٍ وَكُنَّا الدَّهْرَ فِي كَاسِ

وقول عمر:

كُنَّا كَمِثْلِ الخَمْرِ كَانَ مِزاجُهَا بِالمَاءِ لَا رَنْقٌ وَلَا تَكْدِيْرُ

وقول البتحتري:

وَجَدْتُ نَفْسَكِ مِنْ نَفْسِي بِمَنْزِلَةِ هِيَ الْمُصَافَاةُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالرَّاحِ

٥. ثُمَّ يَلِيهِم قَوْلُ بَشَّارٍ فِي الْمَرْتَبَةِ الْخَامِسَةِ وهو:

لَقَدْ كَانَ مَا بَيْنِي زَمَانًا وَبَيْنُهَا كَمَا بَيْنَ رِيحِ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ الْوَرْدِ

٦. ثُمَّ يَلِيهِ فِي الْمَرْتَبَةِ السَّادِسَةِ الْقَوْلُ الثَّانِي لِلْمَهْلَبِيِّ وَهُوَ:

حَتَّى إِذَا اخْتَلَطَتْ بِنَفْسِي نَفْسُهَا كَالْخَمْرِ تُقْرَعُ بِالزُّلَالِ البَارِدِ

خَافَتْ فَقُلْتُ لَهَا اسْكُتِي إِذْ مَسَّهَا جَهْدُ الفِرَاقِ مَعَ البَلَاءِ الجاهِدِ

مَا تَشْتَكِيْنَ أَنَا الفِدَا لَكِ وَالحِمَى لَوْ أَسْتَطِيْعُ لَكُنْتُ أَوَّلَ عَائِدِ

قَالَتْ فِرَاقُكَ وَالصَّبَابَةُ وَالَّذِي أَخْشَى عَلَيْكَ مِنَ الرَّقِيْبِ الرَّاصِدِ

٧. ثُمَّ يَلِيهِ قَوْلُ المُسَيَّب ابْنِ عَلَسٍ فِي الْمَرْتَبَةِ السابعة:

تَبِيْتُ المُلُوْكُ عَلَى عَتْبِهَا وَشَيْبَانُ إِنْ غَضِبَتْ تُعْتَبُ

وَكَالرَّاحِ بالماء أَخْلَاقُهُمْ وَأَخلَاقُهُمْ مِنْهُمَا أَعْذَبُ

وَكَالمِسْكِ رِيْحُ مَقَامَاتِهِمْ وَتربٍ قُبُوْرِهِمُ أَطْيَبُ

وَهذه المرتبة هِيَ آخِرُ الْمَرَاتِبِ وَهَذَا طَبْعِيٌّ؛ لِأَنَّ أَصْلَ الْمَعْنَى يَرْجِعُ لَهُ، وَقَدْ قَالَهُ فِي سِيَاقٍ آخَرَ غَيْرِ سِيَاقِ المَحَبَّةِ الَّتِي فِي الْقُلُوبِ وهو سِيَاقُ مَدِيحِ بَنِي شَيْبَانَ، وَلَمْ

يَقْصِدْ الِامْتِزَاجَ لِذَاتِهِ كَمَا بَيَّنْتُ، وَمن الطَّبْعِي أيضا أَنْ يُضِيفَ وَيُجَدِّدَ فِي صِيَاغَةِ الْمَعْنَى مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ، وَلَكِنْ يَبْقَى لَهُ فَضْلُ السَّبْقِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الِامْتِزَاجِ وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِ الْقُلُوبِ.

وَإِذْ قَدْ عَرَفْتَ أَنَّ لِكُلِّ شَاهِدٍ مَرْتَبَةً مِنْ الْحُسْنِ كَمَا رَأَيْتَ، فَخَلِيقٌ بِي أَنْ أَذْكُرَ مَا فَاقَ بِهِ كُلُّ شَاهِدٍ عَلَى مَا بَعْدَهُ وَأَبْدَأُ بِبَيْتِ نَطَّاحَةَ الَّذِي فَاقَ الْجَمِيعَ وهو:

نَكُوْنُ كَرُوْحٍ بَيْنَ جِسْمَيْنِ فُرِّقَا فَجِسْمَاهُمَا جِسْمَانِ وَالرُّوْحُ وَاحِدُ

فَأَرَى أَنَّهُ فَاقَ القَوْلَ الأول للْمُهَلَّبِيّ : (إِذْ رُوحُهَا وَرُوحِي مِزَاجَانِ كَأَصْفَى خَمْرٍ بِأَعْذَبِ مَاءِ) مِنْ وُجُوهٍ هِيَ:

أَنَّ قَوْلَ الْمُهَلَّبِيِّ وَإِنْ كَانَ فِيهِ امْتِزَاجٌ فِي قَوْلِهِ: (إِذْ رُوحُهَا ورُوحِي مِزَاجَانِ) إِلَّا أَنَّهُ امْتِزَاجٌ فِيهِ مَعْنَى الثُّنَائِيَّةِ وَالتَّفَرُّقِ لِأَجْزَائِهِ؛ لِأَنَّهُ قَالَ (رُوحِي وَرُوحُهَا مِزَاجَانِ) فَعَبَّرَ عَنْ رُوحِهِ وَرُوحِهَا وَأَخْبَرَ أَنَّهُمَا مِزَاجَانِ .

أَمَّا نِطَاحَةُ فَأَثْبَتَ هَذَا الْمَعْنَى بِطَرِيقٍ بَلِيغٍ حِينَمَا قَالَ: (يَكُونُ كَرُوحٍ بَيْنَ جِسْمَيْنِ) فَكَمَا تَرَى لَمْ يَفْصِلْ بَيْنَ الرُّوحَيْنِ بَلْ جَعَلَ التَّفْرِيقَ فِي الْجَسَدِ فَحَسْبُ، وَأَمَّا الرُّوحُ فَهِيَ رُوحٌ وَاحِدَةٌ انْقَسَمَتْ عَلَى الْجَسَدَيْنِ، وَهَذَا حَسَنٌ جَيِّدٌ، وَعَلَيْهِ فَإِنِّي أَرَاهُ أَعْلَى مِنْ قَوْلِ الْمُهَلْبِيِّ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ؛ وَلِذَا تَرَى الْمُهَلَّبِيِّ لَمَّا فَصَلَ بَيْنَ الرُّوحَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَجْعَلَهُمَا مِزَاجَيْنِ أَخْبَرَ عَنْهُمَا بِالْمُثَنَّى (مِزَاجَانِ)، وَلَمْ يَكْتَفِ بِذَلِكَ بَلْ شَبَّهَهُمَا بِأَصْفَى خَمْرٍ مُخْتَلِطٍ بِأَعْذَبِ مَاءٍ فَقَالَ: كَأصفى ْ خَمْرٍ فِي أَعْذَبِ مَاءٍ.

وَهَذَا الْمُثَنَّى الَّذِي أَتَى بِهِ فِي الْخَبَرِ وَفِي التَّشْبِيهِ يُقَوِّي الِانْفِصَالَ بَيْنَ الرُّوحَيْنِ وَإِنْ أَخْبَرَ عَنْ أَنَّ الِامْتِزَاجَ حَاصِلٌ بَيْنَهُمَا إِلَّا أَنَّ نِطَاحَةَ جَعَلَ الِامْتِزَاجَ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ حَتَّى نِهَايَتِهِ فَجَعَلَ الرُّوحَ وَاحِدَةً فِي جَسَدَيْنِ وَكَأَنَّ الرُّوحَيْنِ لَمْ يَنْقَسِمَا إِلَى رُوحَيْنِ مِنْ أَصْلِهِ، وَإِنَّمَا هِيَ رُوحٌ وَاحِدَةٌ انْقَسَمَتْ فِي جِسْمَيْنِ وَهَذَا مَعْنَى عَالٍ وَحَسَنٌ كل الحسن وَلِذَا فَضَّلْتُهُ .

وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْعَبَّاسِ وَإِنْ كَانَ دَالًّا عَلَى الِامْتِزَاجِ بِأَكْثَرَ مِنْ صُورَةٍ إِلَّا أَنَّهُ دَلَّ عَلَيْهِ بِطَرِيقٍ فِيهِ فَصْلٌ وَتَفْرِيقٌ حِسِّيٌّ فَتَأَمَّلْ صُورَةَ الثَّوْبِ وَالسِّرْبالِ عَلَى الْجَسَدِ، فَهِيَ وَإِنْ كَانَتْ دَالَّةً عَلَى قُوَّةِ الِالْتِصَاقِ، وَكِنَايَةً عَنْ قوة الْقُرْبِ وَالِامْتِزَاجِ مِنْ نَاحِيَةِ شُمُولِ الثَّوْبِ لِلْجَسَدِ إِلَّا أَنَّكَ تَرَى فِيهَا شَيْئَيْنِ هُمَا الْجَسَدُ وَالثَّوْبُ وَهَذَا فَصْلٌ وَتَفَكُّكٌ ظَاهِرٌ، وَلَعَلَّهُ إِشَارَةٌ إِلَى مَا فِي نَفْسِ مَحْبُوبَتِهِ مِنْ بُعْدِ الْعَبَّاسِ عَنْهَا حَتَّى تَمَنَّتْ هَذَا الِامْتِزَاجَ الْمَبْنِيَّ عَلَى أَجْزَاءَ مُفَكَّكَةٍ مُفَرَّقَةٍ فِي حَقِيقَتِهَا، وَالِامْتِزَاجُ الْعَالِي لَيْسَ فِيهِ تَفْكِيكٌ أَوْ انْفِصَالٌ وَتَفْرِيقٌ أَبَدًا حَتَّى فِي الصُّورَةِ الدَّالَّةِ عَلَيْهِ.

وَحَتَّى فِي صُورَةِ الِامْتِزَاجِ الْمَعْنَوِيِّ فَ الْبَيْتِ التالي في قوله:

أَوْ لَيْتَـهُ كَـانَ لِـي خَمْـرًا وَكُنْـتُ لَـهُ مِنْ مَاءِ مُزْنٍ وَكُنَّا الدَّهْرَ فِي كَاسِ

نَرَاهُ يَجْعَلُ الِامْتِزَاجَ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ بِتَشْبِيهِهَا الْعَبَّاسَ بِالْخَمْرِ وَتَشْبِيهِ نَفْسِهَا بِمَاءِ مُزْنٍ ثُمَّ جَعْلِهِمَا فِي كَأْسٍ وَاحِدَةٍ وَهَذَا أَيْضًا فِيهِ تَفَكُّكٌ ظَاهِرٌ يَجْعَلُكَ تَرَى كُلَّ طَرَفٍ عَلَى حِدَةٍ أَوَّلًا، ثُمَّ الِامْتِزَاجَ بَيْنَهُمَا مُؤَخَّرًا وَهَذَا الْفَصْلُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ يُضْعِفُ الْمَعْنَى، وَلِذَلِكَ حَتَّى وَإِنْ كَانَتْ جُمْلَةَ وَلَيْتَنِي خَمْرٌ . . . تُرِيدُ بِهَا أَنْ تُشَبِّهَ قُوَّةَ امْتِزَاجِهَا بِقُوَّةِ امْتِزَاجِ الْخَمْرِ مَعَ الْمَاءِ فِي كَأْسٍ وَاحِدَةٍ وَأَنَّ هَذَا كِنَايَةٌ عَنْ تَمَنِّيهَا امْتِزَاجَ أَرْوَاحِهِمَا إِلَّا أَنَّ نِطَاحَةَ دَلَّ عَلَى هَذَا الِامْتِزَاجِ الْمَعْنَوَى مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ؛ فَلَمْ تَرَ أَوْ تَشْعُرْ أَبَدًا فِي قَوْلِ نَطَاحَةٍ بِفَصْلٍ وَلَا تُفَرِّقْ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ حَيْثُ أَرَاكَ الرُّوحَيْنِ رُوحًا وَاحِدَةً، فَجَاءَ الِامْتِزَاجُ فِي قِمَّتِهِ وَغَايَتِهِ، وَلهذا كَانَ أَبْلَغَ مِنْ قَوْلِ الْعَبَّاسِ أَيْضًا .

أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا –أعني نطاحة والمهلبي – وَإِنْ كَانَ عِمَادَ الْمَعْنَى فِيهِمَا وَبِنَاءَهُ عَلَى أُسْلُوبِ التَّشْبِيهِ إِلَّا أَنَّ الْمُهَلَّبِيّ أَتَى بِجُمْلَةِ التَّشْبِيهِ مُؤَكِّدَةً لِمَعْنَى الِامْتِزَاجِ الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ عَنْ رُوحِهِ وَرُوحِ مَحْبُوبَتِهِ قَبْلَهُ، فَتَكُونُ جُمْلَةُ التَّشْبِيهِ مُؤَكِّدَةً لِلْمَعْنَى وَمُقَرِّرَةً لَهُ كَمَا تَرَى فِي قَوْلِهِ: (إِذْ رُوحُهَا رُوحٌ مِزَاجَانِ) وَأَمَّا نَطَاحَةُ فَجَعَلَ جُمْلَةَ التَّشْبِيهِ هِيَ رَأْسُ الْمَعْنَى وَلَيْسَت مُؤَكِّدَةً لَهُ حَيْثُ قَالَ:

هُمُـومُ أُنَـاسٍ فِـي أُمُـورٍ كَثِيـرَةٍ وهَمِّـيَ فِـي الـدُّنيَا صَـدِيقٌ مسَـاعِدُ

نَكُـوْنُ كَـرُوْحٍ بَـيْنَ جِسْـمَيْنِ فُرِّقَـا فَجِسْـمَاهُمَا جِسْـمَانِ وَالـرُّوْحُ وَاحِـدُ

فَتُرَاهُ يَجْعَلُ التَّشْبِيهَ فِي أَنْفِ الْمَعْنَى الدَّالِّ عَلَى الِامْتِزَاجِ لَا مُؤَكِّدًا لِلِامْتِزَاجِ الْحَاصِلِ قَبْلَهَا.

عَلَى أَنَّ جُمْلَةَ التَّشْبِيهِ ذَاتَهَا فِي الْأَصْلِ مُؤَكِّدَةٌ لِلْجُمْلَةِ السَّابِقَةِ قَبْلَهَا فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ فِي قَوْلِهِ: (وَهَمِي فِي الدُّنْيَا صَدِيقٌ مُسَاعِدٌ) .

فَجُمْلَةُ (وَهَمِي فِي الدُّنْيَا صَدِيقٌ مُسَاعِدٌ) أَوَّلُ مَعْنَاهُ؛ حَيْثُ جَعَلَ كُلَّ هَمِّهِ فِي الدُّنْيَا أَنْ يَعْثُرَ عَلَى صَدِيقٍ مُسَاعِدٍ، فَأَكَّدَ هَمَّهُ هَذَا وَشِدَّتَهُ هَذِهِ بِجُمْلَةِ التَّشْبِيهِ الرَّائِعَةِ حَيْثُ قَالَ: (يَكُونُ كَرُوحٍ)، وَقَدْ أَحْسَنَ فِيهَا كل الحسن ثُمَّ أَكَّدَ جُمْلَةَ التَّشْبِيهِ بِقَوْلِهِ: (فَجِسْمُهُمَا جِسْمَانِ وَالرُّوحُ وَاحِدٌ) فَتَرَى الِامْتِزَاجَ يَصِلُ قِمَّتَهُ فِي قَوْلِهِ هَذَا .

فتراه يَبْنِي كَلَامَهُ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ عَلَى أَنَّ الرُّوحَ وَاحِدَةٌ، وَلَمْ يُصَرِّحْ فِي الشَّطْرِ الْأَوَّلِ بِلَفْظِ (وَاحِدَةٍ) وَلَكِنَّهُ دَلَّ عَلَيْهَا بِذِكْرِ جُمْلَةِ (بَيْنَ جِسْمِين فُرِّقَا) بَعْدَ قَوْلِهِ (كَرُوحٍ) فَكَوْنُ الرُّوحِ بَيْنَ جَسَدَيْنِ فُرِّقَا دَالٌّ عَلَى أَنَّهَا رُوحٌ وَاحِدَةٌ، وَلَمْ يَكْتَفِ بِذَلِكَ فَأَتَى بِالشَّطْرِ الثَّانِي مُؤَكِّدًا عَلَى وَحْدَةِ هَذِهِ الرُّوحِ وَقُوَّةِ امْتِزَاجِهَا حَيْثُ قَالَ: (فَجِسْمُهُمَا جِسْمَانِ وَالرُّوحُ وَاحِدٌ) ، وَإِنْ كَانَ الشَّطْرُ السَّابِقُ دَالًّا عَلَيْهِ لَكِنَّهُ آثَرَ ذِكْرَهُ لِلتَّأْكِيدِ عَلَى قُوَّةِ الِامْتِزَاجِ الَّذِي يَرْجُوهُ مِنْ هَذَا الصَّدِيقِ، وَلِيُنَاسِبَ شِدَّةَ احْتِيَاجِهِ لِذَلِكَ حَتَّى جَعَلَ ذَلِكَ هَمَّهُ مِنْ الدُّنْيَا كُلِّهَا مَعَ أَنَّ غَيْرَهُ مَهْمُومٌ بِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ فِي الدُّنْيَا غَيْرِ ذَلِكَ .

وَلِفَظِّ (وَاحِد) الَّذِي ذُيِّلَ الْبَيْتَ بِهِ بَعْدَمَا بَدَأَهُ أَيْضًا بِهَا يَكُونُ مِنْ الْإِرْصَادِ[1] الْبَدِيعُ فِي تَوَقُّعِ الشَّطْرِ الثَّانِي وَقَدْ زَادَ مِنْ جَمَالِ هَذَا الْبَيْتِ مَعَ جَمَالِ مَعْنَاهُ وَإِحْكَامِ نَظْمِهِ

---

(١) الْإِرْصَادِ هو أن يكون أول الكلام مرصدا لفهم آخره، ويكون مشعرا به، فمتى قرع سمع السامع أول الكلام فإنه يفهم آخره لا محالة، فما هذا حاله من منثور اللفظ ومنظومه يقال له الإرصاد. الطراز ←←←

وَهُوَ مَحَلُّ شَاهِدِ الِامْتِزَاجِ، فالْقَارِئُ عِنْدَمَا يَقْرَأُ الشَّطْرَ الْأَوَّلَ مِنْ الْبَيْتِ الثَّانِي يُدْرِكُ بَقِيَّةَ الْبَيْتِ وَهُنَا تَتَجَلَّى بَرَاعَةُ النَّاظِمِ وَاقْتِدَارُهُ فِي دَلَالَتِهِ عَلَى آخِرِ كَلَامِهِ قَبْلَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ، بَلْ هُوَ الْبَلَاغَةُ فِي أَعْلَى دَرَجَاتِهَا إِذْ أَنَّهُمْ قَالُوا :الْبَلَاغَةُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُكَ دَالًّا عَلَى آخِرِهِ، وَآخِرُهُ مُرْتَبِطًا بِأَوَّلِهِ(١) .

فَكَمَا تَرَى الِامْتِزَاجَ فِي أَعْلَى دَرَجَاتِهِ فِي قَوْلِ نَطَاحَةَ هَذَا، وَتَرَاهُ فِي الْبَيْتِ لَفْظًا وَمَعْنًى فَحَتَّى الْأُسْلُوبُ الَّذِي زَيَّنَ كَلَامَهُ وَمَعْنَاهُ بِهِ تَرَاهُ قَائِمًا عَلَى الِامْتِزَاجِ وَالتَّرَابُطِ بَيْنَ أَوَّلِ الْكَلَامِ وَآخِرِهِ فَأَحْسَنِ مَا شَاءَ مِنْ الْإِحْسَانِ فِي ذَلِكَ، وَكَأَنَّ أَوَّلَ الْبَيْتِ وَآخِرَهُ رُوحٌ وَاحِدَةٌ، فَهَذَا الْإِرْصَادُ مُؤَكِّدٌ لِمَعْنَى الِامْتِزَاجِ وَالشَّطْرُ الثَّانِي الْمُتَوَقَّعُ مُؤَكِّدٌ لِلشَّطْرِ الْأَوَّلِ الدَّالِّ عَلَيْهِ .

أَنَّ الْمُهَلَّبِيَّ قَصَدَ بِالرُّوحَيْنِ اللَّذَيْنِ امْتَزَجَا رُوحَهُ وَرُوحَ مَحْبُوبَتِهِ (دنيا) الَّتِي تَحَدَّثَ عَنْهَا فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ بِقَوْلِهِ :

حِـــيْنَ قَالَـــتْ دُنْيَـــا عَـــلَامَ نَهَـــارًا جِئْـتَ هَـلَّا انْتَظَـرْتَ وَقْـتَ المَسَـاءِ

ذَاكَ إِذْ رُوحُهَـــا وَرُوحِـــي مِزَاجَـــانِ كَأَصْـــفَى خَمْـــرٍ بِأَعْـــذَبِ مَـــاءِ

أَمَّا نَطَاحَةُ فَقَدْ قَصَدَ بِالرُّوحَيْنِ رُوحَهُ وَرُوحَ هَذَا الصَّدِيقِ الَّذِي تَمَنَّى أَنْ يُرْزَقَ بِهِ فِي الدُّنْيَا، وَهَذَا الِامْتِزَاجُ الْعَالِي الَّذِي بَيْنَهُمَا وَإِنْ كَانَ بَيْنَ صَدِيقَيْنِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْأَوْلَى أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الْمُحِبِّ وَمَحْبُوبَتِهِ فِي قَوْلِ الْمُهَلَّبِيِّ .

→→→

لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المؤلف: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (ت ٧٤٥هـ) ١٦٨/٢ الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

١() كنت قد كتبت تعريف البلاغة هذا عند تحليل الإرصاد هنا وكان مما أحفظه منذ زمن، ولكني عندما أردت أن أحققه لم أعثر على مصدره.

فَإِذَا كَانَ هَذَا يَجْعَلُ الِامْتِزَاجَ فِي قِمَّتِهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَدِيقِهِ فَحَرِيٌّ بِهَذَا الْمُحِبِّ أَنْ يَجْعَلَ رُوحَهُ وَرُوحَ مَحْبُوبَتِهِ فِي أَعْلَى حَالَاتِ الِامْتِزَاجِ دُونَ أَنْ يُفَكِّكَ أَوْ يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا بَلْ يَمْتَزِجَانِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ.

وَقَوْلُ نِطَّاحَةَ فِي صَدِيقِهِ الَّذِي يَتَمَنَّاهُ هَذَا مَعْنًى مُفِيدٌ وَحَسَنٌ وَيُرَبِّي فِي النَّفْسِ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ حِينَمَا يَجْعَلُ الْإِنْسَانُ هَمَّهُ فِي الْعُثُورِ عَلَى خَلِيلٍ يَرَاهُ كَرُوحِهِ حَتَّى تَسْكُنَ النَّفْسُ إِلَيْهِ وَتَهْدَأَ فِي كُلِّ أُمُورِهَا .

وَقَدْ رُوِيَ الْبَيْتُ بِرِوَايَةٍ أُخْرَى بِلَفْظِ (قُسِّمَا)[١] وَرِوَايَةُ الْبَيْتِ بِلَفْظِ (فُرِّقَا) كَمَا أَوْرَدَهَا الْحَاتِمِيُّ حَسَنَةٌ جَيِّدَةٌ وَأَحْسَنُ مِنْهَا هَذِهِ الرِّوَايَةُ الْأُخْرَى لِأَنَّ التَّقْسِيمَ هُنَا دَلَّ عَلَى الْمَقْصُودِ أَكْثَرَ مِنْ التَّفْرِيقِ؛ وَلِذَا كَانَ أَشَدَّ مُنَاسَبَةً لِلْمَعْنَى لِأَنَّ التَّقْسِيمَ "جَعْلُ اَلشَّيءِ أَقْسَامًا، وَذَلِكَ يَسْتَدْعِي تَقَدُّمَ مَا يَتَنَاوَلُ الْاقْسَامَ نَحْوَ: الْكَلِمَةِ : اسْمٌ وَفِعْلٌ وَحَرْفٌ، وَالتَّفْرِيقَ: قَطْعُ الِاتِّصَالِ بَيْنَ شَيْئَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ لِمَا عَرَفْت وَذَلِكَ لَا يَسْتَدْعِي تَقَدُّمَ مَا يَتَنَاوَلُ. " [٢].

---

(١) هذه الرواية وردت في :

المهروانيات = الفوائد المنتخبة الصحاح والغرائب لأبي القاسم المهرواني(المتوفى: ٤٦٨ هـ) دراسة وتحقيق: د. سعود بن عيد بن عمير بن عامر الجربوعي ٣/ ١٠٣٠ ، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – عمادة البحث العلمي الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م.

مجمع الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي الشيباني (ت ٧٢٣ هـ) ٤/ ٣٠٢ ، تحقيق : محمد الكاظم، الناشر: مؤسسة الطباعة والنشر – وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ .

السلوك في طبقات العلماء والملوك المؤلف: محمد بن يعقوب اليمني (ت ٧٣٢هـ) ٢/ ٣٦٤ تحقيق: محمد الأكوع الحوالي، دار النشر: مكتبة الإرشاد – الطبعة: الثانية – صنعاء – ١٩٩٥م .

(٢) معجم الفروق اللغوية المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ (المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي ص: ١٢٩، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم «الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

وَهُوَ سِيَاقُ امْتِزَاجٍ لَا يُحْسَنُ فِيهِ التَّعْبِيرُ بِالتَّفْرِيقِ وَإِنْ كَانَ الْمَقْصُودُ بِهِ التَّقْسِيمَ؛ لأن" لِكُلِّ نَوْعٍ مِنْ الْمَعْنَى نَوْعًا مِنْ اللَّفْظِ هُوَ بِهِ أَخَصُّ وَأَوْلَى، وَضُرُوبًا مِنْ الْعِبَارَةِ هُوَ بِتَأْدِيَتِهِ أَقْوَمُ، وَهُوَ فِيهِ أَجْلَى، وَمَأْخَذًا إذَا أُخِذَ مِنْهُ كَانَ إلَى الْفَهْمِ أَقْرَبَ، وَبِالْقَبُولِ أَخْلَقُ، وَكَانَ السَّمْعُ لَهُ أَوْعَى، وَالنَّفْسُ إلَيْهِ أَمْيَلَ ."(١).

وَقَدْ ذَكَرَ الْمَوَارِدِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فِي كِتَابِهِ تَحْتَ فَصْلٍ سَمَّاهُ" فَصْلٌ مِنْ أَسبَاب الْأُلْفَة الْمُؤَاخَاةُ بِالْمَوَدَّةِ"(٢).

والضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ (قُسِّمَا أَوْ فُرِّقَا) يَكُونُ رَاجِعا إِلَى الْجِسْمَيْنِ وَلِذَا جَاءَ الْفِعْلُ بِصِيغَةِ التَّثْنِيَةِ وَيَكُونُ الْمَعْنَى يَكُونُ كَرُوحٍ بَيْنَ جِسْمَيْنِ مُقَسَّمَيْنِ وَالأَوْلَى أَنْ يَعُودَ الضَّمِيرُ لِلرُّوحِ لِأَنَّهَا هِيَ مَنْ قُسِّمَتْ عَلَى الْجِسْمَيْنِ؛ وَلِذَا فَإِنِّي أَرَى أَنَّهُ لَوْ قَالَ : يَكُونُ كَرُوحٍ بَيْنَ جِسْمَيْنِ قُسِّمَتْ لَكَانَ أَصَحَّ وَأَسْلَمَ .

وَقَدْ بَحَثْتُ عَنْ ذَلِكَ عَلِّي أَجِدُ رِوَايَةً لِلْبَيْتِ بِاللَّفْظِ الَّذِي اقْتَرَحْتُهُ فَوَجَدْتُهَا فَاطْمَئِنَّ قَلْبِي لِمَا ذَهَبْتُ إِلَيْهِ(٣).

وَقَدْ دَقَّقْتُ النَّظَرَ فِي قَوْلِ الْمُهَلَّبِيّ حِينَ قَالَ :

حِـــيْنَ قَالَـــتْ دُنْيَـــا عَـــلَامَ نَهَـــارًا جِئْـتَ هَـلَّا انْتَظَـرْتَ وَقْـتَ المَسَـاءِ

ذَاكَ إِذ رُوحُهَـــا وَرُوحِـــي مِزَاجَـــانِ كَأَصْـــفَى خَمْـــرٍ بِأَعْـــذَبِ مَـــاءِ

١() دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، ص: ٥٧٥ الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

(٢) أدب الدنيا والدين لأبي الحسن البصري (ت ٤٥٠هـ) ص:١٦١.

(٣) وهذه الرواية وردت في : صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال للقاضي/حسين المهدي – ١ /٦٦٦ راجعه: عبد الحميد المهدي الناشر: ٢٠٠٩م .

وَنَظَرْتُ إِلَى مَعْنَى الْبَيْتَيْنِ فَوَجَدْتُ أَنَّ الْبَيْتَ الثَّانِيَ وَهُوَ شَاهِدُ الِامْتِزَاجِ الْمَعْنَوِيِّ هُوَ تَعْلِيلٌ لِلْبَيْتِ الْأَوَّلِ، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: إِنَّ هَذِهِ الْمَحْبُوبَةَ الَّتِي تُدْعَى (دُنْيَا) حِينَمَا قَالَتْ لَهُ لِمَاذَا أَتَيْتَ نَهَارًا وَلَمْ تَأْتِ لَيْلًا فَعَلَّلَ لِسُؤَالِهَا هَذَا بِقَوْلِهِ (ذَاكَ إِذْ رُوحُهَا وَرُوحِي) وَلَمْ أَرَ تَنَاسُبًا بَيْنَ السُؤَالِ وَتَعْلِيلِهِ؛ فَكَيْفَ تقول له لِمَ جِئْتَ نَهَارًا فَيَقُولُ: لِأَنَّ رُوحَهَا وَرُوحِي مِزَاجَانِ؟ وَعَلَيْهِ فَإِنِّي أُرَجِّحُ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ بَيْتًا مَحْذُوفًا بَيْنَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ وَيَكُونَ شَاهِدُ الِامْتِزَاجِ تَعْلِيلًا لَهُ .

وَقَدْ بَحَثْتُ عَنْ دِيوَانِ الشَّاعِرِ فَلَمْ أَجِدْهُ فَتَوَجَّهْتُ إِلى الْمَصَادِرِ لْأُمِّ فَوَجَدْتُ بُغْيَتِي فِي كِتَابِ الْأَغَانِي حَيْثُ رَوَى قَوْلَ الْمُهَلَّبِيِّ بِهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لَكِنْ بَيْنَهُمَا بَيْتٌ ثَالِثٌ حَيْثُ قَالَ [الْخَفِيفُ] :

حِينَ قَالَتْ دُنْيَا عَلَامَ نَهَارًا ... زُرْتَ هَلَّا انْتَظَرْتُ وَقْتَ الْمَسَاءِ

إِنْ تَكُنْ مُعْجَبًا بِرَأْيِكَ لَا تَفْرُ ... قَ فَاسْتَحِ يَا قَلِيلَ الْحَيَاءِ

ذَاكَ إِذْ رُوحُهَا وَرُوحِي مِزَاجَانِ ... كَأَصْفَى خَمْرٍ بِأَعْذَبِ مَاءٍ[1]

وَلَعَلَّهُ ذَكَرَ شَاهِدُ الِامْتِزَاجِ لِيُبَرِّرَ بِهِ هَذَا الْأُسْلُوبَ الَّذِي تَحَدَّثَتْ بِهِ مَعَهُ مَحْبُوبَتُهُ فَيَقُولُ مَا قَالَتْ ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّ رُوحَهَا وَرُوحِي مِزَاجَانِ . . . . .

ثُمَّ فَاقَ القَوْلُ الأولِ للْمُهَلَّبِيِّ قَوْلَ دِعْبِل مِنْ وُجُوهٍ هِيَ : فقول المهلبي هو:

---

(١) كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: د/إحسان عباس ٣٥/٢٠، الناشر: دار صادر – بيروت . كما وجدتْ الأبيات الثلاثة في كتاب: المرقصات والمطربات لابن سعيد المغربي (ت٦٨٥)، ص: ٤١.

ولكن يبقى في النفس شيء من هذه الأبيات الثلاثة، فكما ترى فيها قلق ظاهر في المعنى، ولو عثرت على القصيدة كلها التي منها هذه الأبيات الثلاثة لذهب ما في النفس منها، ولكني بحثت كثيرا فلم أجد إلا ما ذكرته.

حِـــيْنَ قَالَـــتْ دُنْيَـــا عَـــلَامَ نَهَـــارًا جِئْـتَ هَـلَّا انْتَظَـرْتَ وَقْـتَ المَسَـاءِ

ذَاكَ إِذ رُوْحهَـــا ورُوْحِـــي مِزَاجَـــانِ كَأَصْـــفَى خَمْـــرٍ بِأَعْـــذَبِ مَـــاءِ

وقول دِعْبِل هو:

أَنِّـي أُحِبُّكَ حُبًّا لَـوْ تَضَـمَّنَهُ سَـلْمَى سَـــمِيُّكِ ذَلَّ الشَّـــاهِقُ الرَّاسِـــي

حُبًّـا تَلَـبَّسَ بِالأَحْشَـاءِ فَامْتَزَجَـا تلبس المَاءِ بِالصَّهْبَاءِ فِي الكَاسِ

وهذه الوجوه هي:

أَنَّ الْمُهَلَّبِيَّ جَعَلَ الِامْتِزَاجَ وَأَثْبَتَهُ بَيْنَ الرُّوحَيْنِ صَرَاحَةً مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ، أَمَّا دِعْبِل فَقَدْ أَثْبَتَ أَوَّلًا تَلَبُّثَ الْحُبِّ بِالْأَحْشَاءِ ثُمَّ أَثْبَتَ الِامْتِزَاجُ بَعْدَهُ .

وَلَمَّا كَانَ دِعْبِل قَدْ أَثْبَتَ التَّلَبُّسَ أَوَّلًا لِلْحُبِّ فِي الْأَحْشَاءِ تَرَاهُ يَجْعَلُهُ بَيْنَ الْخَمْرِ وَالْمَاءِ أَمَّا الْمُهَلَّبِي فَلَمَّا كَانَتْ دَلَالَةُ الِامْتِزَاجِ ظَاهِرَةً فِي كَلَامِهِ تَرَاهُ يَجْعَلُ الِامْتِزَاجَ أَيْضًا فِي صُورَةِ الْمُشَبَّهِ بِهِ فَيَقُولُ : (إِذ رُوْحهَا ورُوْحِي مِزَاجَانِ) فَلَفْظُ (مِزَاجَانِ) أَقْوَى وَآكَدُ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الِامْتِزَاجِ مِنْ لَفْظِ (تَلَبَّسَ) وَمَصْدَرِهِ ، وَإِنْ كَانَ قَوِيًّا مُحْكَمًا فِي سِيَاقِهِ إِلَّا أَنَّهُ بِالْمُقَارَنَةِ بِقَوْلِ الْمُهَلَّبِي (مِزَاجَانِ) تَرَاهُ أَقَلَّ فِي الْجَوْدَةِ وَالْحُسْنِ، فَهُمَا وَإِنْ كَانَ قَدْ اشْتَرَكَا لُغَوِيًّا فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْمُخَالَطَةِ وَالْمُدَاخَلَةِ إِلَّا أَنَّنِي أَرَى أَنَّ الْخَلْطَ فِي الْمَزْجِ أَقْوَى وَأَشَدُّ.

كَمَا أَنَّ الْمُهَلَّبِيَّ جَعَلَ الِامْتِزَاجَ بَيْنَ الْأَرْوَاحِ وَهُوَ أَعْلَى مِنْ تَلَبُّسِ الْحُبِّ بِالْأَحْشَاءِ وَدَالًّا عَلَيْهِ بِالتَّبَعِيَّةِ.

كَمَا أَنَّ الْمُهَلَّبِيَّ فَاقَ قَوْلَ دِعْبِل فِي ذِكْرِ وَتَعْيِينِ نَوْعِ الْخَمْرِ وَالْمَاءِ فَقَالَ:(كَأَصْفَى خَمْرٍ

وَأَعْذَبِ مَاءٍ) وَهَذَا لَمْ نَجِدْهُ فِي بَيْتِ دِعْبِل الَّذِي أَتَى بِالصُّوَرِ الْحِسِّيَّةِ غَيْرَ مُقَيَّدَةٍ بِوَصْفٍ حَيْثُ قَالَ: (تلبس المَاءِ بِالصَّهْبَاءِ فِي الكَاسِ).

وَلَكِنْ يُحْمَدُ لِدِعْبِل شَيْءٌ عِنْدَ مُوَازَنَتِهِ بِبَيْتِ الْمُهَلَّبِيِّ وَهُوَ الْإِتْيَانُ بِالْجَارِ وَالْمَجْرُورِ (فِي الْكَأْسِ) الدَّالِّ عَلَى قُوَّةِ الِامْتِزَاجِ وَتَلَبُّسِ السَّائِلَيْنِ وَمِنْ ثَمَّ قُوَّة تَلَبُّسِ حُبِّهَا فِي أَحْشَائِهِ، وَقَدْ فَعَلَ الْعَبَّاسُ مِثْلَ دِعْبِل فَذَكَرَ الْجَارَّ وَالْمَجْرُورَ وَسَارَ عَلَى مَنْهَجِ دِعْبِل ذَاتِهِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى قُوَّةِ الِامْتِزَاجِ، لَكِنِّي جَعَلْتُ قَوْلَ الْعَبَّاسِ بَعْدَهُ لِأَنَّ قَوْلَ دِعْبِل فَاقَهُ فِي أَنَّهُ بَنَى كَلَامَهُ عَلَى أُسْلُوبٍ خَبَرِيٍّ يُفِيدُ تَحْقِيقَ هَذَا الِامْتِزَاجِ وَحُصُولَهُ، أَمَّا الْعَبَّاسُ فَبَنَاهُ عَلَى أُسْلُوبٍ إِنْشَائِيٍّ وَهُوَ التَّمَنِّي الدَّالُّ عَلَى عَدَمِ حُصُولِهِ وَلِذلك تَمَنَّتْهُ .

وَلَعَلَّ امْتِزَاجَ الرُّوحِ كَانَ حَاصِلًا بَيْنَ الْعَبَّاسِ وَمَحْبُوبَتِهِ بِالْفِعْلِ وَلَمَّا زَادَ تَمَنَّتْ مَحْبُوبَتُهُ هَذِهِ الْأَمَانِيَّ وَلَمْ تَقْصِدْ أَنْ تُكَنِّيَ بِهَا عَنْ الِامْتِزَاجِ الرُّوحِيِّ بَيْنَهُمَا بَلْ قَصَدَتْ بِالتَّمَنِّي حُصُولَهَا حَقِيقَةً وَهُوَ بَعِيدٌ مُحَالٌ حَتَّى يَحْدُثَ الْقُرْبُ الْحِسِّيُّ وَلَا يَفْتَرِقَانِ وَعَلَى ذَلِكَ يَكُونُ الْقَوْلَانِ فِي مَرْتَبَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ الْحُسْنِ .

وَقَدْ جَعَلْتُ قَوْلَ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ :

كُنَّا كَمِثْلِ الخَمْرِ كَانَ مِزاجُهَا ... بِالمَاءِ لَا رَنْقٌ وَلَا تَكْدِيْرُ

أَعْلَى مِنْ قَوْلِ بَشَّارٍ:

لَقَدْ كَانَ مَا بَيْنِي زَمَانًا وَبَيْنُهَا ... هِيَ الْمُصَافَاةُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالرَّاحِ

لِدَلَالَتِهِ عَلَى الِامْتِزَاجِ أَكْثَرَ؛ حَيْثُ إِنَّهُ عَبَّرَ بِلَفْظِ (مِزَاجِهَا) كَمَا أَتَى بِجُمْلَةٍ عَالِيَةٍ لَمْ يَأْتِ بِهَا بَشَّارٌ وَهِيَ (لَا رَنْقَ وَلَا تَكْدِيرُ)، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ يَشْتَرِكُ فِيهَا مَعَ الْمُهَلَّبِيِّ حِينَمَا قَالَ: (كَأَصْفَى خَمْرٍ وَأَعْذَبِ مَاءٍ) وَيَسْتَوِي مَعَ قول عمر قَوْلُ الْبُحْتُرِيِّ لِحُسْنِهِ مِنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ ذَاتِهَا وهو:

وَجَدْتُ نَفْسَكَ مِنْ نَفْسِي بِمَنْزِلَةٍ ... كَمَا بَيْنَ رِيحِ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ الْوَرْدِ

ثُمَّ جَعَلْتُ الْقَوْلَ الثَّانِيَ لِلْمَهْلَبِيِّ وَهُوَ:

حَتَّى إِذَا اخْتَلَطَتْ بِنَفْسِي نَفْسُهَا ... كَالخَمْرِ تُقْرَعُ بِالزُّلَالِ البَارِدِ

خَافَتْ فَقُلْتُ لَهَا اسْكُتِي إِذْ مَسَّهَا جَهْدُ الفِرَاقِ مَعَ البَلَاءِ الجاهِدِ

مَا تَشْتَكِيْنَ أَنَا الفِدَا لَكِ وَالحِمَى لَوْ أَسْتَطِيْعُ لَكُنْتُ أَوَّلُ عَائِدِ

قَالَتْ فِرَاقُكَ وَالصَّبَابَةُ وَالَّذِي أَخْشَى عَلَيْكَ مِنَ الرَّقِيْبِ الرَّاصِدِ

يَفُوقُ قَوْلَ المُسَيَّب لِأَنَّهُ دَالٌّ عَلَى امْتِزَاجِ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيهَا خَاصَّةً أَمَّا قَوْلُ المُسَيَّب فَهُوَ دَلَّ عَلَى امْتِزَاجٍ فِي غَيْرِ الْقُلُوبِ كَمَا بَيَّنْتُ وهو:

تَبِيْتُ المُلُوْكُ عَلَى عَتْبِهَا وَشَيْبَانُ إِنْ غَضِبَتْ تُعْتَبُ

وَكَالرَّاحِ بالماء أَخْلَاقُهُمْ وَأَخلَاقُهُمْ مِنْهُمَا أَعْذَبُ

وَكَالمِسْكِ رِيْحُ مَقَامَاتِهِمْ وَتربٍ قُبُوْرِهِمُ أَطْيَبُ

وَقَدْ جَعَلْتُ قَوْلَ بَشَّارٍ : (كَمَا بَيْنَ رِيحِ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ الْوَرْدِ) أَعْلَى مِنْ قَوْلِ المُسَيَّب : (وَكَالرَّاحِ بالماء أَخْلَاقُهُمْ) لِتَجْدِيدِهِ فِي صورة الامتزاج حيث أتى بِصُورَةِ مَزْجٍ حِسِّيَّةٍ جَدِيدَةٍ، فَكَمَا كَانَ لِلْمُسَيِّبِ فَضْلُ السَّبْقِ فِي الْمَعْنَى كَانَ لِبَشَّارٍ أَيْضًا فَضْلُ التَّجْدِيدِ فِي الْمَعْنَى ذَاتِهِ وَالِابْتِكَارِ فِيهِ، فَالْأَوَّلُ الِابْتِكَارُ عِنْدَهُ فِي إِيجَادِ الْمَعْنَى، وَالثَّانِي الِابْتِكَارُ عِنْدَهُ فِي تَجْدِيدِهِ وَالْإِضَافَةِ عَلَيْهِ

وتَجْدِيدُ بَشَّارٍ فِي صُورةِ الِامْتِزَاجِ بِجَعْلِهَا بَيْنَ (رِيحِ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ) لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي ذَكَرَهُ الْحَاتِمِي فَحَسْبُ، بَلْ إِنَّهُ أَتَى بِصُورَةِ مَزْجٍ طَرِيفَةٍ قَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ مِنْ الْقَصِيدَةِ ذَاتِهَا حَيْثُ قَالَ:

أَصَفراءُ ما أَنسى هَواكِ وَلا وُدّي وَلا ما مَضى بَيني وَبَينَكِ مِن وُكدِ

أَبى اللهُ إِلّا أَن يُفَرِّقَ بَينَنا وَكُنّا كَماءِ المُزنِ بِالعَسَلِ الشَهدِ[1]

(١) ديوان بشار ٢/ ٢١٨

وَبِذَلِكَ تَرَى الِامْتِزَاجَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَحْبُوبَتِهِ قَدْ وَصَلَ الْغَايَةَ حتى إنه أفصح عَنْه من بداية الْقَصِيدَةِ؛ إذَ دَلَّ عَلَيْهِ بِصُورَةِ الْمَاءِ الْمَمْزُوجِ بِالْعَسَلِ، ثُمَّ خَتَمَ الْقَصِيدَةَ بِبَيْتِ الشَّاهِدِ فدَلَّ عَلَى الامْتِزَاجِ بِرِيحِ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ، وَبِذَلِكَ تَرَى الِامْتِزَاجَ مِنْ بِدَايَةِ الْقَصِيدَةِ حَتَّى نِهَايَتِهَا.

خَاتِمَةٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمَبْعُوثِ بِالرَّحِمَاتِ وَعَلَى آلِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهَدْيِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

وَبَعْدُ،،،

فَقَدْ انْتَهَيْتُ بِفَضْلِ اللهِ وَعَوْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ مِنْ رِحْلَتِي النَّقْدِيَّةِ الْمَاتِعَةِ فِي(مَنَاقَدَةِ الْحَاتِمِيِّ ت(٣٨٨هـ) فِي امْتِزَاجِ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيهَا فِي كِتَابِهِ حِلْيَةُ الْمُحَاضَرَةِ [دِرَاسَةٌ بَلَاغِيَّةٌ فِي نَقْدِ النَّقْدِ])، وَقَدْ خَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ بِنَتَائِجَ عِدَّةٍ أَجْمِلُهَا فِيمَا يَلِي :

أَنَّ عَدَدَ الْأَحْكَامِ النَّقْدِيَّةِ الْوَارِدَةِ فِي هَذَا الْمَعْنَى مِنْ النُّقَّادِ الثَّلَاثَةِ هُوَ تسعةَ عشرَ(١٩) حُكْمًا نَقْدِيًّا، وَقَدْ وَافَقَتْهُمْ فِي ثلاثة عشر(١٣) مِنْهَا، وَخَالَفْتُ بَعْضَهُمْ فِي سِتَّةٍ (٦) مِنْهَا .

أَنَّ فِكْرَ الْحَاتِمِيِّ النَّقْدِيِّ جَمَعَ بَيْنَ النَّقْدِ الْكُلِّيِّ وَالْجُزْئِيِّ فِي هَذَا الْمَعْنَى فِي كِتَابِهِ.

اتَّسَمَ نَقْدُ ابْنِ أَبِي فِنْنٍ بِكَوْنِهِ كُلِّيًّا، بَيْنَمَا اتَّسَمَ نَقْدُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِكَوْنِهِ نَقْدًا جُزْئِيًّا دَقِيقًا.

أَنَّ الْحَاتِمِيَّ أَصَابَ فِي جَمْعِ هَذِهِ الشَّوَاهِدِ تَحْتَ هَذَا الْمَعْنَى إِصَابَةً حَسَنَةً تَدُلُّ عَلَى عَقْلِهِ الْوَاعِي، وَنَقْدِهِ الْعَالِي، وَنَظْرَتِهِ الْبَصِيرَةِ .

أَنَّ الْحَاتِمِيَّ قَدْ أَصَابَ أَيْضًا فِي وَضْعِهِ لِعُنْوَانِ هَذَا الْمَعْنَى؛ فَبِالنَّظَرِ لِلشَّوَاهِدِ الَّتِي سَاقَهَا فِيهِ نُدْرِكُ قُوَّةَ تَرْكِيزِهِ، وَعَقْلِهِ النَّابِهِ فِي تَنَاسُبِ الشَّوَاهِدِ مَعَ عُنْوَانِهَا الَّذِي وُضِعَتْ تَحْتَهُ أَيُّ مُنَاسَبَةٍ، وَلِي أَنْ أَقُولَ: إِنَّ هَذَا الِامْتِزَاجَ الَّذِي سَاقَ الْأَبْيَاتِ مِنْ أَجْلِهِ قَدْ حَدَثَ أَيْضًا بَيْنَ الشَّوَاهِدِ وَبَيْنَ عُنْوَانِهَا هَذَا.

أَنَّ الْحَاتِمِيَّ كَانَ دَقِيقًا جِدًّا فِي عَنْوَنَةِ هَذَا الْمَعْنَى حَيْثُ سَمَّاهُ (أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي امْتِزَاجِ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيهَا) .

أَنَّ الْأَسَالِيبَ الْبَلَاغِيَّةَ الَّتِي كَانَتْ عِمَادَ الشَّوَاهِدِ فِي بِنَاءِ الْمَعْنَى كَانَتْ كُلُّهَا قَائِمَةً عَلَى وُجُودِ طَرَفَيْنِ مُتَرَابِطَيْنِ وَمُتَعَلِّقَيْنِ بِبَعْضِهِمَا لَفْظًا وَمَعْنًى وَهَذَا يُؤَكِّدُ مَعْنَى الِامْتِزَاجِ بَيْنَ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيهَا وَهَذِهِ الْأَسَالِيبُ هِيَ :

التَّشْبِيهُ الْمُرَكَّبُ وَالتَّشْبِيهُ التَّمْثِيلِيُّ، فَتَرَى فِي التَّشْبِيهِ يَأْتِي بِهَيْئَةِ الْمُشَبَّهِ وَالْمُشَبَّهِ بِهِ؛ فَطَرَفَا التَّشْبِيهِ مُرَكَّبَانِ مِنْ عِدَّةِ أَشْيَاءَ قَدْ امْتَزَجَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ حَتَّى صَارَتْ هَيْئَةً مُرَكَّبَةً، وَكَذَلِكَ وَجْهُ الشَّبَهِ..

التَّمَنِّي، حيث تَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ خَمْرًا لَهَا وَأَنْ تَكُونَ هِيَ مِنْ مَاءٍ مُزْنٍ.

الإِرْصَادِ، حيث تَرَى جُمْلَةَ الْإِرْصَادِ الدَّالَّةِ عَلَى آخِرِ الْكَلَامِ وَآخِرِهِ مُتَرَابِطَتَينِ. وَكَذَلِكَ فِي اللَّفِّ وَالنَّشْرِ.

اللَّفِّ وَالنَّشْرِ.

أَنَّ بَلَاغَةَ اللَّفِّ وَالنَّشْرِ هُنَا وَفِي كُلِّ شَاهِدٍ فِيهِ هَذَا الْأُسْلُوبُ بَيَانُ قِيمَةِ إِرْجَاعِ الشَّيْءِ لِمَا هُوَ لَهُ، وَبَيَانُ فَضْلِهِ عَلَى غَيْرِهِ وَقُوَّةِ أَثَرِهِ، وَلَا يُظَنُّ أَنَّ سِرَّهُ يَكْمُنُ فِي أَنَّ ذِكْرَ اللَّفِّ مَطْوِيًّا يَجْعَلُ النَّفْسَ تَتَرَقَّبُ وَتَتَطَلَّعُ إِلَى النَّشْرِ كَمَا قَالَ الْبَلَاغِيُّونَ؛ لِأَنَّ النَّشْرَ الَّذِي فِي الشَّطْرِ الثَّانِي هُوَ الَّذِي حَكَمَ بِأَنَّ هُنَاكَ لَفًّا وَطَيًّا فِي الشَّطْرِ الْأَوَّلِ، وَلَوْلَاهُ مَا وُجِدَ الْأُسْلُوبُ؛ وَلِهَذَا فَقَبْلَ وُجُودِ النَّشْرِ لَا تَوَقُّعَ لَهُ أَصْلًا؛ لِتَمَامِ الْكَلَامِ بِالْجُمْلَةِ الَّتِي حَوَت اللَّف، فَإِذَا قَالَ شَيْئًا آخَرَ غَيْرَ جُمْلَةِ النَّشْرِ لَكَانَ حَسَنًا أَيْضًا.

أَنَّ أَغْلَبَ الشُّعَرَاءِ اخْتَارُوا أَنْ تَكُونَ صُورَةُ امْتِزَاجِ الْخَمْرِ بِالْمَاءِ الْحِسِّيَّةِ خَاصَّةً دُونَ غَيْرِهَا مِنْ الصُّوَرِ الدَّالَّةِ عَلَى قُوَّةِ الِامْتِزَاجِ؛ لِأَنَّ الْخَمْرَ تَذْهَبُ بِالْعَقْلِ وَتُؤَثِّرُ عَلَى جَمِيعِ الْجَوَارِحِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ حُبِّ الطَّرَفَيْنِ وَقُوَّةِ أَثَرِهِ؛ وَلِأَنَّ الْمَاءَ يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ مُطَاوَعَةِ الطَّرَفِ الْمُشَبَّهِ بِهَا لِمَحْبُوبِهِ، وَأَنَّهُ كَالْمَاءِ الْعَذْبِ فِي السَّلَاسَةِ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ انْقِيَادِهِ لِلْهَوَى.

أَنَّ امْتِزَاجَ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيَهَا لَا يَكُونُ بَيْنَ الْمُحِبِّينَ فَحَسْبُ بَلْ بَيْنَ كُلِّ الْأَصْدِقَاءِ فقد " قِيلَ لِبَعْضِهِمْ صِفْ لَنَا الصِّدِّيقَ قَالَ أَنْتَ هُوَ وَهُوَ أَنْتَ إِلَّا أَنَّكُمَا جِسْمَانِ بَيْنَكُمَا رُوحٌ"(١).

أَنَّ أَدَلَّ الشَّوَاهِدِ عَلَى عُنْوَانِ الْبَابِ هُوَ قَوْلُ عُمَرِ بن أبي رَبِيْعَةَ قَوْلَهُ :

كُنَّا كَمِثْلِ الخَمْرِ كَانَ مِزاجُهَا بِالمَاءِ لَا رَنْقٌ وَلَا تَكْدِيْرُ

و قَوْلُ أَبِي عُيَيْنَةَ المُهَلَّبِيّ الَّذِي ذَكَرَ صَفَاءَ الْخَمْرِ وَعُذُوبَةَ الْمَاءِ لِيَدُلَّ عَلَى الِامْتِزَاجِ وَالتَّصَافِي مَعًا .

إِذْ قَالَ [الخفيف]:

حِيْنَ قَالَتْ دُنْيَا عَلَامَ نَهَارًا جِئْتَ هَلَّا انْتَظَرْتَ وَقْتَ المَسَاءِ

ذَاكَ إِذ رُوْحهَا ورُوْحِي مِزَاجَانِ كَأَصْفَى خَمْرٍ بِأَعْذَبِ مَاءِ

وقَوْلُ الْبُحْتُرِيّ :

وَجَدْتُ نَفْسَكِ مِنْ نَفْسِي بِمَنْزِلَةٍ هِيَ الْمُصَافَاةُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالرَّاحِ

أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ كَانَ دَقِيقًا فِي رَدِّهِ، وَمُحْسِنًا فِي الِاسْتِدْرَاكِ عَلَى ابْنِ أَبِي فَنَنٍ حِينَمَا قَالَ لَهُ: وَأَيْنَ انْتَ مِنْ سَيِّدِ الشُّعَرَاءِ فَقَالَ لَهُ إِذَنْ قُلْ سَيِّدُ الشُّعَرَاءِ فِي هَذَا الْمَعْنَى فَأَرَادَ عَبْدُ اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَ الْمُسَيَّبَ سَيِّدَ الشُّعَرَاءِ فِي هَذَا الْمَعْنَى فَحَسْبُ، وَرَدُّهُ كَانَ عَلَى تَعْمِيمِ حُكْمِ ابْنِ أَبِي فَنَنٍ بِأَنَّهُ سَيِّدُهُمْ عَامَّةً، فَأَحْسَنَ عَبْدُ اللَّهِ فِي تَقْيِيدِ الْحُكْمِ النَّقْدِيِّ بِهَذَا الْمَعْنَى لِوُجُودِ شُعَرَاءَ غَيْرِهِ أَشْعَرَ مِنْ المسيب فِي مَعَانٍ أُخْرَى.

---

(١) غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة لأبي إسحق الوطواط (ت ٧١٨هـ) ص: ٥٧٤ ضبطه وصححه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: ابراهيم شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

أَنَّ أَصْلَ الْمَعْنَى لَا يُشْتَرَطُ فيه أَنْ يَكُونَ هُوَ الْغَرَضُ الرَّئِيسُ فِي الْقَوْلِ الْأَوَّلِ وَإِنْ أَتَى غَرَضٌ رَئِيسٌ عِنْدَ مَنْ أَخَذَ عَنْهُ، وَقَدْ رَأَيْنَا ذَلِكَ فِي بَيْتِ الْمُسَيَّبِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الْمَعْنَى فِي هَذَا الْبَابِ وَهُوَ (امْتِزَاجُ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيهَا) وَبَعْدَ النَّظَرِ فيه وَجَدْنَا أَنَّ الِامْتِزَاجَ لَمْ يَكُنْ غَرَضُهُ الرَّئِيسُ، وَإِنَّمَا قَصَدَ الِامْتِزَاجَ الْمُطْلَقَ أَمَّا غَرَضُهُ الرَّئِيسُ فَهُوَ مديح بني شيبان بتَشْبِيهُ جَمَالِ أَخْلَاقِ بَنِي شَيْبَانَ بِجَمَالِ الْخَمْرِ الْمَمْزُوجَةِ بِالشَّهْدِ فَأَتَتْ صُورَةُ الْمُشَبَّهِ بِهِ لِتُأَكِّدَ جَمَالًا حَاصِلًا لَا امْتِزَاجًا كائنا كَمَا رَأَيْنَا ، وَقَدْ أَخَذَ الشُّعَرَاءُ بَعْدَهُ هَذِهِ اللَّقْطَةَ فِي صُورَةِ وَهَيْئَةُ الْمُشَبَّهِ بِهِ فَأَتَوْا بِهَا لِيُشَبِّهُوا بِهَا امْتِزَاجًا مَعْنَوِيًّا فِي الْأَرْوَاحِ وَالنُّفُوسِ، فَأَصْبَحَتْ صُورَةُ الْمَزْجِ بَيْنَ سَائِلَيْنِ سَوَاءٌ أَكَانَ الْمَاءَ أَم الشَّهْدَ مَعَ الْخَمْرِ هِيَ صُورَةُ الْمُشَبَّهِ بِهِ فِي تَصْوِيرِ كُلِّ امْتِزَاجٍ مَعْنَوَى كَمَا رَأَيْنَا، وَلَمْ يَخْرُجْ عَلَى هَذَا النَّسَقِ إِلَّا بَشَّارٌ حِينَمَا أَتَى بِشَيْئَيْنِ آخَرَيْنِ بَيْنَهُمَا امْتِزَاجٌ غَيْرِ الْمَاءِ وَالْخَمْرِ وَهُمَا (رِيحُ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ الْوَرْدِ) وَقَدْ أَحْسَنَ مَا شَاءَ مِنْ الْإِحْسَانِ فِي هَذَا الْخُرُوجِ وَالتَّجْدِيدِ كَمَا ذَكَرْتُ .

أَنَّ هَذَا الْمَعْنَى وَهُوَ (امْتِزَاجُ الْقُلُوبِ وتصافيها) بَنَاهُ الشُّعَرَاءُ جَمِيعُهُمْ عَلَى أُسْلُوبِ التَّشْبِيهِ الْمُرَكَّبِ الْحَسَنِ الدَّالِّ دَلَالَةً حَسَنَةً عَلَى هَذَا الِامْتِزَاجِ الْمَعْنَوِيِّ، وَمِنْ ثَمَّ يَكُونُ هَذَا التَّشْبِيهُ قَدْ أَخْرَجَ مَا لَا يُدْرَكُ بِالْحِسِّ إِلَى مَا يُدْرَكُ بِهِ(١) حِينَمَا صَوَّرَ امْتِزَاجَ الْأَرْوَاحِ بِامْتِزَاجِ الْخَمْرِ وَالْمَاءِ أَوْ كَجَعْلِ رُوحَيْنِ كَرُوحٍ وَاحِدَةٍ .

أَنَّ صُوَرَ الِامْتِزَاجِ الْحِسِّيَّةَ تَرَكَّزَتْ عِنْدَ الشُّعَرَاءِ فِي خمسةِ صُوَرٍ هِيَ :

---

(١) كما قال الرماني في النكت، ومن بعده المرزوقي في شرح الحماسة. راجع:
النكت في إعجاز القرآن ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني (ت ٣٨٤هـ) تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام ص: ٨٢ الناشر: دار المعارف بمصر الطبعة: الثالثة، ١٩٧٦م.
شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، تحقيق ونشره: أحمد أمين، والشيخ عبد السلام هارون، ص:٦٣ ،الناشر: مطبعة دار الجيل – بيروت، الطبعة/أولى ١٤١١هـ =١٩٩١م).

صُورَةُ امْتِزَاجِ الْخَمْرِ بِالْمَاءِ.

صُورَةُ امْتِزَاجِ الْخَمْر بِالْعَسَلِ.

صُورَةُ امْتِزَاجِ الخمر بالمسك

صُورَةُ امْتِزَاجِ الْعَسَلِ بِالْمَاءِ

صُورَةُ امْتِزَاجِ الْمِسْكِ بِالْعَنْبَرِ.

وَهَذِهِ الصُّوَرُ كُلُّهَا حَسَنَةٌ جَيِّدَةٌ غَيْرَ أَنَّ صُورَةَ امْتِزَاجِ الْخَمْرِ بِالْمَاءِ أَعْلَاهَا فِي هَذَا الْمَعْنَى خَاصَّةً وِفِي سِيَاقِ الْحُبِّ عَامَّة، ثم صورة امتزاج الْخَمْرِ بِالْعَسَلِ، وَامْتِزَاجِ الْمِسْكِ بِالْعَنْبَرِ؛ لِأَنَّهَا تُوحِي بِجَمَالِ هَذَا الْحُبِّ فِي الْقُلُوبِ وَتَلَذُّذِ الْمُحِبِّينَ بِهِ.

وَتَبْقَى لِكُلِّ صُورَةٍ قِيمَتُهَا الْبَلَاغِيَّةُ، وَسِرُّهَا الْبَلَاغِيُّ، وَإِيحَاءَاتُهَا النَّفْسِيَّةُ والدَّلَالِيَّةُ فِي سِيَاقِهَا، وَهُنَا تَتَفَاوَتُ جَمَالُ الصُّوَرِ وَتَتَبَايَنُ بِتَبَايُنِ السِّيَاقَاتِ وَالْمَقَامَات؛ فَلِكُلٍّ مِنْهَا مَذَاقٌ خَاصٌّ وَسِرٌّ تَخْتَصُّ بِهِ؛ فَصُورَةُ امْتِزَاجِ الْخَمْرِ بِالْمَاءِ حَسَنَةٌ؛ لِأَنَّ فِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْمَاءَ امْتَزَجَ بِالْخَمْرِ حَتَّى لَا أَثَرَ لِوُجُودِهِ، فَيَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى قُوَّةِ الِامْتِزَاجِ وَأَنَّهُ وَصَلَ لِدَرَجَةِ أَنَّ الِاثْنَيْنِ صَارَا شَيْئًا وَاحِدًا؛ لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ قَالُوا إِنَّ الْمَاءَ يَأْخُذُ خَصَائِصَ الْمَادَّةِ الَّتِي تُوضَعُ فِيهِ، وَهَذَا كُلُّهُ حَسَنٌ.

فالسِّيَاقُ هُوَ الحَكَمُ الذي يَقْتَضِي صُوَرَةً مُعَيَّنَةً مِنْ هَذِهِ الصُّوَرِ دُونَ أُخْرَى، فَسِيَاقِ الْحُبِّ وَالْهَوَى يَصْطَفِي صُوَرَهُ مُعَيَّنَةً مِنْ بَيْنِ هَذِهِ الصُّوَرِ تَكُونُ أَشَدَّ مُنَاسَبَةً لَهُ مِنْ غَيْرِهَا، وَسِيَاقُ الْمَدِيحِ أَيْضًا يَقْتَضِي صُوَرَةً مُعَيَّنَةً.

وَصُوَرَة امْتِزَاجَ الشَّهْدِ بِالْخَمْرِ تَصِحُّ فِي السِّيَاقَيْنِ وَلِكُلِّ تَوْجِيه وَسِرٌ.

وَقَدْ تَحَدَّثَ الْإِمَامُ عَبْدُ الْقَاهِرِ عَنْ امْتِزَاجِ الْقُلُوبِ عِنْدَ حَدِيثِهِ عَنْ تَشْبِيهِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – بِمِلْحِ الْأَنَامِ ، الَّذِي هُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ– صلى الله عليه وسلم – :"مَثَلُ أَصْحَابِي كَمَثَلِ الْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ ، لَا يَصْلُحُ الطَّعَامُ إِلَّا بِالْمِلْحِ » فَقَالَ : " وَيَنْطَوِي هَذَا التَّشْبِيهُ عَلَى وُجُوبِ مُوَالَاةِ الصَّحَابَةِ – رضي الله

عنهم – ، وَأَنْ تُمْزَجَ مَحَبَّتُهُمْ بِالْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ، كَمَا يُمْزَجُ الْمِلْحُ بِالطَّعَامِ، فَبِاتِّحَادِهِ بِهِ وَمُدَاخَلَتِهِ لِأَجْزَائِهِ يَطِيبُ طَعْمُهُ، وَتَذْهَبُ عَنْهُ وَخَامَتُهُ ، وَيَصِيرُ نَافِعًا مُغَذِّيًا ، كَذَلِكَ بِمَحَبَّةِ الصَّحَابَةِ – رضي الله عنهم – تَصْلُحُ الِاعْتِقَادَاتُ، وَتَنْتَفِي عَنْهَا الْأَوْصَافُ الْمَذْمُومَةُ .... " [1] وَبِذَلِكَ يَكُونُ الْإِمَامُ عَبْدُ الْقَاهِرِ قَدْ نَبَّهَ عَلَى صُورَةٍ سادسةٍ مِنْ صُوَرِ امْتِزَاجِ الْقُلُوبِ هِيَ صُورَةُ امْتِزَاجِ الْمِلْحِ بِالطَّعَامِ.

جَاءَتْ شَوَاهِدُ هَذَا الْمَعْنَى فِي سَبْعِ مَرَاتِب مِنْ الْحُسْنِ وَالْجَوْدَةِ فَأَعْلَاهَا مَرْتَبَةً وَأَحْسَنُهَا هُوَ قَوْلُ نَطَّاحَةِ الْكَاتِبِ:

هُمُومُ أُنَاسٍ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ ... وَهَمِّيَ فِي الدُّنيَا صَدِيقٌ مسَاعِدُ

نَكُوْنُ كَرُوْحٍ بَيْنَ جِسْمَيْنِ فُرِّقَا ... فَجِسْمَاهُمَا جِسْمَانِ وَالرُّوْحُ وَاحِدُ

وَأَقَلُّهَا قَوْلُ المُسَيَّب ابْنِ عَلَسٍ:

تَبِيْتُ المُلُوْكُ عَلَى عَتْبِهَا ... وَشَيْبَانُ إِنْ غَضِبَتْ تُعْتَبُ

وَكَالرَّاحِ بالماء أَخْلَاقُهُمْ ... وَأَخلَاقُهُمْ مِنْهُمَا أَعْذَبُ

وَكَالمِسْكِ رِيْحُ مَقَامَاتِهِمْ ... وَتربٍ قُبُوْرِهِمُ أَطْيَبُ

التَّوْصِيَاتُ :

هذا، وَكَمَا خَرَجْتُ مِنْ الدِّرَاسَةِ بِبَعْضِ النَّتَائِجِ خَرَجْتُ أيضا بِبَعْضِ التَّوْصِيَاتِ أُوْصِيَ الْبَاحِثِينَ بِدِرَاسَتِهَا وَهِيَ :

الْبَحْثُ عَنْ أَحْكَامٍ أُخْرَى لِابْنِ أَبِي فَنْنٍ وَكَذَلِكَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَالْوُقُوفُ عِنْدَ أَسْرَارِهَا وَوُجُوهِ الْحُسْنِ فِيهَا حتى يتبين منهجهما وفكرهما النقدي .

١() أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني الدار (ت ٤٧١هـ) ص: ٧٠، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.

دِرَاسَةُ الْفِكْرِ النَّقْدِيِّ لَدَى الْحَاتِمِيِّ وَمُقَارَنَتُهُ بِشِعْرِ الْبُحْتُرِي لِلْوُقُوفِ عَلَى أَوْجُهِ قِلَّةِ إِحْسَانِهِ فِي نَظَرِ الْحَاتِمِيِّ .

دِرَاسَةُ بَقِيَّةِ الْمَعَانِي الَّتِي وَرَدَتْ فِي كِتَابِ الْحَاتِمِيِّ دِرَاسَةً شَافِيَةً فِي نَقْدِ النَّقْدِ، وَهَذَا مَشْرُوعٌ بَحْثِيٌّ عَظِيمُ الْقَدْرِ.

الْبَحْثُ عَنْ بَقِيَّةِ الشَّوَاهِدِ الَّتِي أَتَتْ فِي هَذَا الْمَعْنَى حَتَّى عَهْدِ الْحَاتِمِيِّ وَجَمْعِهَا وَاسْتِقْصَائِهَا وَالنَّظَرُ فِيهَا وَمُقَارَنَتِهَا بِمَا ذَكَرَهُ الْحَاتِمِيُّ وَاكْتَفَى بِهِ مِنْهَا وَبِأَحْكَامِهِ النَّقْدِيَّةِ عَلَيْهَا الْكُلِّيَّةِ وَالْجُزْئِيَّةِ .

النَّظَرُ فِي شَوَاهِدِ هَذَا الْمَعْنَى عِنْدَ الْآمِدِيِّ فِي الْمُوَازَنَةِ وَالَّتِي جَاءَتْ تَحْتَ عُنْوَانِ (مَا قِيلَ فِي ائْتِلَافِ الْمُحِبِّينَ) وَمُنَاقَدَةِ الْآمِدِيِّ فِي كُلِّ حُكْمٍ نَقْدِيٍّ أَصْدَرَهُ عَلَى الشَّوَاهِدِ.

الْمُوَازَنَةُ بَيْنَ الْمَعْنَيَيْنِ عِنْدَ الْآمِدِيِّ وَالْحَاتِمِيِّ مِنْ حَيْثُ أَحْكَامُهُمَا النَّقْدِيَّةُ عَلَى الشَّوَاهِدِ وَالْمُوَازَنَةِ بَيْنَ مَا اسْتَحْسَنَهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا .

النَّظَرُ فِي شَوَاهِدِ هَذَا الْمَعْنَى عِنْدَ الشَّرِيفِ الْمُرْتَضَى فِي أَمَالِيهِ وَمُنَاقَدَةُ ومناقشة أَحْكَامِهِ النَّقْدِيَّةِ مناقشة جادة خَاصَّةً مَا يَخُصُّ التَّنَاصَّ وَالْأَخْذَ وَمَا اسْتَحْسَنَهُ وَاسْتَلْطَفَهُ مِنْهَا .

الْمُوَازَنَةُ فِي هَذَا الْمَعْنَى بَيْنَ الْآمِدِيِّ وَالْحَاتِمِي وَالشَّرِيفِ الْمُرْتَضِي .

الْبَحْثُ عَنْ صُوَرٍ أُخْرَى لِلِامْتِزَاجِ الْحِسِّيِّ الَّتِي هِيَ كِنَايَةٌ عَنْ الِامْتِزَاجِ الْمَعْنَوَى فِي الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ غَيْرِ الَّتِي ذَكَرَهَا الشُّعَرَاءُ هُنَا، أَوْ صُوَرِ امْتِزَاجٍ حِسِّيَّةٍ كُنِيَ بِهَا عَنْ شيءٍ غَيْرِ الِامْتِزَاجِ الْمَعْنَوِي، وَالْوُقُوفُ عِنْدَهَا، وَالْمُوَازَنَةُ بَيْنَهَا مُوَازَنَةً تُبْرِزُ جَمَالَ حُسْنِهَا، وَتَكْشِفُ عَنْ مَرَاتِبِهَا فِي ذَاكَ الْحُسْنِ.

دِرَاسَةُ شواهد أُسْلُوبِ اللَّفِّ وَالنَّشْرِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْبَلَاغِيُّونَ فِي كُتُبِهِمْ لِلْوُقُوفِ عَلَى سر بَلَاغَةِ الْأُسْلُوبُ فِيهَا، وبيان هَلْ فيها تَطَلُّعٌ وَتَرَقُّب إِلَى ذِكْرِ النَّشْرِ فِي كُلِّ شَاهِدٍ أَوْ لَا، وَإِذَا كَانَ هُنَاكَ تَطَلُّعٌ فَمَا وَجْهُهُ فِي الشَّاهِدِ وَمَا مَبْعَثُهُ ؟ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ تَطَلُّعٌ فَمَا

سِرُّ الْأُسْلُوبِ وَقِيمَتُهُ فِي مَقَامِهِ.

دِرَاسَةُ الْأَحْكَامِ النَّقْدِيَّةِ الْوَارِدَةِ فِي كِتَابِ (أَحْسَنِ مَا سَمِعْتُ) لِأَبِي مَنْصُورٍ الثَّعَالِبِيِّ؛ حيث كَانَ مَنْهَجُهُ فِيهِ مِثْلَ مَنْهَجِ الْحَاتِمِيِّ الذي جَمَعَ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي مَعَانٍ كَثِيرَةٍ، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ جَدِيرٌ بِالْبَحْثِ وَالدَّرْسِ لِلْوُقُوفِ عَلَى أَوْجُهِ أَحْكَامِهِ النَّقْدِيَّةِ الَّتِي أَصْدَرَهَا وَالْكَشْفِ عَنْ صِحَّتِهَا مِنْ عَدَمِهَا.

وَخِتَامًا فَإِنِّي أَتَوَجَّهُ إِلَى اَللَّهِ – عَزَّ وَجَلَّ ضَارِعَةً أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنِّي هَذَا اَلْعَمَلَ ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ خَالِصًا لِوَجْهِهِ اَلْكَرِيمِ، وَأَنْ يَنْفَعَ بِهِ فِي حَيَاتِي وَبَعْدَ مَمَاتِي، وَلَسْتُ أَزْعُمُ أَنِّي قَدْ بَلَغْتُ اَلْمَدَى؛ فَالْكَمَالُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ مِنْ تَوْفِيقٍ فَمِنْ اَللَّهِ – عَزَّ وَجَلَّ – ، وَإِنْ كَانَ مِنْ خَطَأٍ أَوْ زَلَلٍ فَمِنِي ؛ إِذْ أَنَا بِالتَّقْصِيرِ مَعْلُومٌ، وَبِالْعَجْزِ مَفْهُومٌ، وَمِثْلِي عَنْ اَلْخَطَأِ غَيْرُ مَعْصُومٍ.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَن اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ اَلْعَالَمِينَ

وَصَلَّى اللَّهُمَّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

إعداد

أماني السيد عبدالفتاح إسماعيل

مُدَرِّسُ الْبَلَاغَةِ وَالنَّقْدِ بِكُلِّيَّةِ

الدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ لِلْبَنَاتِ بِسُوهَاجِ

فهرس المراجع

- أحسن ما سمعت لأبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) وضع حواشيه: خليل عمران المنصور الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.
- الأخلاق الزكية في آداب الطالب المرضية لأحمد الأهدل الناشر: بدون ناشر (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض) الطبعة: الثالثة، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م.
- الآداب الشرعية والمنح المرعية لمحمد بن مفلح (ت ٧٦٣هـ) الناشر: عالم الكتب.
- أدب الدنيا والدين لأبي الحسن البصري البغدادي، (ت ٤٥٠هـ) الناشر: دار مكتبة الحياة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٩٨٦م.
- أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني الدار (ت ٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.
- الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم لابن عربشاه عصام الدين الحنفي (ت: ٩٤٣ هـ) حققه وعلق عليه: عبد الحميد هنداوي) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- الأعلام للزركلي الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
- أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) للشريف المرتضى (٣٥٥ – ٤٣٦ هـ) ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه)، الطبعة: الأولى، ١٣٧٣ هـ – ١٩٥٤ م.
- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز لبديع الزمان سعيد النورسي (ت ١٣٧٩هـ)

بتصرف يسير، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي الناشر: شركة سوزلر للنشر – القاهرة. الطبعة: الثالثة ٢٠٠٢م.

- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب لابن ماكولا (ت ٤٧٥ هـ) تحقيق: عبد الرحمن اليماني، [ت ١٣٨٦هـ] طبع دائرة المعارف العثمانية، الهند، الطبعة الأولى (١٣٨١ هـ =١٩٦١ م) .
- الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي (ت نحو ٤٠٠هـ)، الناشر: المكتبة العنصرية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ.
- الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ط/أولى ٢٠٠٣– ١٤٢٤هـ.
- البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج للولوي الناشر: دار ابن الجوزي – الرياض الطبعة: الأولى ١٤٢٦ – ١٤٣٦ هـ.
- البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد أحمد بدوي، الدكتور حامد عبد المجيد، مراجعة: الأستاذ إبراهيم مصطفى ، الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – وزارة الثقافة والإرشاد القومي – الإقليم الجنوبي – الإدارة العامة للثقافة.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ١/ ٨٧ وما بعدها، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: المكتبة العصرية – لبنان / صيدا.
- البلاغة العربية المؤلف: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت ١٤٢٥هـ) الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.

- البيان والتبيين للجاحظ (ت ٢٥٥هـ) الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت عام النشر: ١٤٢٣ هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين ،من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت عام النشر: (١٣٨٥ – ١٤٢٢ هـ) = ١٩٦٥ – ٢٠٠١ م.
- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) تحقيق: محمد علي النجار، مراجعة: علي محمد البجاوي الناشر: المكتبة العلمية، بيروت – لبنان.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد للطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.
- التذكرة الحمدونية لبهاء الدين البغدادي (ت ٥٦٢هـ) ، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ.
- تزيين الأسواق في أخبار العشاق للأنطاكي المعروف بالأكمه (ت ١٠٠٨هـ) .
- التشبيهات لأبي اسحاق بن أبي عون (ت ٣٢٢هـ) .
- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم لأبي بكر الدمشقي (ت ٨٤٢هـ) تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الأولى– ١٩٩٣م
- جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر ١/ ٢٦٦، جمعها وقرأها وقدم لها: الدكتور/ عادل سليمان جمال، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة – جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م.

- حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢ هـ) [ومختصر السعد هو شرح تلخيص مفتاح العلوم لجلال الدين القزويني] المؤلف: محمد بن عرفة الدسوقي المحقق: عبد الحميد هنداوي الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.
- حلية المحاضرة في صناعة الشعر لابن المظفر الحاتمي ، تحقيق: د. جعفر الكتابي دار الرشيد للنشر – العراق ١٩٧٩م .
- حماسة الظرفاء، من أشعار المحدثين والقدماء للزوزني (ت ٤٣١هـ).
- حماسة القرشي (المتوفى: ١٢٩٩هـ) تحقيق: خير الدين محمود قبلاوي،الناشر: وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، دمشق، الطبعة: (بدون)، ١٩٩٥ م.
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية للدكتور/عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (ت ١٤٢٩هـ) الناشر: مكتبة وهبة الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.
- الدر الفريد في بيت القصيد للمستعصمي (٦٣٩ هـ – ٧١٠ هـ) ٩/ ١٢٥، تحقيق: الدكتور كامل سلمان الجبوري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م.
- الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي لجمال الدين المعروف بـ«ابن المبرد» (ت ٩٠٩ هـ)، تحقيق: د. رضوان مختار بن غربية، الناشر: دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة – السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م.
- دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

- دلالات التراكيب دراسة بلاغية ل د.محمد ابو موسى ، الناشر : مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة : الثانية ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.
- ديوان الأخطل شرح: مهدي محمد ناصر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط/ثانية ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
- ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، الطبعة : الثالثة، الناشر: دار المعارف.
- ديوان بشار بن برد، جمع وتحقيق وشرح: الشيخ /الطاهر بن عاشور ، الناشر: دار الثقافة – الجزائر ٢٠٠٧م.
- ديوان دِعْبَل الْخُزَاعِيّ، تحقيق: عبد الصاحب الخزرجي الناشر : مطبعة الآداب – ١٣٨٢هـ . ١٩٦٢م.
- ديوان العباس بن الأحنف، شرح وتحقيق: عاتكة الخزرجي، ١٥٦، الناشر: مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م.
- ديوان الْمُسَيَّب بن عَلَس ، جمع وتحقيق د/ عبد الحمن محمد الوصيفي، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
- ديوان المعاني لأبي هلال العسكري الناشر: دار الجيل – بيروت.
- الرسالة الشافية (مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) لشيخ البلاغيين وإمام المتذوقين عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام الناشر: دار المعارف بمصر الطبعة: الثالثة، ١٩٧٦م.
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام لأحمد السهيلي (ت ٥٨١هـ) تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

- روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم ،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الطبعة: ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣ م.
- الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر الأنباري (ت ٣٢٨هـ) تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م.
- زهر الآداب وثمر الألباب لإبراهيم الحُصري القيرواني (ت ٤٥٣هـ)، الناشر: دار الجيل، بيروت.
- السلوك في طبقات العلماء والملوك المؤلف: محمد بن يعقوب اليمني (ت ٧٣٢هـ) تحقيق: محمد الأكوع الحوالي، دار النشر: مكتبة الإرشاد – الطبعة: الثانية – صنعاء – ١٩٩٥م .
- سمط اللآلي في شرح أمالي القالي [هو كتاب شرح أمالي القالي / لأبي عبيد البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ)، تحقيق: عبد العزيز الميمني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- شرح ديوان الحماسة للمرزوقي تحقيق ونشر: أحمد أمين، والشيخ عبد السلام هارون، الناشر: مطبعة دار الجيل – بيروت، الطبعة/أولى ١٤١١هـ =١٩٩١م).
- شرح مقامات الحريري لأبي عباس الشَّريشي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
- شعر أبي عيينة المُهَلَّبِيّ للدكتور/ عبد القادر الرباعي .
- الشعر والشعراء لابن قتيبة، الناشر: دار الحديث، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٣هـ.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (ت ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

- صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) – ٢/٦٧٠، دمشق الطبعة: الخامسة، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م.
- صحيح مسلم (٢٠٦ – ٢٦١ هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة ، ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها (عام النشر: ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م.
- صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال للقاضي/حسين المهدي – راجعه: عبد الحميد المهدي الناشر: ٢٠٠٩م .
- الطب النبوي لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ، الناشر: دار الهلال – بيروت الطبعة: الثانية، ٢٠٠٦ م – ١٤٢٧ هـ.
- طبقات فحول الشعراء لابن سلّام (بالتشديد) الجمحي (ت ٢٣٢هـ) تحقيق : محمود محمد شاكر الناشر: دار المدني – جدة.
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المؤلف: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (ت ٧٤٥هـ) الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣ هـ)تحقيق: د/عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.
- العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ
- عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، تاريخ النشر: ١٤١٨ هـ.

- غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة لأبي إسحق الوطواط (ت ٧١٨هـ) ضبطه وصححه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: ابراهيم شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.
- فوات الوفيات لمحمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ) تحقيق: إحسان عباس الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الأولى ١٩٧٣ م.
- كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: د/إحسان عباس الناشر: دار صادر – بيروت . كما وجدتْ الأبيات الثلاثة في كتاب: المرقصات والمطربات لابن سعيد المغربي (ت٦٨٥).
- كنز الكتاب ومنتخب الآداب (السفر الأول من النسخة الكبرى (المؤلف: أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الحسن الفهري المعروف بالبونسي (٦٥١هـ) تحقيق: حياة قارة الناشر: المجمع الثقافي، أبو ظبي عام النشر: ٢٠٠٤.
- لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ
- مجلة الرسالة أصدرها: أحمد حسن الزيات باشا، عدد الأعداد: ١٠٢٥ عددا (على مدار ٢١ عاما).
- مجمع الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي الشيباني (ت ٧٢٣ هـ) تحقيق : محمد الكاظم، الناشر: مؤسسة الطباعة والنشر– وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران الطبعة: الأولى، ١٤١٦.هـ .
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ) ، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.

- المحب والمحبوب والمشموم والمشروب للسري الكندي الرفاء (ت ٣٦٢هـ) تحقيق : ماجد حسن الذهبي دمشق ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .
- معجم الفروق اللغوية المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ) المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم «الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.
- معجم اللغة العربية المعاصرة المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤ هـ) الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- المعجم الوسيط المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة)إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة.
- مقاييس اللغة لابن فارس (ت ٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- مناقب الشافعي للبيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ)المحقق: السيد أحمد صقر الناشر: مكتبة دار التراث - القاهرة الطبعة: الأولى، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.
- مناهج البحث العلمي للدكتور: محمد سرحان علي المحمدي الناشر: دار الكتب اليمنية ط/ ثالثة ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م.
- المهروانيات = الفوائد المنتخبة الصحاح والغرائب لأبي القاسم المهرواني(المتوفى: ٤٦٨ هـ) دراسة وتحقيق: د. سعود بن عيد بن عمير بن عامر الجربوعي ، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - عمادة البحث العلمي الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدي، تحقيق/ السيد أحمد صقر، الناشر: دار المعارف – الطبعة الرابعة١٩٩٤ م.
- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء للمرزباني (ت ٣٨٤هـ).
- نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان لأبي الطيب القِنَّوجي (ت ١٣٠٧هـ) عُني بنشره: محمد عطيه الكتبي الناشر: المطبعة الرحمانية بمصر الطبعة: الأولى، ١٣٣٨ هـ – ١٩٢٠م.
- نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب لابن سعيد الأندلسي، تحقيق: الدكتور نصرت عبد الرحمن، الناشر: مكتبة الأقصى، عمان – الأردن.
- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم لعدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي ، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة: الرابعة.
- نظريات معاصرة لجابر عصفور الناشر: مكتبة: الأسرة – ١٩٩٨م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (ت ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .
- نقد الشعر لقدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ)، الناشر: مطبعة الجوائب – قسطنطينية الطبعة: الأولى، ١٣٠٢هـ.
- نقد النقد وآليات اشتغاله في الثقافة العربية من التنظير إلى التطبيق للدكتور نورالدين جويني، بحث منشور في مجلة جامعة أبو القاسم سعد الله – الجزائر العدد ٣ سنة ٢٠١٩م .

- النكت في إعجاز القرآن ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني (ت ٣٨٤هـ) تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، الناشر: دار المعارف بمصر الطبعة: الثالثة، ١٩٧٦م.
- الوافي بالوفيات للصفدي (ت ٧٦٤هـ)،تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر للثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) تحقيق: د. مفيد محمد قميحة الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت/لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مُقَدِّمَةٌ	٣٤٩٣
تمْهِيدٌ وَيَضُمُّ ثَلَاثَةَ مَحَاوِرَ:	٣٤٩٨
الْأَوَّلُ- التَّعْرِيفُ بِالْحَاتِمِيِّ وَكِتَابِهِ (حِلْيَةُ الْمُحَاضَرَةِ) .	٣٤٩٨
الثَّانِي - نبْذَةٌ عَنْ مَعْنَى امْتِزَاجِ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيهَا .	٣٥٠٢
الثَّالِثُ- نَقْدُ النَّقْدِ أَنْمَاطُهُ وَوَظِيفَتُهُ.	٣٥٠٥
الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ: مُنَاقَدَةُ الْحَاتِمِي فِي مَرَاتِبَ حُسْنِ امْتِزَاجِ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيهَا	٣٥٠٩
الْمَبْحَثُ الثَّانِي: مُنَاقَدَةُ الْحَاتِمِي فِي تَلَاقِي الشُّعَرَاءِ فِي امْتِزَاجِ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيهَا	٣٥٢٩
الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ: مُنَاقَدَةُ النُّقَّادِ الثَّلَاثَةُ (الْحَاتِمِيُّ، ابْنُ أَبِي فَنَنٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ) فِي أَحْكَامِهِم النَّقْدِيَّةِ.	٣٥٥١
وَيَشْتَمِلُ عَلَى ثَلَاثَةِ عَنَاصِرَ	
الأَوَّلُ - مُنَاقَدَةُ ابْنِ أَبِي فَنْنٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي أَحْكَامِهِمَا النَّقْدِيَّةِ.	٣٥٥٣
الثَّانِي - مُنَاقَدَةُ الْحَاتِمِي فِي أَحْكَامِهِ النَّقْدِيَّةِ.	٣٥٥٥
الثَّالِثُ - مَرْتَبَةُ كُلِّ شَاهِدٍ مِنْ حَيْثُ دَلَالَتُهُ عَلَى امْتِزَاجِ الْقُلُوبِ وَتَصَافِيهَا.	٣٥٥٩
خَاتِمَةٌ	٣٥٧٥
فهرس المراجع	٣٥٨٥
فهرس الموضوعات	٣٥٨٠
	٣٥٩١